طريق الصديقين
إلى
رضوان رب العالمين

الفقير إلى الله تعالى

فوزي محمد أبو زيد

دار الإيمان والحيـاة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمة :

الحمد لله الذى دل عبـاده به عليـه، وأوصلهم به إليه، فلا يصل واصل إليه إلا بفضله، ولا يصح لعبد قدم فى الطريق إليه إلا بمنه وكرمه.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد مصدر الفضل والجود من كنز حضرة المعبـود وسر الفتح والشهـود وباب العناية والأتحاف لمن خصهم الله عز وجل بالإسعاف والألطاف وآله أهل الصفا والوفا وكل من اتبع هديه ولأثره اقتفى

وبعــــد...

فهذه بعض الدروس الروحانية التى تناولناها فى سياحتنا مع الاخوان والمحبين، وهى وإن كانت فى أوقات متفرقة وأماكن متباينة إلا أنه يجمع بينها أنها تتحدث عن السير والسلوك إلى الله عز وجل وهى خاصة بالراغبين فى مزيد فضل الله، والطالبين لمراتب الكمال التى يقول فى شأن أهلها الله **﴿هم درجـات عند الله﴾** بعضـها يوضح لهم معالم الطـريق إلى الله، وبعضـها يبين لهم كيفية الوصـول إلى الله، ويشير بعضها إلى الآداب التى يجب أن يتجمل بها السائرون إلى الله، ويفصح بعضها عن الأحوال التى يتجمل بها الرجال أهل الكمال، حفزاً للهمم وتشويقاً للنفوس إلى مرابع الأنس، ومنازل الوصال وغير ذلك من الأمور التى تهم السالك فى حياته الروحية، ومجاهداته النفسية، وفتوحاته القلبية.

وقد قام بجمع هذه الدروس من على الأشرطة التى كانت مسجلة عليها أخى وحبيبى الأستاذ الدكتور أحمد عبد الله القاضى الأستاذ بكلية الهندسة ببورسعيد جزاه الله عنا خيراً وقد راجعناها وخرجنا الآيات والأحاديث الموجودة بها وعزونا الأحاديث إلى مصادرها المعتمدة والمذكورة فى آخر الكتاب وآثرنا أن نعرضـها كما هى بلا حـذف ولا إضـافات حتى تكون صورة صادقة للجلسات الروحية التى يرتادها الصالحون فيفيض الله عز وجل عليهم ببركة الصدق ونور الإخلاص

من عوالم الغيب مواهب ربانية وأسرار قرآنية ولطائف حكمية وأحوالاً نبوية تزيد الذين اهتدوا هدى تحقيقاً لقوله تعالى:

﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾.

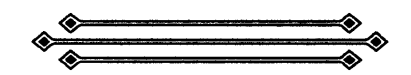
أسأل الله عز وجل أن ينفع بها من قرأها، وأن يرفع بها من عمل بها.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مساء الأربعاء
٢١ من شوال ١٤١٥هـ
٢٢ من مارس ١٩٩٥م

الفقير إلى الله تعالى
فوزي محمد أبو زيد
دار الصفا – الجميزة – غربية



معالم الطريق إلى الله عز وجل

* البحث عن الشيخ فى طريق الله عز وجل.
* طريقة البحث عن الشيخ.
* صـفات المرشـد الربانى.
* الطريق إلى معرفة الله عز وجل.
* جهـاد النفس.
* النفس الأمارة وأنواعها.
* النفس اللوامة.
* تصفية القلب.
* جمالات الواصلين.
* التحلى بالجمال المحمدى.

البحث عن الشيخ فى طريق الله(*)

الســؤال الأول :

لماذا يركز الصوفية على معرفة الشيخ كأساس فى طريق القوم ويطالبون المريدين بالبحث الشديد عنه؟

الجــواب :

يسأل الحاج ويقول: الإنســان الحــريص على نفســه، البصير على أمــره، يريد أن يصل إلى الله عز وجل، وهو يعرف أن الوصول إلى الله يحتاج إلى شيخ يوصله إلى الله عز وجل. فإذا عثر على هذا الشيخ، فقد عثر على كنز من كنوز الحق.

ومن أجل العثور على الشيخ كان الصالحون فى الأزمنة السابقة يطوفون الأرض شرقاً وغرباً، يبحثون عن الشيخ وينقبون عنه. فمثلاً سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وأرضاه سافر من تونس إلى مصر إلى العراق ليبحث عنه. وفى العراق قالوا له: إن الذى تبحث عنه عندكم فى تونس ببلاد المغرب. فرجع مرة أخرى لشيخه سيدى عبد السلام بن بشيش رضى الله عنه وأرضاه.

طريقة البحث عن الشيخ

ما الذى يجب على الإنسان أن يفعله، وما الأسلوب الذى يتبعه فى طريقة البحث عن الشيخ؟.

الشــيخ ابن عطاء الله الســكندرى رضى الله عنه وأرضــاه، وهو إمــام جليــل من أئمة القــوم - وأنا أطالب إخــوانى أن يقرأوا له الحــكم العطائيــة، بأى شرح

(*) هذا حوار دار بين الشيخ وبين رجل من الصالحين وقد دخل علينا فجأة وأخذ يسأل هذه الأسئلة الراقية فكأنما كان يريد أن يوضح هــذه الأشياء للإخوان الجالسين. وكان ذلك فى منزل الحاج/ محمد العزاق بمدينة بنها يوم ١٩٩٣/١١/١٢ قبل صلاة الجمعة.

من الشروح. هناك شرح ابن عجيبة، وشرح ابن عباد، وشرح الشيخ/ زرّوق، وشرح الشيخ/ الخطيب، وشرح الشيخ/ الشرقاوى. وآخر شرح لها شرحه الشيخ/ سعيد حوى زعيم الإخوان المسلمين فى سوريا شرح حكم ابن عطاء الله.

المهم أنه لعظمها شرحها الشيخ/ زرّوق سبعة عشر شرحاً وكل شرح غير الآخر، فالأول غير الثانى غير الثالث. وقد طبع منها الشيخ/ عبد الحليم محمود رحمة الله عليه الشرح السابع عشر. والإمام أبو العزائم أيضاً قد شرحها فى السودان فى جامع أم درمان، إلاّ أن هذا الشرح قد ضاع.

فحكم بن عطاء الله لا تفوت على أحد من السالكين، لأن فيها آداب السلوك إلى الله عز وجل كما ينبغى، بكلمات قليلة ومعانى ماشاء الله، حتى كانوا يقولون فيها «كأنها التنزيل» يعنى قريبة من أسلوب القرآن.

فماذا كان يقول؟

يقول رضى الله عنه وأرضاه:

[إذا افتقدت الشيخ الذى يدلّك على الله فعليك بالأوراد الجامعة الواردة عن سيدنا رسول الله ﷺ، والإكثار من النوافل والطاعات، وتكثر فى سجودك من هذا الدعاء، وتقول: «اللهم دلّنى على من يدلنى عليك»].

وهذه هى الطريقة التى اتبعتها فى بدايتى، ونفذتها والحمد لله حتى أكرمنى الله عز وجل بمعرفة الصالحين رضى الله عنهم وأرضاهم.

إذن هناك ثلاثة أمور:

الأول : الأوراد الجامعة الواردة عن رسول الله ﷺ، والتى هى أوراد الصباح وأوراد المساء، وهى من السور القرآنية التى كان يقرأها كل ليلة.

والأوراد الواردة عن رسول الله ﷺ، وهى موجودة فى كتب يسمونها كتب عمل اليوم والليلة مثل كتاب عمل اليوم والليلة لابن السنى، وكتاب عمل اليوم والليلة لابن ماجه. وأجمعها كتاب الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار للإمام النووى، الذى قالوا فيه: «بع الدار واشترى الأذكار».

والثـانى : بعد ذلك فيكثر من النوافل والطاعات، كصيام الاثنين والخميس، وقيام الليل، وصلاة الضحى، والبر بالفقراء والمساكين، وغيرها من أنواع النوافل والطاعات.

والثالث : أن يكثر الإنسان فى دعاءه من الدعاء الذى ذكرناه:

(اللهم دلنى على من يدلنى عليك)، وخاصة فى السجود، لقوله ﷺ:

«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد».

صـفات المرشـد الربانى

بعد ذلك يبدأ يزور الصالحين الذين يسمع عنهم ومعه الموازين القرآنية.

ما هى الموازين القرآنية؟

من يارب الذى نمش معه حتى يوصلنا إليك؟

قال سبحانه وتعالى: **﴿اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون﴾**[1].

الشيخ الذى لا يقول لك: أين العادة؟ أو يطلب منك دنيا مستكثراً منها لنفسه. ولذلك قالوا: «شيخك الذى يعطيك وليس شيخك الذى يأخذ منك».

يعطيك حالاً، ويعطيك نوراً، ويعطيك هداية، ويعطيك علماً، ويعطيك مالاً إذا احتجت -من فضل الله عز وجل، أو يدعو الله عز وجل لك فييسر لك أسباب الرزق، لكن لا يطلب الأجر من أحد. هذا أول شرط من الشروط.

الشرط الثـانى :

﴿قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى﴾[2].

---

(١) سورة يس: الآية ٢١.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

أى لابد أن يكون ذا بصيرة نافذة. لأن الشيخ الذى ليس عنده بصيرة، ماذا سيعطى غيره؟ ففاقد الشىء لا يعطيه.

والبصيرة كيف أعرفها؟

وهذه وإن كانت من علوم الأسرار، فإن أحوال العارفين بمجرد أن يجالسهم الإنسان تجعله يأنس بها. لأن الله قد يكاشفهم بالشىء الذى يجول فى صدرى، أو بالشىء الذى أنا مشغول به فى سرى، أو بفريضة مفروضة علىّ وهى غائبة عن ذهنى، فيفكرونى بها فى مجلسهم.

أو إذا كان الإنسان يريد الله أن يقرّب عليه الطريق يرى عينيه فى المنام بعض صفات هذا الرجل من الصالحين، أو بعض ما له عند الله حتى يسلّم له. فيريه فى المنام شيئاً من مقامات هذا الرجل، أو من مكانته عند الله أو من خصوصياته التى اختصه بها الله عز وجل.

الشرط الثالث :

أن يكون هذا الشيخ لا يتخلى عن الشريعة المطهرة طرفة عين. ولنفرض أنه رجل من أهل الكشف، لكنه مجذوب. فالمجذوب يكون فى حالة الغيبة عن الدنيا وما فيها، لأنه لا يعرف شيئاً عن الليل ولا النهار، ولا يعرف رمضان ولا شوال، لأنه فى عالم الآخرة.

هذا المجذوب علينا أن لا نعترض عليه، ولا نقتدى به، لأنه لا يصلح مرشداً فى طريق القوم. هو ولىّ نَعم، ولكن لمن؟ لنفسه، لكنه ليس الولى المرشد.

فالولى المرشد لابد أن يكون أكمل الناس قياماً بالشريعة، وأكمل الناس حفظاً للحقيقة. فهو أبو العينين، ينظر بعين الشريعة وبعين الحقيقة، والاثنين فى وقت واحد. لا يشغله هذا عن هذا ولا ذاك عن ذاك.

ومن أجل ذلك قال الله تعالى:

﴿ **ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً** ﴾[٣] فالمهم هنا هو الولى المرشد، لكن الولى فقط فهم كثير، وقد قال فى ذلك بعض الصالحين: «لن تخلو الأرض من مائة ألف على قدم عيسى عليه السلام».

فالمائة ألف موجودون، فمنهم من يمشى عرياناً، ومنهم من يمشى حافياً، ومنهم من لا يتزوج، ومنهم من لا ينام فهم مجاذيب لكن عندهم كشف وعندهم بصيرة. ومع ذلك لا ينفعون للإرشاد والاقتداء. ولذلك قال الشيخ ابن العربى رضى الله عنه وأرضاه:

لاتقتدى بمن زالت شريعته * وإن جاءك بالأنباء عن الله

فحتى لو جاء لك بالأخبار عن الله، إلا أنه لا ينفع قدوة، ولكن لا نعترض عليه حتى لا يصيبنا عطب أو أذى، لأن مثل هذا نسلم له حاله ولكننا فى نفس الوقت لا نقتدى به.

ولكن الإمام الذى يقود الناس فى السلوك إلى الله، أكمل الناس قياماً بالشريعة المطهرة على قدم سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، حتى أنه لا يفارق الشريعة طرفة عين ولا أقل من ذلك.

هذا يعنى مجمل الشروط التى يجب أن تكون فى الشيخ. وهناك شروط كثيرة وكثيرة، أوردها العلماء، إلا أننا نكتفى بهذا القدر رغبة فى الإيجاز.

وعندما يكرم المرء بشيخ على هذه الشاكلة، فعليه أن يسلم له ولا يعترض عليه، حتى ولو بقلبه، ويجعله يتصرف فى نفسه ووقته، كيف يشاء، لأنه لا يتصرف فيه ولا فى غيره إلا بالشريعة السمحاء، وعلى نهج سيد الأنبياء ﷺ. يعنى يحكّمه فى نفسه ويكون داخل فى قول الله عز وجل:

﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾[٤].

---

(٣) سورة الكهف: الآية ١٧.

(٤) سورة النساء: الآية ٦٥.

يعنى لازم يحكّمه فى كل صغيرة وكبيرة من أمره، ويستشيره فى كل أمر من أموره المهمة فى هذه الحياة. قال ﷺ:

« **استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا** »[٥].

لأن من يسترشده يرشده إلى أحسن الأمور، لأنه على بصيرة من ربه، وسر من نور تأييد الحضرة العلية، ويمشى على هديه ولا يخالفه فى أمر صغير أو كبير، إلا إذا رأى شيئاً يخالف الشريعة فعليه أن يتوقف، ويسأله ويستفسره، لأننا مطالبون أن لا نطيع أحداً من الخلائق أجمعين فى معصية ظاهرة لله رب العالمين.

« لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ».

هذه الإجابة على قدرى أنا، وأرجو أن يكون المعنى الذى أريده قد وضح فى ذهن السائل وإخوانى الحاضرين.

الطريق إلى معرفة الله عز وجل

السؤال الثانى :

كنا نود أن نقابل سيادتك من فترة ونتشرف برؤياك. نريد أن نعرف الطريق الذى يوصل إلى المعرفة، لأنه كما قال بعض الصالحين: «يفتح على العارف وهو نائم على فراشه ما لا يفتح مثله على العابد وهو قائم فى صلاته».

الجواب :

الله... الله. أسمعتم هذه الحكمة؟

«يفتح على العارف وهو نائم على فراشه ما لا يفتح مثله على العابد وهو قائم فى صلاته». لأن أهل المعرفة أخذوا الطريق من يد رسول الله ﷺ على التحقيق، فعرفوا أن السير إلى الله يبدأ من النفس.

---

(٥) رواه الخطيب عن أبى هريرة رضى الله عنه.

حتى نسافر إلى الله، فمن أين أسافر؟

وأين هو ربنـا؟

ليس له مكان ولا زمـان، ولا تحـيط به أفـلاك ولا أكـوان، بل هو عـز وجـل وراء كل شيء، وفـوق كل شيء، ومحيط بكل شيء، لأنه ليس كمثـله شيء وهو السميع البصير.

إذن كيف نذهب إليه؟

كل ما الإنسـان يفـارق حقيقـة من الحقـائق التي فيـه فقـد اقترب خطـوة أو خطوات من معرفة خالقـه وباريه. من معرفته وليس من ذاته، لأن ذاته عز وجـل لا تدرك بعقل، ولا يحيط بهـا وصف، ولا تتحمل ذرة من شعاع نورها بصيرة. فهي في عمأ العمأ وطمس الطمس.

أول خطوة هي قول سيدى أبي اليزيد البسطامي رضى الله عنه وأرضاه، عندما أوقفه الله عز وجل بين يديه مناماً فقال يا رب: أريد أن أصل إليك. قال يا أبا يزيد:

« دع نفسك وادخل علينـا ».

ومن هنا قالوا: « مكتوب على حضرة القدوس لا يدخلها أرباب النفوس».

طالما أن الإنسان ما زالت نفوسه –يعنى نفسه الشهوانية، ونفسه الإبليسية، ونفسـه الحيـوانيـة– هى التى تحـركـه، وهى التى تسـيّره، وهى التى تذهب به، وهى التى تأتى به، فهو ممنوع من دخول الحضرة. إذن لابد أن نبدأ بجهاد النفس.

جهـاد النفس

ويكون بداية الطريق إلى الله عز وجل يا إخوانى هو جهـاد النفس. وهذا الذى قال فيه حضرة النبى ﷺ أنه:

« الجهـاد الأكبر ».

فهـو ليس الكبير فقط بل الأكبر. أى أنه أكبر من الجهـاد فى سـبيل الله عـز وجـل.

كيف أجاهد النفس؟

لازم أعرف نفسى. أعرف أن فيه نفس اسمها نفس أمّارة والنفس الأمّارة بماذا تأمر؟ وكيف توسوس للإنسان وتزين له المعصية؟

وهذا الكلام موجز ومحتاج لتفصيل، لكن إن شاء الله فى نيتنا أن نضع هذا فى كتاب لإخواننا بشىء من التفصيل لينتفعوا به فى سيرهم وسلوكهم.

النفس الأمّارة وأنواعها

وأعرف أنواع النفس الأمّارة وأصنافها فمنها النفس الشهوانية، وهى التى تحضّ الإنسان على الشهوات، الطعام والشراب والنوم والنكاح.

ومنهـا النفس الإبليسية التى تحضّ الإنسـان على الغيبـة والنميمة، والوقيعـة بين الناس، والقيل والقال، وغيره من أنواع المكر الإبليسى.

ومنها النفس الآدمية التى تريد أن تظهر وتعلو، ويبقى لها شىء من الرياسة، وشىء من الفخر، وشىء من الفخفخة، وشىء من الظهور. ومن أجـل ذلك قالوا إن آخر شىء يخرج من صدور الصديقين حب الرياسة.

النفس اللوامة

أعرف أن هناك نفس اسمـها النفس اللوامة. وهذه أحتاج أن أوقظها وأقويها وأمكنها، وأعطيها القيادة، حتى تقود هيكلى. فكلما أعمل شيئاً من العبادات والطاعات أو غيرها، تزنها بميزان الشرع، وإذا وجدتها مخالفة للشرع تلومنى وتؤنبنى، وتزجرنى وتعاتبنى إلى أن يكرمنى الكريم عز وجـل بالنفس المطمئنة،

التى تطمئن إلى شرع الله، وإلى هدى رسول الله، وتقوم عاملة به كما يحب الله عز وجل، وكما كان عليه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

إذن أول واجب علىّ أن أبدأ الجهاد فى ذات الله، بمعرفة النفس، ثم جهاد النفس وفى ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

جاهد نفوساً فيك بالشرع الأمين * واحذر قوى الشيطان فى القلب كمين

فتجاهد نفسك وتنتبه للشيطان، وتعرف حيله وخدعه، ووساوسه ومكائده، وخاصة وأنه يجثم على صدرك، وتبارزه بالعداوة، وتعلن عليه الحرب. ولا تزال على هذا الحال، مع قوة العزيمة، وصدق الإرادة، حتى تسلم من النفس والشيطان أو يسلما لك.

تصفية القلب

فإذا انتهيت من هذه المرحلة -وهى مرحلة جهاد النفس، وهى مرحلة طويلة ويطول شرحها، والحمد لله قد شرحناها لإخواننا فى مناسبات كثيرة- نبدأ مرحلة الجهاد الثانى فى التصفية.

بعض الناس ينتقل فى هذا الطور إلى العبادات، فيكون قد دخل فى درجة العبّاد -سلم العباد، وهذا يكون له أجره والمزيد عند الله عز وجل يوم القيامة- ولكن هذا ليس له صلة بسكة العارفين. طريق العارفين يبدأ بالتصفية.

ماذا تعنى هذه التصفية؟

تصفية القلب.

ممن؟

من كل الأغيار. وكل شيء سوى الله عز وجل فهو غير.

كل شيء سواك نار حمية * وغرامى أنى أنال المعية

كل شيء غير الله يكون نار في هذه الحالة. وقد قيل في ذلك:

« كل مًا شغلك عن الله من أهل، أو مال، أو ولد، فهو عليك مشئوم».

أى حتى المال والولد، لا يجب أن يشغلاك عن الله عز وجل، بل يجب أن يعينوك على طاعة الله، وعلى الإقبال على حضرة الله. ومجال التصفية هذا هو الميدان الأعظم للدخول على حضرة الله عز وجل.

فأنا من أى شيء أصفى القلب؟

أصفيه من الأمراض البشرية، التى هى الحقد والحسد، والغل والكره، والحرص على الدنيا، والكبر والإعجاب بالنفس، والغرور والجهل، والشره والطمع.

فآخذ هذه الأمراض واحدة واحدة، ولكن على يد الطبيب. فلابد أن أكون فى صحبة طبيب معالج، لأنه هو الذى يعطينى البرشامة التى فيها الشفاء. فالصيدلية فيها كل الأدوية، لكننى لا أعرف ما الذى عندى؟

جائز الدواء الذى أتناوله بنفسى يزيد المرض، لكن الطبيب يعطينى الدواء المناسب والمفيد.

إلى أن يصل الإنسان إلى الحالة الروحية التى يقول عنها القرآن:

﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾[٥].

وعندما يصير إلى هذه الحالة يدخل دائرة الأخوة التى قال فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

« وا شوقاه لإخوانى ».

قالوا له: ألسنا إخوانك؟

قال: «أنتم أصحابى. إخوانى قوم يأتون من بعدى. آمنوا بى ولم يرونى»[٦].

(٥) سورة الحجر: الآية ٤٧.

(٦) رواه مالك فى الموطأ عن أنس.

متى يصل الإنسان إلى هذه الدرجة؟

بعدما يتخلص فى سره من كل عَرَض أو غرض، أو مرض من أمراض القلوب، حتى يصل قلبه إلى الحال الذى يقول الله عز وجل فيه:

﴿ **إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾(٧).

فإذا فرغ القلب من الشواغل والأغيار كان كما قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

فرّغ القلب من سـوانا ترانا * يا مريداً جمالنـا وبهـانا

فجمالى يا من تريد وصـالى * لاح صرفاً فانهض إلى لقيانا

واعْل فوق البراق ليـلاً فإنا * نتجلى ليـلاً لمن يهـوانا

جمالات الواصلين

فساعة أن نفرغ القلب، نجد الله عز وجل أقرب إلينا من حبل الوريد.

فما بال الحُجب التى بيننا وبينه، ما هى؟

هى تلك الحجب التى ذكرناها يا إخوانى هذه. كلما رفع حجاب كلما اقترب الإنسان من هذا الجمال، فإذا زالت الحجب كان كما قال الله عز وجل:

﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾(٨).

وعندما يفتح القلب، يصبح الإنسان فى دائرة الإخوة المحمدية، وينتظم فى عقد الكرام، ويواجهه المصطفى ﷺ بالتكريم والإنعـام، ويبشره بما له عند الله عز وجل من علىّ المقام، ويبدأ يخلع عليه الخلع الروحانية، ويفتح له أبواب التجليات الوهبية.

---

(٧) سـورة الشعراء: الآية ٨٩.

(٨) سـورة القيامة: الآيتان ٢٢، ٢٣.

فيبدأ يشاهد سيدنا رسول الله ﷺ، ويعشق هذا الجمال، فيدفعه العشق إلى التخلق بأخلاق رسول الله ﷺ بين الناس حتى يزيد القرب.

التحلي بالجمال المحمدي

ويبدأ بعد ذلك في المرحلة التالية، وهي التخلق بالأخلاق المحمدية، والتخلق بالأخلاق الإلهية، ويدخل دائرة:

﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً. والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ﴾[٩].

إلى آخر هذه الآيات وغيرها من سور القرآن.

وبهذه المجاهدات يكون قد وصل إلى العبادة القلبية. والعبادة القلبية عليها المعول الأكبر يا إخواني في المراتب العلية، فقد قال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه وأرضاه، عندما عاب عليه نفر من الخوارج -هو وأصحاب رسول الله ﷺ- أنهم لا يقومون الليل ولا يصومون النهار، فقال:

« عجبت للحمقى، كيف يعيبون على الأكياس نومهم وفطرهم ولذرة من تقوى من عمل القلوب، أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترّين».

فصاحب عمل القلوب يناله شيء من إرث سيدنا رسول الله ﷺ، كمثل «تنام عيني ولا ينام قلبي»، ويتفضل عليه المتفضل عز وجل بحظ من السياحة الروحانية، التي تسوح فيها روحه، ويسبح فيها قلبه في عالم الملكوت الأعلى، ليقتبس منه طرائف العلم والحكمة، وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ في شأن الإمام عليّ رضي الله عنه وكرم الله وجهه: «عليّ وإن كان ينام على الثرى، إلا أن قلبه معلق بالملأ الأعلى».

(٩) سورة الفرقان: الآيتان ٦٣، ٦٤.

وعن أحـوال هـؤلاء القـوم فحـدث ولا حرج، ففيهـم وعنهم يقـول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه:

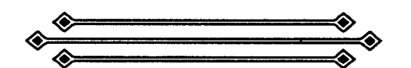
إنّ الرجـــال كنـــوز ليس يدريهـــا * إلاّ مُراد تحـلّى من معانيهـــا

فى الأرض أجسامهم والعرش مقعدهم * قلوبهـم صفت والله هاديهـا

هم الشـموس لشرع المصـطفى وهـم * سفينة الوصل باسم الله مجريها

نسأل الله عز وجل أن يجملنا بجمـال هؤلاء الرجال، وأن يكملنا بأحوالهم، ويواجهنا بأنوارهم، ويهذب نفوسنا بعلومهم حتى نكون منهم ومعهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





انفتـــاح عين البصـيرة (*)

* المعـانى الغيبية فى الإنســان.
* ســعة القلب.
* حقيقــة الإنســان.
* الصــفاء بالمجاهــدة.
* زينــة الرحمن.
* جواذب الروح.
* مشاهدات عين السريرة.
* النظر بنــور الله.
* مواطن الأسرار.

(*) كانت هذه الفيوضات بمنزل الأخ طه عواد على بمدينة بنها مساء الخميس ٢٦ من جمادى الأولى ١٤١٤هـ والموافق ١١ من نوفمبر ١٩٩٣م.

المعـانى الغيبية فى الإنسان

معنـــاه غيب ومبنـــاه مشاهدة * والفــرد معنى وليس الفــرد تكويناً

كل إنســـان يا إخـــوانى له معنى وله مبنى، له ظـــاهر وله باطن، له غيب وله شـهادة، له سر وله جسم... كل إنسان.

والمعانى الغيبية الموجودة فىّ وفيك، هى الأسرار التى حيّرت الأولين والآخرين، ولم يكشف عنها الستار إلاّ سيد الأولين والآخرين ﷺ.

والعلماء بأجهزتهم ومعاملهم حاولوا أن يعرفوا سر القلب الذى فيه الحب والكره، والذى فيـه البغض والود، والذى فيـه الكرم والبخل، والذى فيـه الإيمان والقرآن أو -والعياذ بالله- الكفر والشرك، فلم يعرفوا.

وأين هو العقــل؟ الذى فيــه الذاكرة، والذى فيــه عالم الخيال، والذى فيــه عالم الوهم، والذى فيــه عالم التصــور، والذى فيــه عالم الإدراك. أيضــاً لم يعرفوا أين هو العقل، لأنه لا يدريه إلاّ خالق العقل والقلب.

وأين هى النفس؟ وشحّها، ونزعاتها ونزغاتها، وميولها وشهواتها، وحظوظها وأهواءها.

كل هذا من أسرار الغيب الذى فيك من خالقك وباريك عز وجل.

فهــم كشف الله لهم الظـاهر فعرفوه، وإن كانوا لم يصلوا إلى المــدى الذى من أجله ركّب الله عز وجل الأعضـاء وطورها وصـاغـهـا، لكنهم يحاولون على

قدرهم أن يعرفوا بعض الخصائص أو المميزات، أو القدرات التى من أجلها أوجد الله عز وجل هذه الأعضاء الظاهرة(*).

ســعة القلب

فالقلب الخاص بى وبك ما مدى سعته؟

إنه أكبر من السموات السبع ومن الأراضين السبع مجتمعة. هذا هو القلب. أما أين هو؟ أو ما شكله؟ أو ما حقيقته؟ هذه الأشياء لا تكيّف بالعبارات، ولا ترمز إليها الإشارات.

حتى أنهم لما سألوا الشيخ أبا اليزيد البسطامى رضى الله عنه وأرضاه عن بعض علوم المعرفة -وهذه من علوم المعرفة الخاصة التى تفاض من الله عز وجل على قلوب العارفين، ومن أين لنا أن نعرف هذه الأشياء إلاّ من العارفين، لأنها ليست موجودة فى كتاب، ولا يستطيع أحد أن يصل إليها إلا إن كان من أهل القلوب... لأنها تحتاج الناس السبّاحين الذين لديهم أجنحة من ملكوت رب العالمين، فيطيروا ويأتوا على قدر وصولهم. وهــذه يسمونهــا السياحة الروحانيــة، يســوح بروحه وهو جالس هنا بجسمه-.

(*) ملحوظة : حدث فى هذه الأثناء أن قدم صاحب المنزل بلحاً لإخوانه، فأشار الشيخ إلى السنة فى ذلك فقال:

من السنة يا إخــوانى أن لا يضــع الإنســان النــوى فى الإناء الذى فيــه البلح. قـال رســول الله ﷺ: **«لا تضعوا النوى فى الإناء»**(١).

هذه من سنة رسول الله ﷺ فى أكل البلح والتمر أو ما شابهه. ومن السنة أيضاً أن الذى يوزع يوزع وتراً، واحدة أو ثلاثة أو خمسة. فقد كان رسول الله ﷺ يوتر فى البلح بالذات، أو فى الفاكهة بصفة عامة ويقول: **«إن الله وتر يحب الوتر»**(١)، ويقول: **«أوتروا يا أهل القرآن فإن الله وتر يحب الوتر»**(٢). فالذى يوزع يعطى ثلاثاً.

---

(١) ابن سمويه ومحمد بن نصر عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما.
(٢) رواه الطبرانى والبيهقى عن ابن مسعود رضى الله عنه.

سألوه نريد أن نعرف مدى سعة قلب العارف؟

فقال لهم: قلب العارف فيه ثلاث مائة وستون زاوية، السموات السبع والأراضون السبع فى زاوية من هذه الزوايا الثلاث مائة والستين.

إذن فما مقدار سعته هو؟

هذه حاجة لا تكيف يا إخوانى. ولذلك كل الذى يستطيع الإنسان أن يقوله، كما قال الصالحون:

يا صورة الرحمن والنور العلى * يا سدرة الأوصاف والغيب الجلى

فيك العوالم كلها طُويت فهل * أدركت سراً فيك من معنى الولى؟

فالعوالم كلها موجودة فيك، فى جزء منك وأنت لا تدرى، لأنك مشغول بالظاهر وتارك الحقيقة التى أنت بها إنسان.

حقيقة الإنسان

بماذا أنت إنسان؟ بالجِسم؟ أبداً الجسم يذهب كما نعرف جميعاً، الجسم يتحلل ويذهب إلى عناصر الأرض.

إذن فأنت إنسان بماذا؟

بمعناك.. فالمعنى هو حقيقة الإنسان يا إخوانى، وهذه هى حقيقة الإنسان التى يقولون عنها قلب الإنسان، ومرة يقولون عنها روح الإنسان، ومرة يقولون سر الإنسان، ومرة يقولون عنها العوالم الخفية الموجودة فى الإنسان.

كل هذه تعبيرات عن حالات الاتصال التى تتم بين الإنسان وبين العوالم الخفية التى فيه. ولذلك لو استطاع الإنسان أن يربط ظاهره بباطنه مثلما يفعل بعض الأفراد أو الصالحون، فيحصل له الحاجات التى نراها هذه.

لماذا هى تحصل؟

لأنه أصبح كما قال القائل:

رَقّ الزجـــاج وراقت الخمـــر * فتشابهـا فتشـــاكل الأمـر

يعنى أن الطين الذى منه الجسم هو الذى يحجبنى عن هذه العوالم الغيبية. قال الله تعالى:

﴿ بل هم فى لبس من خلق جديد ﴾[٣].

الخلق الجديد. أما ذاك فما هو اسمه؟

﴿ أفعيينا بالخلق الأول ﴾[٣].

الخلق الأول الذى هو على صورة حضرة الأول عز وجل، صورة الرحمن. عندما ينزل فى الأكوان، مقتضى عالم أسباب الله فيه، لابد أن يحصل تسبب بين الرجل وبين المرأة، ويحصل اختلاط عوالم الأسباب فيه الماء والتراب والطين والهواء وغيره، حتى ينشأ الإنسان ويتعامل مع هذه الأسباب.

الصفاء بالمجاهدة

لكن الإنسان يظل وراء طينة الأسباب حتى يجعلها ترتقى من عوالم الطين إلى عوالم النور.

وهل الطين يمكن أن يصبح نوراً؟

نعم. ربنا أعطانا المثال. فالزجاج مثلاً أصله رمل، ولكن عندما يدخل المعامل الحرارية، ويتعرض للطاقة الحرارية بنفسه يشف ويظهر ما وراءه. كذلك الإنسان لما يدخل فرن القرآن متمثلاً فى المجاهدات التى فرضها على أهل القرآن، سواء

---

(٣) سورة ق: الآية ١٥.

كانت المجاهدات الخاصة أو المجاهدات العامة، فهذا هو الفرن -أى فرن الجهاد- الذى يقول الله فيه:

﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده ﴾[٤].

بعد ذلك مباشرة يخرج من الفرن:

﴿ هو اجتباكم ﴾[٤].

فيأخذ وسام الاجتباء فوراً.

يدخل فرن القرآن، ويوقد النيران بالاقتداء التام بسيد ولد عدنان ﷺ، لأنه لا يستطيع أن يوقد نار المجاهدة بمفرده، بل لابد وأن تكون على ضوء سيدنا رسول الله ﷺ، فإن الإنسان ممكن أن تنتابه حالة من اليأس أو حالة من القنوط يضيع فيها حاله، ولكن الذى يروّح عنه أن يكون مجموعاً على الحقيقة المحمدية، فيراها ماثلة أمامه ويقيس بها أحوال نفسه، فكلما يتعرض لأمر من الأمور، أو لمضيق من المضايق يزن حاله بحال السيد الأعظم صلوات الله وسلامه عليه. فيمكث على هذه الحالة حتى تتبدل الطينة وتصبح زينة، ويكون كما قال الله عز وجل:

﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾[٥].

يعنى بهذه الطينة لن تعرفوا أن تصلّوا، ولن تعرفوا أن تقرأوا القرآن أو تقدّموا أى عمل مقرّب لله عز وجل إذا دخلتم بهذه الطينة.

زينة الرحمن

إذن ما الذى ندخل به؟

ندخل بالزينة. وهذه الزينة مَن الذى زيّنها لك؟

---

(٤) سورة الحج : الآية ٧٨.

(٥) سورة الأعراف : الآية ٣١.

حضرة الرحمن فى البداية فى الخلق الأول.

فما الذى حصل؟

الغواش التى أتت هى التى ضيعت هذه الزينة.

فمثلاً أنا بانى بيت، والبيت ماشاء الله، مدهون بالزيت ومزيّن بستائر ونجف، ولكن عليه تراب وعليه عنكبوت. أأتركه للضيف يأتى إلىّ هكذا أم أنظفه أولاً؟

وهذا المثل ينطبق عليك، فالبيت الذى فيك هو الحقيقة الإلهية التى فيك، مزيّنة بزينة الله، أى بنور الله، وجمال الله، وصفات الله، والإيمان بالله، كما قال الله عز وجل:

﴿ حبّب إليكم الإيمان وزيّنه فى قلوبكم ﴾[٦].

مَن الذى زيّنه؟

الله عز وجل. فالقلب موضع زينة الرحمن فى بنى الإنسان، وقد زينه الله من البدء بحقائق الإيمان، ومعانى الإحسان، وأسرار الإيقان.

ولكن ما الذى حدث؟

لما جاء الإنسان ومشى فى عالم الدنيا، حصل أن الغواشى بالشهوات والحظوظ والأهواء لطّخت هذه الزينة، لكن الزينة موجودة والحمد لله، والحارس والحافظ حضرة الله، لأن الشيطان لا يستطيع أن يمسها. يستطيع أن يضحك عليك، لكنه لا يستطيع أن يسرق من بيت الرحمن الذى فيك. يسرق من خزينتك أنت، لكن خزينة الله لا يستطيع أن يقربها.

﴿الذى يوسوس فى صدور الناس. من الجنة والناس﴾[٧].

---

(٦) سورة الحجرات : الآية ٧.

(٧) سورة الناس : الآيتان ٥، ٦.

الصدور هى الأمور التى صدرت من القلب، تطلع فى عالم الصدر لكى تُنَفَّذ. لكنه لا يستطيع أن يقترب من القلب. عندما تخرج هـذه التجليـات أو الإلهامات أو الواردات من القلب للصدر حتى يعطى الأوامر للجوارح لتنفّذ يدخل الشيطان.

لكن هل يستطيع أن يقترب من القلب؟

لا.. لأنه بيت الله وقد زيّنه الله عز وجل.

فالقلب بيت حضرة الكريم الحنـان، زينه بالإيقـان، وغرسه بآيات القـرآن، وآزره بسنة النبى العدنان، وحفظه من الشيطان، وجعل أهله يوم القيامة إن شاء الله فى أمان.

تأتى هذه الغواشى فتشغل الإنسان قليلاً، ولذلك قال ﷺ واحفظوا الحديث:

«لولا أنّ الشيـاطين يحـومـون حـول قلوب بنى آدم لنظروا فى ملكوت السموات»[8].

ما الذى يمنعهم من النظر؟

هى تلك الأمور. الطفل أول ما يولد تجده يرى هذه الحقائق، وسأعطيك مثال:

عندما يجتهد الإنسان فى طاعة الله فإنه يبشر فى منامه. فأين يجد نفسه؟ أليس فى مقام من مقامات الهناء العلى؟ إما مع أحد الصالحين، أو مع سيدنا رسول الله، أو حول بيت الله، أو فى ملكوت الله. أليس هذا صحيحاً يا إخوانى؟

وعندما يكون الإنسان مشغول طول النهار بالشهوات والحظوظ، فعندما ينام يجد نفسه مع ما هو مشغول به.

فالذى أنت مشغول به هو الذى تراه فى منامك كيف يكون ذلك؟

فحقيقتك تظهر عندما تنام، وطالما أنت فى اليقظة فهى محبوسة. أما عندما تنام فينفك العقال عنها وتبدأ تظهر الحقيقة التى هى أنت بها إنسان، التى هى قلب

(٨) رواه أحمد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

الإنسان. فلو أن هذه الحقيقة توفر لها في عالم الأكوان التموين النوراني من الذكر والفكر والإقبال على حضرة الله، ستهنّيك فى المنام، فإذا اجتهدت أكثر تصير اليقظة كالمنام ولا يوجد فرق.

لكن إذا كنت طوال النهار مشغول، فعندما تنام فالذى كنت فيه يأتى إليك، وهذه الحالة هى التى حذرنا منها سيدنا رسول الله ﷺ إذا واتانا النفس الأخير، وقال فى ذلك:

«يبعث المرء على ما مات عليه»[٩].

أى فالذى هو مشغول به فى النفس الأخير هو الذى يقوم عليه، كيف هذا؟ مثلما يحدث فى النوم، فالذى ينام به هو الذى يراه فى المنام، كذلك الذى هو مشغول به هنا هو الذى يطلع به يوم الزحام.

فشواغل القلب يا إخوانى هى التى تقطع الخطوط النورانية، أو تضعف الترددات الإيمانية والنورانية بين حقيقتك النورانية وهيكلك الظاهر، هذا طالما الإنسان موجّه وجهته إلى الأكوان. لكن الإنسان إذا استطاع أن يأخذ نفسه برفق إلى الله عز وجل سيجد أن العوالم التى فيه، والتى هى مملوءة ببضاعة الله عز وجل تجذبه، تجذبه جذباً قوياً.

جواذب الروح

تجـذب الروح الهيـاكل ✽ فى الصـفا أعلى المنازل
إنْ أداروا الـــراح صـرفاً ✽ أسـكرت عـال وسـافل

تبدأ الروح تجذب الإنسان نحو الله عز وجل، ولما تبدأ تجذب الإنسان يلاحظ أموراً غريبة كتلك التى يسمعها من العارفين.

(٩) رواه مسلم وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر رضى الله عنه.

تبدأ الروح أولاً تعطى شعاع من عندها ينوّر هذه الأرجاء. وهذا ما يسمونه شعاع البصيرة. لو شعاع واحد من البصيرة أشرق على الإنسان، يحيي الإنسان فى طاعة الحنّان المنّان عز وجل. فتجد الإنسان بعد ذلك يتجه إلى الله، ويقبل على حضرة الله، ويعرض عن الدنيا وعن الحظ وعن الأهواء. حتى أنه بعد ذلك لما يجتهد أكثر تنفتح له عين البصيرة نفسها.

مشاهدات عين السريرة

وعين البصيرة يعنى عين القلب، لما تفتح عين البصيرة يرى الكون على ما هو عليه، يرى الحقائق على ما هى عليه. يعنى يرى حقيقة الدنيا، ويرى حقيقة المعاصى، ويرى حقيقة الطاعات، فيكشف هذه الحقائق لنا كمثل ما كشفها سيدنا رسول الله ﷺ فى الإسراء والمعراج، وإن كان دون ذلك فى هذا المقام لعلو منزلته وقدره ﷺ.

فينظر إلى الزانى ويرى حقيقته، وينظر إلى شارب الخمر ويرى هيئته، وينظر إلى آكل الربا ويدرك حالته، وينظر إلى آكل مال اليتيم ويرى بشاعة فعلته.

هذه كلها حقائق يراها السالك فى طريق الله عز وجل، إذا انبلجت عين البصيرة، وأصبح ينظر بعين السريرة، فيكون كما قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه:

بعين الروح لا عين العقول * شهدت الغيب فى حال الوصول

يشاهد غيب الحقائق التى أمامه فى هذه الأحوال.

فعين البصيرة لما تنفتح يرى الإنسان. وكيف يرى الإنسان فى هذه الحالة؟

يكون فى طور الجهاد وطور الاصطفاء من المنعم الجواد.. الاثنين معاً، فلا ينفع الجهاد بمفرده، ولا ينفع الاصطفاء بمفرده. أنت عليك البداية وهو عليه النهاية. أنت عليك الجهاد وهو عليه الامداد والتوجيه والإرشاد.

وعندما يصبح هيكل الإنسان شفافاً ولطيفاً، يبدأ يشعر بالأحاسيس الإيمانية التى يقول فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

النظــر بنــور الله

«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»(١٠).

هل ينظر بهذه العين؟ لا.. فقد تذهب إليه وتقول له: يا فلان أنا حصل عندى موضوع كذا، فما هو رأيك؟

ومع أنه لم يحضر ولم ير أو يسمع، لأنك فى بلد ثانية، فإنه يقول لك: الصح كذا وافعل كذا أو لا تفعل كذا.

فبأى كيفية رأى؟

لقد رأى بنور الله. والذى يرى بنور الله لا يحدّه مسافات ولا جهات ولا شيء من عوالم المادة التى تحجب نظر الحسّ الظاهر.

وقد تذهب إليه أحياناً، فيقول لك: يا فلان ارجع عن ذاك الموضوع. فكيف عرف هذا الموضوع؟

عرفه بنور الله، لأن الذى يرى بنور الله لا يرى بهذه العين وإنما يرى بكله. ينظر بنور الله عز وجل بكل حقيقة من حقائقه.

فلما ينظر بعين البصيرة -وعين البصيرة ترى بنور الله وليس بنور الشمس ولا نور القمر ولا نور الكهرباء. نور الشمس لا نستطيع أن نرى على ضوءه الآن لأننا بالليل، ونور القمر لا نستطيع أن نرى على ضوءه إلا فى لياليه، ونور الكهرباء لا نستطيع أن نرى به إلاّ إذا كان مضاءً. أما نور الله عز وجل فيكشف خفايا

(١٠) رواه البخارى والترمذى وابن السنى وأبو نعيم عن أبى سعيد رضى الله عنه.

القلوب، ويكشف سرائر الغيـوب، ويكشف كل شيء محجوب، ويراه الإنسـان كما يرى كل شيء بعينـه مكتوب. لأن نور الله عـز وجـل لا يغيب عن شيء، ولا يخفى عن نور الله شيء.

فحـدّق أعين الإيمـان وانظـر * ترى الأكـوان تؤذن بالنفـاد

فمن عـدم إلى عـدم مصـيّر * وأنت إلى الفنـا لا شـك غاد

فينظر الإنسان بنور الله، فلا تلتبس عليه حاجة فى ظلمات هذه الحياة، سر قول الله عز وجل:

﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾(11).

فالفرقان يعنى النور. أى يجعل الله لكم نوراً منه سبحانه، فينظر العبد بنور الله إلى كل شيء، فلا يخفى عنه شيء لأنه يرى بنور مَن يقول للشيء كن فيكون.

مواطن الأسرار

فمثـل هؤلاء النـاس يا إخـوانى قد تجاوزوا مراحل الجهـاد القلبية، ووصلوا إلى مـواطن الأسـرار، وهى لا تكون إلاّ بعـد ثبـات القلب على حـالة واحـدة، وهى الصـفـاء الأول. لأن مرحلة القلب هى التى يكون فيهـا الإنسـان متـقلب، وقد سمّى القلب قلباً لأنه يتقلب، فإذا ثبت تقلبه على جمـالات الدار الآخرة، وعلى جمالات الله الباهرة، ثبّته الله. وإذا ثبّته الله عز وجل يفتح له عين البصيرة.

من أجـل ذلك لا يطمع أحـد أن تفتح له عين بصيـرته وهو مـازال يتقلب فى أهواء الدنيـا، وما دامت عينـه تتطلع إلى أهواء الدنيـا، وما دامت نفسه تراوده فى شهوات وحظوظ الدنيا، سرّ قوله عز وجل:

(11) سـورة الأنفال : الآية 29.

﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾[١٢].

يعنى إياك أن تمد عينيك. فإذا قصرْت طرفك على الله، وأصبحت مشغولاً شغلاً كلياً بحضرة الله، ينطبق عليك قول سيدنا رسول الله ﷺ:

«من أصبح وجميع همومه هماً واحداً كفاه الله جميع همومه»[١٣].

فى هذه اللحظة يفتح الله لك عين القلب.

إذن عين البصيرة لا تفتح إلاّ بعد ثبات القلب على الود والحب لله عز وجل، وعلى الصفاء والوفاء مع أهل الله عز وجل، وعلى الإقبال بل والعكوف على سيد الأولين والآخرين ﷺ، وعلى الزهد والورع فى الدنيا وشهواتها وحظوظها وأهواءها.

وفى سبيل ذلك لابد لك من اختبارات يجريها عليك الله عز وجل آناً بعد آن، وتارة بعد تارة، حتى يرى ماذا أنت فاعل؟

فإذا ثبت بعد هذه الاختيارات ونجحت، تكون المكافأة لك من الله على يد سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، من باب قول الله عز وجل:

﴿ وأبصرهم فسوف يبصرون ﴾[١٤].

فمثل هذا يفتح له عين البصيرة سيدنا رسول الله ﷺ. لكن فى الحالة الأولى يتقلب، ولذلك يسع الكل، يسع العوالم الدنيوية والعوالم الأخروية، والعوالم الكونية والعوالم الروحانية، والعوالم الجنانية والعوالم النيرانية، والعوالم العرشية... كل هذه العوالم يسعها القلب، ولكن المهم على أى منها يثبت؟ هذا هو المهم.

ومن أجل ذلك كان سيدنا رسول الله ﷺ يقول له:

---

(١٢) سورة طه : الآية ١٣١.

(١٣) رواه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت والترمذى من حديث أنس.

(١٤) سورة الصافات : الآية ١٧٥.

« اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبّت قلبى على دينك».

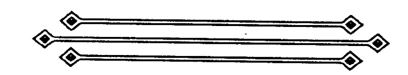
و (دينك) هنا يعنى حبك، وذلك فى المعنى الخاص بها. أى أن الدين هنا يعنى الحب الخالص من سيدنا رسول الله لحضرة الله.

فإذا ثبت القلب تبدأ عين البصيرة بعد ذلك.

وبعد فتح عين البصيرة، تظهر فى أفق القلب لوامع أنوار، وبروق أسرار، وشعاع أنوار، وسحب علوم ومواهب ولطائف وأسرار يفيضها الله عز وجل من صاحب هذا القلب على المقربين والأحباب والأطهار والأبرار، وكل واحد منهم يأخذ بمقدار، والذى قدّر هو مقدّر الأقدار عز وجل. ويبقى هناك بعد ذلك عالم عجيب وغريب لا يعلمه إلاّ حبيب، ويحرم من هذا الجمال كل إنسان معيب.

نسأل الله عز وجل أن يواجهنا بجماله، وأن يكشف لنا عن حضرات أنواره وأسراره، وأن يجمعنا فى الدنيا والآخرة على الصالحين من عباده وأخياره.

وصلى الله على سيدنا محمد سرّ قبضة أنواره، ومعدن لوامع أسراره وعلى آله وصحبه وسلم.



« دسائس النفس »

* حكم الوقت وواجب الوقت.
* حكم الاشتغال بالأذكار والنوافل أثناء خطبة الجمعة.
* بدوات النفس.
* موازين الشريعة وقاية من خواطر النفس.
* بوادر النفس فى معاملة الأهل.
* التجرّد من الهوى.
* عدالة الإسلام.
* تحقيق الخلافة عن الله عز وجل.
* فضيلة الاعتراف بالحق.



دسائس النفس

«أعـدى أعداؤك نفسـك التى بين جنبيـك»[1].

النفس بالنسبة للناس الذين هم على شاكلتنا، والذين ساروا فى طريق الطاعة، وحفظهم الله من دواعى المعصية، وليس من المعصية نفسها فقط، وإنما من دواعيها أيضاً، لأنه من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. فكون الإنسان يتعرض لدواعى المعصية، فإن هذا يجعل من الممكن أن يقع فيها، ولذا فنحن نأخذ الباب من أوله فنبتعد عن دواعيها.

ودواعيها هى أسبابها المهيّجة إليها، أو الباعثة لها، أو الموصلة إليها. فنبتعد عن هذه الأسباب كلها. وأقامنا الله عز وجل فى ميادين الطاعة، وفى أبواب العبادة، وفى أسباب القرب من الله عز وجل، وفى طرق الخير الموصلة إلى مراضى الله عز وجل فى الدار الآخرة. فتعجز النفس عن فتنة الإنسان وإغوائه عن طريق تزيين المعاصى والمخالفات، فتدخل للواحد منا من باب الطاعة.

كيف يكون ذلك؟

قد تأتى الإنسان من جهة أمر من الأمور الواجبة عليه مثل أمر السعى على المعاش، وهو ضرورى ليكفّ الإنسان نفسه وأولاده عن سؤال الناس، أو إذا كان عنده فائض فسيعود به على الفقراء من المسلمين، فيكون هو كنز الغنى لهؤلاء الفقراء والمساكين.

والمفروض على المسلم القادر أن يكون كنزاً لهؤلاء الناس، فيلجؤون إليه فى وقت الشدة أو وقت الحاجة، فيمدّهم بما أمره الله عز وجل به.

---

(١) رواه البيهقى فى الزهد من حديث أنس.

فتأتى إليه النفس وتقول له: إلى متى ستظل مشغولاً بهذه الدنيا؟ اترك هذه المصالح، وما كان لك فسوف يأتيك. وتأتى له بالآيات والأحاديث التى تؤيد ذلك. فيترك العمل ويجلس متفرغاً لعبادة الله عز وجل.

وهى عبادة صحيح، ولكنها هل هى الواجبة فى هذا الوقت؟

فيه عبادة واجبة، وهناك عبادة أوجب.

حكم الوقت وواجب الوقت

بالنسبة لهذه النقطة، فالعارفون قالوا: هنا مسألة فى فقه القلوب، لابد للسالك أن يعرفها. ما هى؟

قالوا: هناك شىء اسمه حكم الوقت، وشىء اسمه واجب الوقت، ولابد للسالك أن يعرف حكم الوقت وواجب الوقت، حتى يستطيع أن يفرق بين هذا وذاك، وقد ضربوا لذلك أمثلة ظاهرة شرعية كثيرة.

حكم نشوب حريق أثناء صلاة الجمعة

مثلاً: حان وقت أذان الجمعة. فما هو حكم الوقت؟

أداء فرض الجمعة.

دخلنا المسجد حتى نؤدى حكم الوقت، وساعة الصلاة بالضبط –لا قدر الله– حدث حريق. فما هو واجب الوقت؟

إطفاء الحريق.

هل نقدّم واجب الوقت هنا أم حكم الوقت؟

واجب الوقت.

هل نجلس نصلى فى المسجد ونقول أى أحد يطفئها؟

أو نقول كيف لنا أن نترك صلاة الجمعة؟

لا، لأن هنا تكون الفطنة، وهنا يكون الفقه. لأن واجب الوقت الأولى أن نطفىء النار، وبعد ذلك نصلى ظهراً. وفى الأمر سعة، والله عز وجل قد وسّع لنا فى هذه الأمور، لأن شريعة الله صالحة لكل الأحداث وكل الأزمنة، وكل الأمكنة، وكل المتغيرات التى يتعرض لها الإنسان فى حياته أو غيرها.

حكم المرض المفاجىء أثناء الصلاة

مثال ثان: وأنا أؤدى صلاة الجمعة، وبعد ما كبّر الإمام وكبّرت، سقط أحد المصلين بجوارى. هل أكمل الصلاة أم أسلم وأخرج من الصلاة لأنقذ الرجل الذى بجوارى؟

حكم الوقت هو الصلاة. أما واجب الوقت المفروض علىّ أن أنقذ الرجل الذى بجوارى ثم أصليها ظهراً بعد ذلك، وستكتب لى جمعة بأعلى أجر حصل عليه فرد من الأفراد على ظهر الأرض. لأن نيّتى هنا هى إنقاذ أخى المسلم.

وهذه الأمور من المحكّات التى تدخل النفس منها للإنسان، ولذا لابد أن يعرف الإنسان هذه المزالق.

حكم زيارتى للغير فى صوم النافلة

مثال ثالث: أنا رجل أصوم الاثنين والخميس، وأصبح شبه التزام عندى صوم مثل هذه الأيام، فأصبح حكم هذه الأوقات بالنسبة لى هو الصيام. لكننى ذاهب لزيارة أخ فى الله، وصادف يوم اثنين أو خميس، كما أتينا هنا بالأمس.

حكم الوقت بالنسبة لى هو الصيام، لكن واجب الوقت عندى أن أسمح لأخى أن يكرمنى، وأن يسعنى بما آتاه الله من الفضل.

إذن الواجب علىّ هنا أن أفطر. لماذا؟

حتى أسُرَّ أخى المؤمن، وإلاّ -كما قال العلماء: إن الذى لا يريد أن يفطر فعليه ألاّ يزور أحداً فى يوم صيامه حتى لا يغبن مسلماً. فإذا قدّم لى شيئاً من الطعام أو الشراب، وقلت له: أنا صائم، فجائز أن هذا الردّ يكسر خاطره، ويقول فى نفسه: لأجل أنى رجل فقير فهو يستضعفنى، ويرى أننى لا أستطيع القيام بالواجب. فنحن لا نعلم ما فى صدور الناس، ولا نعرف ما الذى فى نفوسهم؟

فأنا هروباً من هذه الإشكالات كلها، أفطر إذا كنت ناوياً أن أزور أحد من إخوانى المسلمين فى هذا اليوم، أو أجلس فى بيتى ولا أزوره إلاّ بعد المغرب، أى بعد الإفطار، إلاّ إذا كان -وهذه الحالات نادرة- لم يعد بينى وبين أخى كلفة، وهو عارف نظامى، وأنه لن يجد حرجاً فى صدره، كما أن نفسه لن تتغير. وهذه حالة استثناء للقاعدة وهذا موضوع آخر، لا يوجد فى كل الحالات.

حكم استقبالى للضيفان أثناء صومى نافلة

سؤال : إذا كنت صائماً وجاء أخى يزورنى فما العمل؟

الجواب : هذا الأمر يحتاج إلى الفطنة، فإذا وجدته أخاً لا يتأثر من صومى فلا مانع، وإذا وجدت أنه سيتأثر من صومى، ولن يأكل إلاّ إذا كنت سآكل معه وأشاركه، فأفطر من أجله وآكل معه، ولى أجرى عند الله عز وجل.

وهذا الفعل هو الذى يفعله الصالحون. إذا زاره أحد من إخوانه فيطلب الطعام، فيقولون له: ألست صائماً؟ فيقول: لقاء الأحبة عيد، والعيد يحرم فيه الصيام.

أى أن الإنسان لما يقابل إخوانه وأحباءه، فهذا عنده عيد. والعيد لا يصح فيه الصيام حتى يطيب الوقت، وقت السلامات والتحيات. كما كان يفعل أصحاب

رسـول الله ﷺ، كـمـا يقـولون عنهـم: «**كانوا إذا اجتمعوا لا يتفرقون إلاّ عن ذواق**»[٢].

ذواق يعنى شىء يذوقونه ويأكلونه، وهى التى نسـميها نفحة. فعنـدما نجتمع فى مجالس البرّ والخير، فلابد أن يكون فى آخر المجلس نفحة، فهذه سنة أخذناها عن أصحاب رسول الله ﷺ. فقـد كانوا يوزعون على بعضـهم آخر كل مجلس يجلسـونه شيئاً من الطعام أو الشراب، بلحة، تمرة، برتقـالة، أو أى شىء، لأنهم كانوا لا يفترقون إلاّ عن ذواق. أى لابد أن يذوقوا شيئاً مع بعض، يلتمسـون فيه البركة -بركة هذا المجلس.

لأن مجالس الخير هذه، كل شىء موجود فيها تحفّه البركة النازلة من السماء على أهل هذا المجلس. فالماء الذى فى المجلس يكون مباركاً، والشاى الذى فيه يكون مباركاً، والطعام الذى فيه يكون مباركاً. سرّ قوله ﷺ:

«**يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة**»[٣].

فتنزل الرحمة على كل شىء موجود فى هذا المجلس.

حكم نداء الوالدين على الولد أثناء الصلاة

مثال رابع: أصلّي في البيت، وأبى أو أمى نادوا علىّ. حكم الوقت هو الصلاة، ولكن واجب الوقت أن ألبى نداء الوالدين.

ماذا أفعـل؟

أنوى مفارقة الصلاة فوراً، وأسلم وأرد على الوالدين.

---

(٢) رواه الترمذى فى الشمائل.

(٣) رواه ابن حبّـان عن أبى هريرة رضى الله عنه.

حدث هذا مع سيد الأولين والآخرين ﷺ، عندما دخل المسجد ونادى على أحد أصحابه، فأكمل الصحابى، ثم نادى عليه ثانية، فاستمر فى الصلاة، ثم نادى عليه ثالثة، كذلك. وبعد الصلاة أتاه فقال: ما منعك أن تجيبنى إذْ ناديتك؟

قال: كنت فى الصلاة.

قال: ألم تسمع قول الله عز وجل:

﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾(٤).

فلابد أن تترك الصلاة وتجيب من فورك. لأن إجابة رسول الله فرض أوْلى من الفرض الذى أنت فيه.

حكم الاشتغال بالأذكار والنوافل أثناء خطبة الجمعة

مثال آخر: أرى بعض الناس الذين ليس لديهم انتباه، يكون الإمام على المنبر ويؤدى الخطبة، وهو يمسك بالمسبحة ويسبح، أو يصلى على حضرة النبى، أو يشتغل بذكر الله عز وجل، وهو على يقين أن ذلك عين الطاعة، مع أن الذى هو فيه عين المعصية!! مع أنه ذكر الله!!.

لأن ما المفروض عليه أن يفعله هنا؟

يسمع.. يستمع إلى المواعظ والعلم والحكمة، فالملائكة أنفسهم عندما يرون الخطيب وقد طلع المنبر تطوى ما معها من صحف وترفع ما معها من أقلام وتجلس. لماذا؟

لسماع الخطبة.

فكيف تشغل نفسك عن سماع الخطبة؟

---

(٤) سورة الأنفال: الآية ٢٤.

مع أن الله عز وجل بيّن الحكمة من السعى إلى الجمعة فى قوله عز وجل:

﴿ يا أيهـــا الذين آمنــوا إذا نودى للصــلاة من يوم الجمعــة فاسـعـوا إلى ذكر الله﴾(٥).

فالسعى هنا ليس للصلاة، لأن صلاة الجمعة ركعتان، وهى بديلة للظهر، والظهر أربع ركعات، وإنما السعى لذكر الله والمقصود به هنا التذكير بالحكمة وبالموعظة الحسنة من الإمام على المنبر لإخوانه المصلين.

فأنت هنا قد خالفت النهج القويم، والهدى المستقيم، وهو سماع درس العلم، مع أن درس العلم فرض، والأذكار التى ترددها نافلة.

كذلك أرى كثيراً من الناس يدخلون المسجد، فيجدون به درس علم قائماً، فيتركون درس العلم وينشغلون بأداء بعض النوافل، ولو بأن يؤدون تحية المسجد مثلاً.

فنقول لهم: لا، لأن تحية المسجد سنة، وسماع درس العلم فرض. فالواجب على الإنسان أن يجلس فوراً فى درس العلم، ويستمع إلى العلم.

بدوات النفس

فهذه الأمور يا إخوانى وغيرها كثير تحتاج إلى فطنة من السالك لبدوات النفس، ونوازع النفس، وخواطر النفس، لأنها تحاول كما قال الإمام البوصيرى رضى الله عنه وأرضاه:

كم حسّنت لذةً للمــرء قاتلة * من حيث لا يدرى أن السُّمّ فى الدسم

كم مرة تحسّن للإنسان هذا العمل لأنه طاعة، لكن هناك طاعة أوجب منه.

---

(٥) سورة الجمعة : الآية ٩.

كم يأتى بعض الإخوان إلىّ ويشتكون، ويقول: أريد أن أتزوج، فأقول: وما المانع مادمت مستطيعاً؟

فيقول: أبى ميسور الحال، وهو مصرّ على أن يحج كل سنة.

فنقول لمثل هـذا:

طالما أنت أدّيت الفريضة، فعليك أن تزوج أولادك.

وبالطبع فإن النفس تصور لمثل هذا أنه يقوم بأعظم العبادات، وأنفس الطاعات مع أن عين الطاعة هنـا -مادام قد أدى الفريضة- هو تزويج الأبنـاء، إلاّ إذا كان لا يوجد أحد من الأولاد متعرضاً للزواج، أو مستعداً للزواج، فالأمر هنا يكون مباحاً.

موازين الشريعة وقاية من خواطر النفس

فالسلامة من النفس يا إخوانى فى مثل هذه الأمور، تتطلب أن يكون الإنسان واعياً لكل خطرة توردها عليه، ومنتبهاً لكل لمة تقذفها فى صدره. لأن النفس دعيت للسكون، وهى تريد الحركة. فحتى تتحرك، فهى تريد أن ترسم لك أن هذه الحركة من عين الشريعة، وتأتى لك فى باطنك بدليل من القرآن، ودليل من السنة، أن ما تفعله هو الصحيح. بينما ربما يكون هناك شيئاً أصح.

كيف يتأتى لى أن أزن مثل هذه الأمور؟

أعرض كل خاطر يجيش فى صدرى على الشريعة المطهرة، وأزنه بها، فما وافق الشريعة أسارع إلى تنفيذه، وما خالف الشريعة أسارع إلى الخلاص منه. أما المتشابهات، والتى لا أستطيع أن أتبين فيها الخطأ والصواب، كالأمثلة التى ذكرناها، فأعرضها على أحد العارفين المحققين.

فدرس علم كالذى نحن فيه الآن، أين أجلس؟

الموازين كلها حدثت فى عهد سيدنا رسول الله. النبى ﷺ وهو جالس فى المجلس دخل ثلاثة:

الأول: ظل يزاحم حتى جلس بجواره.

والثانى: جلس فى آخر الحلقة.

والثالث: نظر قليلاً ثم رجع من حيث أتى.

فقال لهم: سأنبئكم عن ثلاثتهم.

أما الأول فأقبل على الله، فأقبل الله عليه، وهو الذى ظل يزاحم حتى وصل إلى الأول. لأن هذه هى السنة، السنة أن يزاحم الإنسان فى مجالس العلم، وكانوا كما يقولون: كان أصحاب رسول الله ﷺ يزاحمون فى مجالس العلم بالمناكب، والركب حتى يكونوا فى المواجهة على الدوام.

والثانى: أما الثانى فاستحى فاستحى الله عز وجل منه.

وأما الثالث فأعرض، فأعرض الله عز وجل عنه، لأنه نظر إليهم ثم رجع ولم يجلس معهم.

ففى كل الأمور، فأنت تقيس أمورك بموازين الشريعة. ولا تكون جامداً. وهذا يتطلب أن يكون عندك فقه فى دين الله، وفهم لأحكام الله، وذوق لمعانى كلمات الله. لأنك فى عبادة، ولكن جائز أن العبادة التى أنت فيها فوتت عليك عبادة توازى عمل الثقلين جميعاً لو كنت قمت بها فى هذا الوقت لله عز وجل فأنت قد تركت الحظ الأعلى من العبادة للحظ الأدنى.

بوادر النفس فى معاملة الأهل

هذه هى بعض البوادر -يا إخوانى- التى قد تدخل النفس عن طريقها، وخاصة كما قلت لإخواننا فى المعاملات مع زوجتى، ومع أولادى، ومع جيرانى، ومع أهلى. ففى هذه الأمور تكون أكثر:

الطريقة المثلى لنصيحة الزوجة

مثلاً: زوجتى أخطأت معى، أو فى حقى، وأنا أريد أن أؤدبها جيداً. فأنتظر لما يأتى جماعة من أقاربها، وأقول: هل يصح أن فلانة تعمل كذا وكذا؟ لأنى أريد أن أخزيها أمامهم.

هل هذه هى الطريقة الإسلامية فى النصيحة؟

لا، فالنصيحة على الملأ فضيحة.

إذن ماذا أفعل؟

كما قال النبى ﷺ:

«من نصح أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن نصحه جهراً فقد فضحه وشانه»[٦].

أى فضحه على رؤوس الناس.

إذن كيف أنصحها؟

بينى وبينها. ولهذا فإن رسول الله ﷺ حذّرنا أن نسأل الرجل: لِمَ اختلف مع زوجته؟

أى لا يسأل أحد منا الآخر هذا السؤال. فإن هو حكى لك فلا بأس بذلك، وإذا لم يخبرك فلا تسأله عنه، لأنه قد يكون أمراً لا يستطيع الإفصاح عنه، فتحرجه بسؤالك ذلك وتعرضه للعنت.

وهذه أمور جعلها الله عز وجل فى طى الكتمان، فلا يطلع عليها إلاَّ حضرة الحنان المنان عز وجل، وأنا يجب علىّ أن أعينه على كتمان مثل هذه الأمور.

---

(٦) أخرجه البخارى ومسلم عن عائشة بلفظ: «عليك بالرفق فإنه لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شىء إلا شانه».

معاملة الأب لابنه الراشد

وكذلك ابنى الكبير الذى بلغ سن الرشد، أقول لا ينفع معه التقويم إلاّ أننى أحرجه. كيف أحرجه؟

يأتى جماعة من أهلى وأقاربى، وأقول لهم: تعالوا، هل ينفع أن فلان يعمل كذا وكذا؟ وقد أصبح رجلاً الآن.

وهل الإسلام يوافق على هذه الطريقة؟

لا، بل قال: لاعبه سبعاً، وأدبه سبعاً، وصاحبه سبعاً وبعد الواحد والعشرين، اترك له الحبل على الغارب، وهذا ما بيّنه ﷺ فى قوله:

«لاعبه سبعاً، وأدّبه سبعاً، وصاحبه سبعاً، ثم ألق له الحبل على الغارب»[٧].

أى قل له: لقد أصبحت مسئولاً عن نفسك من الآن، ولك مطلق الحرية فى تصرفاتك مادامت لا تتعارض مع شريعة الله عز وجل.

وبالطبع نفسى تقول لى: إنك تفعل خيراً، فعلىّ أن أجيبها قائلاً: لكن ليست هذه هى الطريقة التى حضّ عليها رب الخير عز وجل.

التجـــرد من الهـــوى

ما الذى كان يسلّم أصحاب رسول الله ﷺ فى مثل هذه الأمور؟

أنهم كانوا يهاجرون من هواهم، ويهجرون نفوسهم، فلم يكن للنفس عليهم سلطان، ولم يكن للهوى عندهم موضعاً. فهذا سيدنا عمر وقد قابل الرجل الذى قتل أباه الخطاب -وهو أمير المؤمنين، فقال له: إنى أبغضك- لأنه قاتل أباه.

فقال الرجل: وهل تمنعنى حقاً هو لى؟

(٧) رواه الديلمى عن سعيد بن جبير.

قال: لا.

قال -وكان متبجحاً-: إذن الحب والبغض من شأن النساء.

فهو رضى الله عنه يبغضه، لكنه لا يمنعه حقاً هو له، لأن هذا ما ربّاهم عليه منهج الإسلام، وأكدّه فى نفوسهم سلوك نبى الإسلام ﷺ.

عدالة الإســلام

فلو حدثت بينى وبين أخى أمور وصلت إلى درجة البغضاء، هل هذا يستوجب أن أمنعه حقاً شرعياً هو له؟

لا، لأن الحق شيء، والبغض والكره شيء آخر.

ولنفرض أن هناك ابناً عاقاً لى، وقد كرهته أشد الكره، هل هذا يعطينى الحق أن أحرمه من الميراث من أجل أنى أكرهه؟

أيضاً لا. لماذا؟

كما قالوا: فابق للصلح موضعاً.

يمكن فى يوم من الأيام يرجع، فلا تندم على الذى حصل. فلابد أن يكون هناك موضعاً للصلح.

حدث بينى وبين زوجتى خلاف، هل يستوجب هذا أننى أمنعها حقوقها الشرعية كزوجة؟

لا. لماذا؟

لأن هـذه الحقوق الشرعيـة يا إخوانى -سـواء بالنسبة للزوجـة، أو للوالدين، أو للأبناء، أو للإخوة، وراءها مطالبة يوم الدين، إلاَّ إذا سامحونا. قال ﷺ:

«إذا كان يوم القيامة يشكو أهل الرجل الرجل إلى الله. يقولون: يا ربنا، خذ لنا بحقنا من هذا. يقول: ماذا؟ فيقولون: كان يطعمنا من حرام، ولم يعلمنا أحكام الإسلام».

أنت تظن أنك توسّع عليهم في المعيشة بأن تأتى لهم من هنا ومن هناك، وهم لا يدرون مصدره الآن، لكنهم يأتون يوم الدين يشكونك إلى الله عز وجل، عندما يجدون أن عملهم لم ينفع. لأن الذى يأكل الحرام عمله باطل وحابط، فيرفعون عليك قضية هناك إلى الله عز وجل.

ومثلها أيضاً الإنسان الذى يمنع ابنه من الميراث، أو الذى يمنع ابنه من حق أعطاه لجميع الإخوة، أو يمنع زوجته من حق المتعة، كما قال الله تعالى:

﴿ فتذروها كالمعلقة ﴾[8].

فإذا كان يريد أن يؤدبها، فليأدبها على حسب المنهج الذى وضعته الشريعة لذلك. كم هجر النبى ﷺ أزواجه؟

شهراً.

فلا يجب على المسلم، مهما كان وضعه، أن يزيد عن شهر وإلاّ فقد خالف هدى رسول الله ﷺ.

إذا كان هو نفسه يعلّمنا، عندما يريد أن يتعبد، لكنه نفل وليس فرضاً. فينام معها أولاً، ويتغطيا بغطاء واحد، ثم يقول لها: يا عائشة ذرينى أتعبّد لربى تلك الليلة. أى تسمحى لى – لأن هذا حقها، أن ينام معها الليلة، لأن هذه هى ليلتها. فلو تركها بدون إذنها، يمكن تشتكيه إلى الله عز وجل.

فأنا متزوج واحدة، فحقها ليلة كل أربع –كل أربعة أيام– كأنك متزوج أربعة، فكل واحدة حقها ليلة. إلاّ إذا كان هناك تسامح. لكن فى حالة الشقاق، لا يكون هناك تسامح بل تشاحن. فلو كانت مشحونة من هنا، فستشتكيك إلى الله

(٨) سورة النساء : الآية ١٢٩.

عز وجل. والله عز وجل وعد -وهو أصدق القائلين، وأحكم الحاكمين- بإحقاق الحق: **﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾**[٩].

لأنه لازم يعطى لكل ذى حق حقه. قال ﷺ: **«لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يأخذ الله عز وجل للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»**[١٠].

أى أن النعجة التى ليس لها قرون تشتكى التى نطحتها والتى لها قرون، فيعطيها الله حقها يوم القيامة.

تحقيق الخلافة عن الله عز وجل

فالإنسان المؤمن إذا أحب عبداً من عباد الله -ابنه أو زوجته، أو جاره أو رفيقه، أو أخاه فى الله- لا يؤديه هذا الحب إلى أن يعطيه فوق ما يستحق. وإذا أبغض عبداً من عباد الله، أيا كان -زوجته أو ابنه، أو جاره أو أخاه فى الله، أو رفيقه فى العمل- لا يؤديه هذا البغض إلى أنه يمنعه حقاً له من حقوق الله عز وجل.

لماذا؟

لأن المؤمن مثال اسم الله عز وجل العدل. فأنت تنفذ اسم الله العدل فى الأرض.

﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾[١١].

فأنت خليفته، إذاً ماذا تعمل؟

﴿ فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾[١٢].

كيف ذلك؟

---

(٩) سورة فصلت : الآية ٤٦.
(١٠) رواه مسلم.
(١١) سورة البقرة : الآية ٣٠.
(١٢) سورة ص : الآية ٢٦.

على وفق الشريعة. يعنى لا تشرك ما بداخلك من أهواء، وما بداخلك من نوازع، وما بداخلك فطَر -فى الواجبات والحقوق الشرعية والدينية والإسلامية الواجبة لجميع الناس، سواء بسواء.

حتى أن النبى ﷺ حذرنا من ظلم أهل الذمة -وهم الذين يسكنون معنا فى الوطن، وليسوا معنا فى الدين- لأن النفس قد تميل إلى ظلمهم. فقال ﷺ:

«من ظلم ذمياً أو معاهداً -المسيحيين واليهود- أو انتقصه حقاً هو له، فأنا حجيجه وخصيمه يوم القيامة»[١٣].

لأن هذا غير مسلم، وقد تقول لك النفس: لا بأس أن أضحك عليه، أو أغشه، أو أخدعه فى هذه البيعة أو تلك، والإسلام لا يجوّز لك ذلك، بل إنه يجعلك قائماً بالنيابة عن الله بالخلافة بتحقيق العدل فى دنيا الله عز وجل. فأنت قائم بالعدل حتى على نفسك. قال ﷺ:

«قل الحق ولو على نفسك»[١٤].

فضيلة الاعتراف بالحق

كيف هذا؟

الاعتراف بالحق فضيلة. افترض أنك أخطأت. ما الذى عليك لو تعترف وتقول: أنا أخطأت؟

ولكن كثير من الناس واقع فى هذا الأمر فى أيامنا هذه. فيقول: كيف أقول إننى أخطأت؟

وما الذى عليك فِى هذا؟! إنها فضيلة من الفضائل. فالذى يعترف بأخطائه هنا أحسن من الذى يقرّ بها ويعترف بها فى الموقف العظيم هناك. لأنها هنا مبنية

(١٣) رواه أبو داود عن عدة من أصحاب رسول الله ﷺ.
(١٤) أخرجه أحمد وابن حبان عن أبى ذر رضى الله عنه، وأخرجه البيهقى عن جابر رضى الله عنه.

على السماح، أما هناك فهى مبنية على الفضائح والأرباح، والحسنات والسيئات والمداولات. لأن هذا هو نظام الخصومات هناك.

حتى أن الإنسان منا من باب العدل -وكلنا بشر، وكلنا خطّاؤون- ما المانع أننى إذا أخطأت مع زوجتى أن أقول لها بعد فترة: يا فلانة سامحيني، أنا أخطأت فى حقك كذا وكذا؟ حتى تسامحنى. نحن قد نستكبر، لكن كمّل الرجال لا يستكبرون عن هذا، بل أكمل الأولين والآخرين ﷺ جاء على الملأ وقال:

«أقيدونى، فمن ظلمته مظلمة، أو أسأت له إساءة، أو أخذت منه حقاً بغير حق، فليستحله منى اليوم قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال»(١٥).

أى كل واحد أنا ظلمته فى كلمة، أو ظلمته فى مال -وهو ﷺ لم يظلم أحداً، ولكنه يعلمنا أنه لا يكبر على الحق إلاّ الحق وهذا فى مصلحتى أنا. فالنفس قد تقطع الإنسان بتكبرها، فكونها توقعنى فى هذا الخطأ، فهى تريد أن تحرجنى يوم القيامة.

لكن هذا الآن سهل، والبشر من طبيعتهم حب الإحسان، فلما أذهب لأخى أو لأختى، أو لابنى، وأقول له: سامحنى فأنا أخطأت بهذا التصرف فى حقك، فإنه سيقول بكل رضا: سامحتك وأكون بذلك قد علّمته الأدب فى مثل هذه المواقف عندما يتعرض لها. لأن هذا الأدب علّم عليه رسول الله ﷺ أصحابه الكرام.

فالنفس يا إخوانى هذا نظامها، ويحجبها عن الحق دائماً إعجابها بالرأى، مع أن رأيها قد يكون خطأ، أو أن رأيها يكون غير مصيب. وهذا من علامات يوم القيامة: إعجاب كل ذى رأى برأيه.

لكنا نحن جميعاً يجب أن نتفق على الإعجاب برأى واحد فقط، وهو رأى رب العالمين، ورأى سيد الأولين والآخرين، ونحن بعد ذلك آراؤنا كلها تبع،

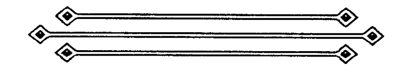
(١٥) أخرجه مسلم من حديث أنس رضى الله عنه.

نخطىء ونصيب. لكن الكلام الذى لا يخطىء ولا يصيب هو قول الله عز وجل وقول النبى الحبيب ﷺ.

فنحن يا إخوانى فى أمسّ الحاجة إلى معرفة مثل هذه النوازع، وهذا الموضوع بدأنا به هذه الحلقة فى مسلسل التربية الإسلامية وإن شاء الله فى كل دورة من الدورات، نتعرف لصدر منه، لكن الأساس فى هذا هو الصدق مع أنفسنا فى هذه الأمور، لأنك أنت الأمين على نفسك، فتصدق فى نفسك ومع نفسك فى المعاملات حتى تنال مقام الصديقية العظمى عند الله عز وجل.

فإن الصديق رضى الله عنه وأرضاه كان لا يكبر عنده شىء مثل الحق، ويقول لهم: الصغير فيكم كبير عندى مادام الحق معه، والكبير فيكم صغير عندى مادام الحق عليه. أى لا صغير ولا كبير إلاَّ بالحق.

نسأل الله عز وجل أن يجملنا بجمال أهل الحق، وأن يرزقنا فى سيرنا وسلوكنا إليه كمال الصدق، وأن يجعلنا من عباده المخلصين وأن يرزقنا مقام الإخلاص الخاص الذى ذكره فى قرآنه المجيد، وأن يجعلنا من عباده المخلصين، وأن يجعلنا روحانيين فى حركاتنا وسكناتنا، قرآنيين فى تصرفاتنا ومعاملاتنا، محمديين فى أخلاقنا وتوجهاتنا، بجاه النبى ﷺ وسر الفاتحة.





فوائد صحبة العارفين

* من البدع المصرية القديمة
وفاء النيل - شم النسيم
* نسيم الحبيب ﷺ
* الأحبة حملة عطر المحبة
* علاج أمراض القلوب
* انفتاح عين البصيرة
* سماع الحقائق
* التحدث مع الملائكة
* المكالمة والمحادثة
* مقام التصريف
* سر صحبة الصالحين



فوائد صحبة العــــارفين(*)

من البدع المصرية القديمة

نريد توضيح كيفية شـم النسيم بالنسبة للمؤمنين، أولاً هـذا ليس عيـداً لنـا يا إخوانى، لأنه عيد وارد عن قدماء المصريين. فكان المفروض أن ينتهى بعد مجىء الإسلام، وكل الأعياد التى كانت خاصة بالقدماء لما جاء الإسلام أنهاها وأبطلها.

بدعة وفاء النيــل

وقد ضرب لنا مثلاً أعظم فى ذلك فقد كان هناك عيداً اسمه عيد وفاء النيل -وحتى الآن يكتب فى نتائج التقويم، وإن كان لا يوجد أحد يحتفل به الآن-.

وماذا كان يحدث فيه؟

يقولون: إن نهر النيــل كان يجف -يعنى فى فترة الجفاف- ولا تأتى الميـاه إلاّ إذا اختاروا بنتاً تكون ملكة جمال، وتكون ما زالت بكراً، ويلبسونها أحسن زينة، ويحلّونها بالذهب، ويعملون احتفالاً عظيماً جداً عند الروضة فى مصر، ويرمونها فى قلب النهر.

أحد الحاضرين: وتموت؟

نعم تموت. وبعد ذلك تأتى المياه.

وتأتى الميــاه أيضاً.

نعم.. وهكذا الشيطان.

(*) كان هذا الدرس بالمجلس بالجميزة مركز السنطة غربية، بعد صلاة العشاء بمناسبة يوم شم النسيم.

ولما فتح سيدنا عمرو بن العاص مصر، وجد هذا الأمر، وقالوا له: النيل ووفاء النيل.

قال لهم: لا، هذا الكلام لا يجوز.

فلما أكثروا عليه فى الكلام احتار، فأرسل إلى سيدنا عمر رضى الله عنه، فقال: نعم ما فعلت، وكتب له ورقة صغيرة -حتى تعرفوا أن الكرامات موجودة من قديم ومن أيام الصحابة، ولا تسمعوا للجماعة المنكرين الذين ينكرون الكرامات- قال له خذ هذه الورقة، ووقت الاحتفال تعمل احتفالاً، وبدل أن يرموا العروسة ارم هذه الورقة.

وهذه الورقة عبارة عن رسالة بسيطة، مكتوب فيها: من عبد الله -عمر ابن الخطاب- إلى نيل مصر:

«إذا كنت تجرى من عندك فلا حاجة لنا بك -لسنا نريدك- وإذا كنت تجرى بأمر الله فسر على بركة الله».

فأقام سيدنا عمرو بن العاص الاحتفال، وجمع الناس، وتجمعت خلائق لا حصر لها يريدون أن يتفرجوا -والناس دائماً تحب الاستطلاع- والنيل كان فى القاع وليس فيه مياه إلاّ قليلاً. فرمى الورقة -ومن عجب أنه فى نفس اليوم ارتفع النيل حتى غطى المقياس -مقياس النيل العالى الذى يقيسون به ارتفاع المياه فى النيل.

لماذا؟

حتى تبطل هذه العادة الجاهلية.

بدعة شم النسيم

ومن ضمن هذه العادات، تلك العادة التى نحن بصددها عادة شم النسيم. وهذا شىء ما أنزل الله به من سلطان، وما يحصل فيه لا يرضى عنه الرحمن.

وطبعاً أنا لا أتكلم عما يحدث عندنا فى القرى فإنه لا يحدث عندنا شىء والحمد لله، إن كان الناس تأكل أو تشترى حاجة فهو أكل، ولكنى أتكلم عما يحدث فى المدن فى هذا اليوم من المهازل التى تحصل، والمساخر التى تحصل، والمساقط التى تحصل. هذه كلها تستوجب غضب الجبار سبحانه وتعالى، لولا بقية من الصالحين يرحم الله بهم العباد.

ولذلك كان الإمام أبو العزائم رضى الله عنه -وكان فى القاهرة- لا يخرج من المنزل فى هذا اليوم ويقول: هذا يوم الشيطان. وذلك لكثرة المنكرات التى تحدث فى هذا اليوم من الجاهلين والمنحلين، وهى أشياء نمتنع عن ذكرها لظهور فسادها.

نسيم الحبيب ﷺ

إذن ما شم النسيم بالنسبة للمؤمنين؟

النسيم بالنسبة للمؤمنين هو الروائح الزكية التى تهب على القلوب من الحبيب المحبوب ﷺ، فتحرك القلب إلى حضرة علام الغيوب سبحانه وتعالى، وهذا هو نسيمنا. وهذا الذى كان يقول فيه الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه:

يا نسيماً من رياض المصطفى *** بالتهانى مرّ ينبى وبالوفا

نسيم يأتى من الرياض والحدائق.

حدائق من؟

حدائق ورياض رسول الله ﷺ، وليس من حدائقنا التى عملناها. بل إنه آت من حدائق رسول الله، وهذا النسيم أو رائحة رسول الله ﷺ هذه، لو شمّها إنسان يمكن يتوه عن العالم كله، لأن رائحة رسول الله ﷺ كانت تشمّها الملائكة فى الملكوت الأعلى.

فعندما كان يمشى فى شارع من شوراع المدينة، كان الشارع الذى يمر به تنبعث منه رائحة عطرة وزكية، حتى أنه عندما يأتى أحد يبحث عن رسول الله، يعرف أنه مر فى هذا الشارع من رائحته الزكية ﷺ -والرائحة تفوح فى الشارع كله- فيظل ماشياً متتبعاً تلك الرائحة حتى يصل إلى زهرة النبوة ﷺ.

وإذا سلّم على أحد، تظل رائحة كفه ﷺ فى كف هذا الإنسان لمدة أسبوع. وكذلك إذا وضع يده الشريفة على رأس طفل صغير، يظلون يشمون رائحة رسول الله فى هذا الطفل لمدة أسبوع.

فكانت رائحة رسول الله ﷺ -ولا زالت- هى الرائحة التى تنعش القلوب.

فنحن الآن إذا أغمى على إنسان ماذا نفعل؟

نشممه رائحة حتى يفيق.

كذلك إذا أغمى على إنسان بمعنى أن الدنيا تغمّى عليه الأمور فلا يعرف الإيمان، ولا طريق الإيمان، ولا طريق الاستقامة، ما الذى يجعله يفيق من هذه الحالة؟

لا توجد إلاّ رائحة رسول الله ﷺ. فإذا شمّ رائحته ﷺ فيفيق، ويعرف الطريق المستقيم، ويهتدى إلى نهج الصالحين، ويسير إلى الله سبحانه وتعالى.

الأحبّة حملة عطر المحبّة

رائحة رسول الله ﷺ أين نشمها الآن يا إخوانى؟ الرائحة العامة هذه نشمها فى الورد، فأين نشم رائحة رسول الله ﷺ؟

عند الصالحين. ففى الحقيقة هم الأزهار، والورود، والرياحين، الذين أقامهم الله فى الوجود، والتى تشمها القلوب فتهيم حباً وتيهاً فى حضرة علاّم الغيوب سبحانه وتعالى.

ولذلك فأحد الصالحين أحب أن يعرّف أولاده الأولياء وأحوالهم، وأنه ليس بينهم خلاف، فأخذهم فى يوم ونزل بهم إلى الحديقة (الجنينة) وجلسوا ساعة يراقبون الأزهار والورود التى فى الجنينة ثم سألهم: هل ترون هذه الأزهار؟

قالوا: نعم.

فقال: هكذا الصالحون. كلهم أزهار، وكلهم ورود، وكل واحد له رائحة خاصة، وله طعم خاص، ولكنها كلها جميلة المنظر، عطرة الرائحة فى مشام الحاضرين.

هذا هو نظام الصالحين رضى الله عنهم وأرضاهم. فهم الذين نشمّ منهم رائحة رسول الله ﷺ. يعنى رائحة القرب من رسول الله، فنشم فيهم رائحة أخلاقه، ونشم بهم رائحة أعماله، ونشم منهم رائحة صفاته، ونشم بهم رائحة مقاماته، ونشم عليهم رائحة مكاناته ﷺ، فنشتاق إلى مثل هذه الأمور.

ما الذى يجعل الإنسان يطلب هذه الأمور؟

عندما يسمع عنها.

لكن ما الذى يجعله يشتاق أكثر؟

عندما يسمع عنها من أهلها، فهذا يجعله يشتاق إلى أحوال سيدنا رسول الله ﷺ، فيبحث عنها ويحاول الوصول إليها. وهذا ما قاله أحد الصالحين:

ريحانة الرحمن عُبّاده *** وشمّها تقبيل أيديهمو

رياحين ربنا سبحانه وتعالى -التى زرعها للناس- تشمها القلوب ما هى؟

هم الجماعة الصالحون. ولذلك لما يجلس الإنسان معهم ويشم رائحتهم المعنوية، ويلمس أحوالهم العلية، لا يفتكر الدنيا، ولا يفتكر المشاكل، ولا يفتكر حتى أهل ولا ولد، بل ينسى هذا الكلام كله وهو جالس معهم، لأن هذه الرائحة تسكره.

عــلاج أمــراض القــلوب

هذا بالإضافة إلى أن الله سبحانه وتعالى يعالجه بالجلوس معهم من الأمراض التى تمنع الإنسان من الإقبال على حضرة الله.

ما الذى يجعل بعض الناس عندما يستمعون لإذاعة محطة القرآن يتضايقون ويقولون غيّر يا أخى موجـة المذياع، هـل ستجعلها لنـا محزنة؟ هات لنـا أغنيـة أو أى شيء آخر؟

هذا لمرض أصـيـبت به أذنه، ولكنهـا أذنه الداخليـة (البـاطنيـة) أذن القلب الداخليـة، فلا يريد أن يسـمع شـيئاً يفكره بالمـصـائب والمشـاكل والذنوب التى هو فيها، ولا يريد أن يعيش فى هذا الغم فى نظره على الدوام.

ما الذى يجعـل الإنسـان ينظر فى الصحيفة وفى المجـلة ولا يمـل، وإذا نظر فى كتاب الله ولو صفحة واحدة أو آية واحدة يضيق صدره، ويمل ويتركه وينصرف ماشـياً؟

هــذا أيضـاً مرض فى العين الداخليـة، يجعلهـا تظل تنظر وتتمتع بما تراه فى الشارع، فتنظر إلى الذاهبة والآتية ساعات طوال ولا تمل، لأنها معاصى فهى تتمتع بالنظر إلى المعاصى، ولكنها تنفر من النظر إلى الطاعات.

هذه كلها يا إخوانى أمراض تمنع الإنسان من القرب من الله سبحانه وتعالى. وكيف يعالج الإنسان منها؟

بجلوسـه مـع الصالحين، لأنهم أطبـاء القلوب الذين أقامهم الله عـز وجـل فى الكون لعلاج الناس من هذه الأمراض، ومن هذه الأخطار، ويجعلون الإنسان عينه صحيحة.

وماذا يقصد بالعين الصحيحة فى نظر الله عز وجل؟

عين صحيحة فى نظر الناس يعنى تنظر بدرجة ستة على ستة. أليس كذلك؟ لكن العين الصحيحة فى نظـر الله ليس هــذا شرط لهـا، ولكنها لا تنظر إلاّ إلى

ما أحله الله. هذه هى العين الصحيحة. لكن الجماعة الذين عيونهم ستة على ستة، ولكنهم ينظرون إلى المعاصى ماذا قال فيهم الله؟

﴿ وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾(١).

فهؤلاء الكفار، يحدّقون فيك، ولكنهم لا يبصرونك.

هل كانوا لا يرونه؟

كانوا يرون هذا –هذا الجسم– لكنهم لا يرون المعانى التى وضعها ربنا سبحانه وتعالى فى هذا الجسم. ولذلك كانوا يقولون ما الفرق الذى بيننا وبينه؟

﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق﴾(٢).

إنه مثلنا يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ولا فرق بيننا وبينه.

أما العين الداخلية فقد قال الله عز وجل فيها:

﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾(٣).

انفتــاح عين البصيرة

إذن عين القلب من الذى يعالجها يا إخوانى؟

أين هى المستشفى –فى العالم كله– التى تعالج هذه العين؟

أرونيها؟ وأين هى؟

والذى يريد أن تفتح له عين القلب لماذا يطلب ذلك؟

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٩٨.
(٢) سورة الفرقان : الآية ٧.
(٣) سورة الحج : الآية ٤٦.

لأن عين القلب إذا فتحت ترى الغيوب. فأول ما ترى، ترى الكون كله، وبعد ذلك ترى الملكوت، السماء الأولى والسماء الثانية... بعد ذلك ترى العرش، وترى الكرسى، وترى كل شىء لأنها عين لا نهائية مثل عين الله.

﴿كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به﴾[٤].

أين هى المستشفى التى تعالج هذا المرض؟

وأين الطبيب الموجود حالياً ويعالج هذه العين؟

لا يوجد، فأطباء العالم لا يعرفون حتى أين هى من الجسم؟ فعين البصيرة هذه هل لها مكان ظاهر فى الجسم؟ لا، لأنها شىء معنوى.

من الذى يعرفه؟

الذى يعرفه هم أطباء القلوب الذين تخرجوا من جامعة سيدنا رسول الله ﷺ، وصدر لهم شهادة دكتوراه معتمدة من رسول الله. وغيرهم لا يوجد فى الوجود بأسره أحد يعرف عن البصيرة شيئاً غيرهم.

من الطبيب الآخر الذى يستطيع أن يعالج عين البصيرة إلاَّ هم؟

وهذا هو التصريح الذى قال فيه الله لرسوله:

﴿وأبصرهم فسوف يبصرون﴾[٥].

أى فتّح لهم أعينهم حتى يروا، لأنك أنت الذى معك المرهم والقطرة التى تفتح هذه العيون، ولا يوجد أحد سواك.

فرسوا الله ﷺ علّم صفوة فى كل زمان ومكان ليعالجوا الناس من هذه الأمراض. وهذا العلاج يا إخوانى ليس من أدوية وعلاجات ظاهرة لكنه يتطلب أشفية باطنية.

---

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٥) سورة الصافات: الآية ١٧٥.

فسيدنا موسى عليه السلام، أول ما ناجى الله عز وجل –فى مقام المكالمة– رجع بعد ما شاهد أنوار الله، ليرى النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء على مسافة اثنى عشر كيلومتر. فلو نملة سوداء فى ليلة مظلمة جداً وعلى مسافة اثنى عشر كيلو متراً يراها!!

أين هذه القطرة التى تعطى هذا النظر الحاد جداً؟

لا يوجد إلاَّ قطرة الأنوار الإلهية، والتى إذا جاءؤنا ومرروها على العين تنفتح فى الحال. أو الأشعة النورانية –وليس أشعة الليزر– فيعالجونه هكذا بانتظام بما آتاهم الله من الأشعة النورانية، فيأتون للمريد كل حين بلمسة نورانية خفيفة على عين الفؤاد، حتى تنفتح عين الفؤاد، فيصير كما قالوا:

قلوب العارفين لها عيون ****** ترى ما لا يراه الناظرون

وأجنحة تطير بغير ريش ****** إلى ملكوت رب العالمين

فتكون مثل عين سيدنا عمر، لما وقف فى المدينة ورأى قائده على مسافة أربعة آلاف كيلومتر. فعينه كانت سليمة، وأيضاً الهاتف عنده كان سليماً.

قال له: يا سارية.

فأجابه: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: الجبل.

كيف هذا؟

استخدم هذه العين –الداخلية، العين القلبية والتى أعطاها الله سبحانه وتعالى لنا جميعاً، فهى موجودة معنا، لكنها تحتاج العلاج حتى تستنير.

هذه العين –والحمد لله– موجودة فينا كلنا، ولذلك فإن الطفل الصغير قبل النطق، يرى من عوالم الله، ومن غيوب الله، ومن ملائكة الله، ما لو رآه مثلنا لصعق، لأنه لا يزال سليماً معافى، فهو يرى الملائكة الصاعدة والملائكة النازلة،

والحفظة الذين معنا. يرى كل هذا وساعة ما يتعلم النطق، تبدأ هذه العين تقفل مرة أخرى، ولا تفتح بعد ذلك إلاّ بعد أن يتعالج الإنسان. وأثناء العلاج لابد وأن يمشى فيه بالتدريج مع التمكين، لأنه لو فتحت العين مرة واحدة يتجنن، كما نرى بعض الناس وهو ماشى فى الطريق يقولون أنه جذب مرة واحدة.

وجذب يعنى هنا أن عين القلب فتحت مرة واحدة على عالم الملكوت، وعندما يرى غرائب الملك وعجائب الملكوت يتوه، فينسى الدنيا وينسى الناس، وقد يمشى حافياً أو يمشى عرياناً، ولا يبالى بطعام أو شراب، ولا حرّ أو برد، ولا ليل أو نهار.

لماذا؟

لأنه خرج فجأة من الحالة البشرية إلى الحالة الملكوتية وبدون مقدمات، فغطّت عين البصيرة على عينه الحسية، لشغله بالكلية بعالم الملكوت. لكن سيدنا رسول الله ﷺ يعالج أولاده الكمّل بالتدريج، حتى لا تطغى نورانيتهم على بشريتهم، ولا تحجب بشريتهم نورانيتهم، فينظرون بالعينين، ويتمتعون بالمشهدين، ويتمكنون فى المقامين.

فهذه العين.. العين النورانية هى -يا إخوانى- الهدف الرئيسى من صحبتنا للصوفية، لكى يعطينا ربنا هذه العين، ويفتح لنا هذه العين التى بها ننظر إلى ما لا يراه الناظرون، من أنوار، ومن عوالم، ومن أسرار، ومن أحوال، ومن أفعال.

ولحظة واحدة من هذه المكاشفات، تجعل الإنسان منا يغيب عن الدنيا وما فيها شوقاً إلى الله سبحانه وتعالى.

سماع الحقائق

أيضاً الأذن الثانية (الداخلية)، ونحن فينا الأذن الظاهرة حتى نتكلم مع بعض ونسمع بعض، وأيضاً من ضمن الحقائق التى ركّبها الله بداخلنا، تلك الأذن الداخلية التى تسمع جميع اللغات وتفهمها.

لغة الطيور بأصنافها وأشكالها، ولغة الحيوانات بأصنافها وأشكالها، ولغة الملائكة، ولغة الجن، ولغة الجمادات، ولغة السموات، ولغة الشمس، ولغة القمر. كل هذه اللغات تستطيع أن تسمعها فى وقت واحد، ولا تشغلها لغة عن لغة.

كيف يكون هـذا؟

هـذا أمر غريب!!

هذه الأذن ربنا سبحانه وتعالى ركّبها فينا، وكان سيدنا رسول الله ﷺ يدرب أصحابه عليها أحياناً. فذات مرة أمسك بحصيات رمل فسبحّن فى يده ﷺ، وسمع من حوله هذا التسبيح، فوضعهن فى يد سيدنا أبو بكر فسبحّن، وسمعوا التسبيح، ثم وضعهن فى يد سيدنا عمر فظللن يسبحن كذلك وسمعوا التسبيح، ثم وضعهن فى يد سيدنا عثمان فكان كذلك، فوضعهن فى يد إنسان آخر، فلم يسمعوا شيئاً.

إن الرمل يسبح على الدوام، وهل حصل فى وقت من الأوقات أن توقف عن التسبيح؟

لا، إن أى شىء فى الكون، كما يقول رسول الله ﷺ: **«ما من طائر يذبح، أو شجرة تقطع إلاّ لغفلتهم عن ذكر الله فى تلك الساعة»**[٦].

ما عقاب الطائر الذى يغفل عن تسبيح ربنا؟

يذبح، هذا من أجل أن تعرفوا رحمة الله بنا، فما الذى نستحقه نحن؟

إذا كان الطائر الذى يغفل لحظة يذبح، فكيف بنا ونحن نغفل أياماً وليالى، وشهور ودهور؟ لكنه سبحانه رحيم بنا، وشفوق علينا. والشجرة التى تغفل عن ذكر الله لحظة، ما عقابها؟ تقطع. لذلك كل شىء كما قال الله:

﴿وإن من شىء إلاّ يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾[٧].

إذن ما معجزة سيدنا رسول الله ﷺ هنا؟

---

(٦) رواه السيوطى فى الجامع الكبير.
(٧) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

المعجزة أنه ﷺ أسمعهم هذا التسبيح مع أنهم مازالوا على مثل حالتنا هذه.

فهذه الأذن الداخلية يظل العارف يجليها للإنسان، ويصلحها ويصقلها، ويزيّنها حتى تفقه تسبيح الكائنات.

وبأى شىء يجليها؟

بذكر الله عز وجل. قال ﷺ:

«إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: وما جلاؤها يا رسول الله قال: ذكر الله تعالى»[٨].

وبما يزيّتها؟

بالصلاة على رسول الله ﷺ، بالزيت الذى يزيت القلوب. فيظل يجلى فيها ويزيت حتى تلين، فتبدأ تسمع أصوات الكائنات التى حوله. وفى هذه الحالة إذا لم يكن الإنسان فى حالة التمكين، أو بمعنى أصح إذا لم يكن فى معية أحد الصالحين، يمكن أيضاً يتشتت.

فالشيخ ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه، يحكى عن حالته فى ذلك الوضع فيقول: «لما فتح لى باب سماع التسبيح، سمعت كل شىء حولى يسبح بنغمات شجية جداً، لا أستطيع أن أصفها».

موسيقى ليس لها شبيه، تجعل الإنسان يرقص. فلا تتعجب إذا رأيت هذه الحركات على أحد من السالكين فى هذه الحالة، لأنها تكون موسيقى ليس لها مثال. إذا كنت عندما تسمع موسيقى الشيطان هذه تجعلك تهتز، فكيف بك إذا سمعت موسيقى الرحمن – فقال: سمعت الجدار يسبح، وسمعت الشباك يسبح، وسمعت الباب يسبح، وسمعت العروق تسبح. سمعت كل شىء يسبح.

وسمع بماذا فى هذه الحالة؟

---

(٨) رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

قال: سمعت بكل شيء. شعرى يسمع، وعينى تسمع، وأنفى يسمع، وأذنى تسمع، ويدى تسمع.

كيف يكون هذا؟

هذا الكلام قد يكون غريباً علينا، لكنها هى الحقائق التى نريد أن نصل إليها.

كيف ترى بهذه العين؟

لأنها شفافة بعض الشيء، فإذا ظللت تجاهد هذا الجسم حتى يشف، فيصير الكل شفافاً. فكما ترى بالعين ترى بالرأس من الخلف، وترى بالأذن، كما كان رسول الله ﷺ يقول:

«إنى أرى من خلفى كما أرى من أمامى»[٩].

ترى بكل شيء.

هذا الزجاج عبارة عن ماذا؟

رمــل.

وهل هذا الرمل يكشف شيئاً من وراءه؟

لا، لـكن إذا أدخــل النــار يصير شفافاً. وكذلك الجسم هو من طين، لكنه إذا أدخل نار الجهاد والطاعة والعبادة يشف، وكل مدى يشف، وكل مدى يصف، وكل مدى يرق، إلى أن يصير شفافاً فيرى كل شيء. فيرى الذى أمامه والذى وراءه، ويسمع كما قلنا، يسمع تسبيح الكائنات.

تسبيح الكائنات بماذا؟

بلغاتها المختلفة، حتى يكون سماع التسبيح ألذّ عنده من الخمر، كما قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه فى هذا الشأن -وليس تسبيح الكائنات فقط، وإنما يسمع تسبيح أعضائه هو، فيجد الأظافر تسبح، والشعر يسبح، والعينان تسبحان، والرجلان تسبحان والبطن تسبح، وكل جزء فى الجسم يسمعه يسبح.

---

(٩) رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه.

أظن أن هذا الأمر يذهل يا إخوانى!

من منا يتحمل مثل هذا مرة واحدة؟

إنه يتجنن فوراً. وقد قال فيها الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه:

نغمات تسبيح الكيان مُدامى *** يصغى لها قلبى يزيد هيامى

قلبى لدى التسبيح يصغى واجداً *** وجد المؤله من فصيح كلامى

هذه هى خمرته، والكيان هو الجسم. تتكلم بكلام فصيح، وليس كما يقول بعض العلماء أنها تتكلم بلسان الحال، ولكن الإمام أبا العزائم رضى الله عنه يقول إنها تتكلم بلسان فصيح ولها لغة واضحة. لأنه إذا كانت هذه الأشياء ستأتى يوم القيامة وتشهد، فسيدنا رسول الله ﷺ يقول فى الحديث الشريف:

«ما من شيء يبلغه صوت المؤذن إلاّ ويشهد له يوم القيامة حتى الحجر»[١٠].

فالحجر الذى يسمع صوت المؤذن يأتى يوم القيامة ويشهد للمؤمن بأنه كان يؤذن. ويشهد يعنى ينطق ويتكلم.

وهل الشهادة تنفع من أخرس؟

لا، لابد وأن ينطق ويتكلم.

كيف يتكلم؟

باللغة الفصحى.

كيف؟

إنها قدرة الله، ولا عجب على قدرة الله جل وعلا.

(١٠) رواه البخارى من حديث أبى سعيد رضى الله عنه.

التحدث مع الملائكة

فيبدأ الإنسان يسمع تسبيح الكائنات، ثم بعد فترة يسمع كلام ملائكة السموات، يكلمهم ويكلمونه.

واحد من الجماعة الصوفية، وكان حصل فتنة فى بغداد –ودائماً بعض العلماء يغيرون من الصوفية، لماذا؟ من أجل هذه الأحوال فيقولون: لماذا أخذوا هذه الأحوال دوننا؟

إنهم أناس جاهدوا، وأنتم جعلتم الحكاية كلها فى الكتب، والكتب ليس فيها هذه الأمور، وكيف تأتى الكتب بهذه الأحوال؟

هذه هى الكتب أمامك، كيف توصّل إلى هذه الأحوال؟ اجلس وامكث اقرأ ليل نهار. لا ينفع إلاّ بصحبة الأخيار وإلاّ برضا النبى المختار–.

فلما اعترضوا عليهم، اتهموا ثلاثة منهم وأخذوهم بأنهم خارجون عن الإسلام، وحكموا عليهم بالقتل. فلما وقفوا لينفذوا فيهم حكم الإعدام، تقدم أحدهم وقال: ابدأ بى الأول.

قال له: لماذا؟

هذا شيء غريب!!

هل هناك أحد يحب أن يقتل قبل غيره؟

قال: نعم.

انظر إلى أحوال الصالحين الغريبة!!

قال: أريد أن أوثر إخوانى بحياة ساعة. نحن تعلمنا الإيثار وأحب أن أوثرهم، أفضلهم على نفسى ويعيشوا ساعة بعدى ليذكروا الله سبحانه وتعالى فيها، ويعبدوا الله فيها.

طبعاً هذه حالات فوق العقل. فلما رأوا هذا منهم قالوا: هؤلاء ليسوا ناساً عاديين. فاستأذن القاضى الخليفة وقال له: دعنى أسأل وامتحن هؤلاء الناس.

فلما سأل الرجل -وكان اسمه أبو الحسين النورى، لأنه كان إذا جلس يذكر ويطيل الذكر، كان وجهه ينور كأنه مصباح ضخم ينور لمسافة كبيرة من حوله، من شدة ذكر الله. فهذه من أين نأتى بها من الكتب؟ فسموه النورى، لأنه لما يذكر الله ويأخذه الحال فى الذكر ينور المكان الذى فيه كله من وجهه من ذكر الله سبحانه وتعالى، وذلك على الدوام.

وهذا هو حال الصالحين. ولذلك فالصالحون يقرأون فى الظلام فليس عندهم ظلام ولا نهار، لأنهم يقرأون بنور الله، ونور الله عز وجل لا يحجبه ظلام-.

فقال له: أريد منك أن تجيب عن هذه الأسئلة.

فانتظر قليلاً ثم التفت عن يمينه، ثم التفت عن يساره ثم أجابه عن الأسئلة كلها إجابة عظيمة فوق العقل.

فقال له: أريد أن أعرف لماذا التفت عن يمينك وعن شمالك قبل أن تجيب؟

فقال: سألت الحافظ الذى عن يمينى فوجدته لا يعرف الإجابة، فسألت الذى عن يسارى فوجدته لا يعرف الإجابة، فسألت قلبى فأجابنى عن ربى بما سمعت.

فالرجل سأل الملائكة الذين معه -فهم معه على الدوام- فسأل الأول هل تعرف الإجابة؟ قال: لا. والثانى، هل تعرف الإجابة؟ قال: لا، قال: أمرى إلى الله، أجيب عن الله مباشرة.

فيصل إلى درجة أن يتكلم مع الملائكة، ثم بعد ذلك يتدرج ويتكلم مع الملكوت الأعلى، ثم بعد ذلك يبدأ خطاب الحق تبارك وتعالى.

المكالمة والمحادثة

وخطاب الحق -لما سألوا سيدنا موسى عليه السلام: كيف سمعت كلام الله؟ أى سمعته بأى كيفية؟

يا ترى مثل كلامنا؟ لا، لأن كلام ربنا ليس له صوت ولا حرف.

قال: سمعته وكأنه قصف الرعود (أى صوت الرعد)، مع البروق الخاطفة، مع أجمل لذة لم أسمعها فى حياتى قط.

قالوا: هل ربنا كلّمك بكل كلامه مرة واحدة.

قال: دعونى أسأله.

فقال: يارب هل كلمتنى بكل كلامك؟

قال: لا، لقد كلمتك بعشرة آلاف لسان -يعنى عشرة آلاف لغة فى وقت واحد، وكلهن فهمهن سيدنا موسى عليه السلام- ولو كلمتك بكل كلامى ما استطعت أن تتحمل يا موسى.

فيصل الإنسان إلى الدرجة التى يقول عنها سيدنا رسول الله ﷺ:

«من أراد أن يتكلم مع الرحمن بغير ترجمان فليقرأ القرآن»[11].

فلا يحتاج لمترجم بينه وبين الله عز وجل، فيكون الكلام محادثات شفوية مباشرة. وهذه يسمونها حالة الكفاح والمكالمة والمشافهة، فيكون الكلام كفاحاً. وصاحب تلك المنزلة فى هذه الحالة يتكلم مع ربه كفاحاً أو مشافهة، وقد يكون مشاهدة.

وهذه هى الحالة التى يتمناها المصطفون من عباد الله، أن يبدأ الإنسان يسمع كلام الله من الله، ويبدأ يتكلم أيضاً مع الله، هذه هى الحالة التى نحن من أجلها نصحب الصالحين.

لماذا؟

ليفتحوا لنا عين البصيرة، فترى آيات الله المنيرة، ويفتحوا لنا آذان السريرة، فتسمع تسبيح الكائنات، وتسمع كلام ملائكة السموات، وتسمع كلام الله

---

(11) رواه الخطيب والديلمى عن أنس رضى الله عنه.

سبحانه وتعالى المنزه عن الحرف والصوت والجهات، ويفتحوا لنا لسان القلب — ليبدأ اللسان يتكلم، فيتكلم مع الجمادات، ويتكلم مع الحيوانات، ثم مع الملائكة ومع الجن، ويفهمونه ويفهمهم.

مقــام التصريف

وهذا ما يقولون فيه:

«عبدى أطعنى أجعلك عبداً ربانياً تقول للشيء كن فيكون»

وهو لا يقول له كن فيكون إلاّ إذا كان عارفاً لغته. فأنت لا تستطيع أن تأمر أى حيوان من الحيوانات بأمر إلاّ إذا فهم ما تريد، فحتى ينفذ. لازم يكون عارف ماذا تقول له؟ ويفهم، ولكى يفهم لابد أن تخاطبه بلغته.

وكما تعرفون، هذا الكلام كان حاصلاً مع سيدنا سليمان عليه السلام، كان يكلم جميع الطيور، وجميع الحيوانات، وذلك بكل لغاتها فى وقت واحد.

وهذا الكلام كان حاصلاً أيضاً مع سيدنا رسول الله ﷺ. يعنى لما جاء سيدنا رسول الله واختار ستة من أصحابه ليبعثهم للملوك والرؤساء الذين حوله، فكل واحد ذاهب إلى دولة، وكل دولة لها لغة.

قالوا: وكيف نتحدث مع هؤلاء يا رسول الله؟

قال: ما دمتم عزمتم، فإذا عزمت فتوكل على الله. وأمرهم أن يأتوا فى الصباح لأخذ الكتب ويتجهون حيث أمرهم.

فذهبــوا وناموا تلك الليــلة، وكان فى ذلك الوقت قـد جهّـز لهم صــلوات الله وسلامه عليه حلقة دراسية سريعة جداً، ومكثفة جداً فى الملكوت الأعلى بالأرواح. فكل واحد نام صعدت روحه بسرعة إلى مركز اللغات الإلهية تتعلم هذه اللغات. فأصبحوا فى الصباح وكل واحد يتكلم لغة الدولة التى هو ذاهب إليها،

مع أنه لم يجلس أمام مترجم، ولا جلس أمام اسطوانة، ولا جلس أمام أستاذ مادة، ولا حضر فى مركز لتدريس اللغات، ولا شىء من هذا القبيل.

وهذه الحكاية ليست غريبة. فالشيخ أبو خليل رضى الله عنه وأرضاه كان أمّياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان يتكلم بجميع اللغات الحية أفضل من أهلها. كيف؟

هذا فضل الله.

كيف يكون ذلك؟

يكون هنا تعليم الله، من باب ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾(١٢).

سرّ صحبة الصالحين

وهذا هو السبب الذى يجعلنا نصحب الصالحين. فلم نصحبهم لشىء آخر، وإنما نصحبهم ليكرمنا ربنا بهذه الأشياء. ونصحبهم أيضاً إلى جانب ذلك حتى يكرمنا الله بأننا نحشر معهم، وأننا نحظى بشفاعتهم، وبأننا نكون فى الدنيا مكرمين بهم، ومرفوعاً عنا الأذى بسببهم. قال ﷺ:

«إن الله يرفع البلاء عن أهل مائة بيت من جيران الرجل الصالح إكراماً له»(١٣).

فالرجل الصالح ربنا سبحانه وتعالى يأتى له بمائة بيت حوله من جيرانه، ويرفع عنهم البلاء من أجل خاطره. وهذا إذا كان قدره متواضعاً، وكلما يزيد فى الصلاح والتقوى يكون العدد أكثر، حتى أنه أحياناً الواحد منهم ربنا يرفع البلاء عن شعب كامل، أو عن دولة كاملة بسببه. لماذا؟

كما جاء فى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ:

---

(١٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(١٣) رواه الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنه.

«إن لله عباداً إذا أراد الله بأهل الأرض عذاباً نظر إليهم، فصرف العذاب عنهم»[١٤].

أى يقول من أجل هؤلاء أعفو عن هؤلاء، ولذلك قال سيدنا رسول الله ﷺ لسيدنا أبى هريرة رضى الله عنه:

«يا أبا هريرة عليك بهم، فإن الأرض بهم فرحة، والجبار عنهم راض، واتخذهم لنفسك إخواناً»[١٥].

اجعل هؤلاء هم إخوانك، ينفعونك في الشدة، وينفعونك فى الرخاء. وهؤلاء هم الذين قال فيهم سيدنا عمر رضى الله عنه وأرضاه: «عليك بإخوان الصدق تعش فى أكنافهم، فإنهم عدة عند البلاء وزينة عند الرخاء».

فوقت الشدة تجده جارك، لأنه لا يفر منك، وساعة الرخاء فهو زينة لك، وفخر لك أنك ماشى مع رجل من الصالحين، وفخر لك أنك بصحبة من يطيعون الله، ومع من يخشون الله، ومع من هم على منهاج رسول الله ﷺ.

وقد قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه ملمعاً إلى تلك الأحوال، وواصفاً بعض هذه الأسرار:

أثبتونى فى الكنز عند شرابى
وأرونى حسنى فتاه صوابى

علّمونى علماً خفيّاً فلاحت
شمس قربى لدى حلول اقترابى

ترجموا لى عنى بمعنى شهودى
رفعوا لى عنهم شريف نقابى

---

(١٤) أخرجه الديلمى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(١٥) رواه الخطيب فى الزهد عن أسامة وأبى هريرة.

رفعوني فوق العوالم حتى
عاينتْ مقلتى صريح إيابى

ثم لاحت بوارق النور صرفاً
فانجلى عندها عظيم حجابى

ورأيت أنى أنا هو لما
أن تجرّدت عن سنى الطلاب

وسمعت الخطاب منى جهاراً
أنت منى فلا تمل عن رحابى

عندها نلت بالشهود يقينى
وتجلت عوالمى لجنابى

واستويت على أرائك عرشى
ورأيت الأملاك طوع جنابى

ما أنا عندها وحقك إلاّ
واحد عند غيبتى واقترابى

صورة الحسن فى العوالم منى
وملوك السما على أعتابى

سجدت لى ووحّدت عين ذاتى
عندما قد سقيتها من شرابى

قطرة منه تجعل الترب تبراً
وقليل به سعادة الأحباب

من يذق بعضه يترجم عنى
بعلومى ويهتدى بخطابى
ها أنا قد كشفت حسنى فهيّا
فتحلوا بجواهر الأصحاب
واحرقوا الحجب واصعدوا لترونى
فبراقى سهل على أعتابى
بادروا بادروا لتعيين سرى
يا أولى العزم واحفظوا آدابى
قد كشفت النقاب عن حسن وجهى
فاشربوا الراح من رحيق جنابى
واشهدونى بالحسن والذوق إنى
للذى يرتجى كشفت حجابى
وأبحت الشهود عيناً ووصفاً
فاطلبوا الحسن وافتحوا أبوابى
وادخلوها برحمة وسلام
قد حفظتم من جفوتى وعتابى
وصلاة تدوم ما دام ربى
لهلال أضاء للأحباب

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



« مرض قسوة القلب »

أعراضه - أسبابه - علاجه

* أعراض قسوة القلب :
  - فقدان حلاوة الطاعة.
  - الذهاب متأخراً لصلاة الجمعة.
  - الإعراض عن ذكر الله.
* علامات إقبال الله على العبد.
* الأوقات الفاضلة.
* أسباب قسوة القلب :
  - كثرة الكلام في غير ذكر الله.
  - الكلام مع النساء.
  - الشبع.
  - فضول النظر.
  - أكل الحرام.
  - كثرة المنام
* الخروج من عادات النفس.
* واجب الإخوان نحو بعضهم.



أعراض قسوة القلب(*)

من الأمراض التى انتشرت فى عصرنا هذا -من الأمراض القلبية- مرض اسمه «قسوة القلب». وقسوة القلب هذا -والعياذ بالله- من ألعن الأمراض التى قد تصيب كل مؤمن ومؤمنة.

ما أعراضه؟ وما أسبابه؟

فقدان حلاوة الطاعة

أعراض المرض أن لا يجد الإنسان عنده قابلية للطاعة، ولا يشعر بحلاوتها ولا لذتها، بل يحسّ بأنها عبء ثقيل يريد أن يتخلص منه.

كما يحدث أحياناً لبعض إخواننا، بأنه ليس له نفس لقراءة الصلوات، فيظل يتلكأ هنا وهناك، إلى أن تنتهى قراءة الصلوات ويأتى لأنه ليس له نفس لقراءتها!

هذه الصلوات على مَنْ؟

إنها على سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، لكن هناك قساوة فى القلب تجعل صاحبه لا يحب هذا العمل. بينما إذا أجلسته فى مجلس غيبة ونميمة -إلى ماشاء الله- لا يمل. وإذا قلت له: قم يا فلان. يقول لك: انتظر قليلاً.

لماذا؟

لأن الغيبة والنميمة صفات محبوبة للقلب القاسى، والبعيد عن الله عز وجل.

(*) هذا الدرس بالمجلس الأسبوعى الذى ينعقد كل يوم اثنين بعد صلاة العشاء بالجميزة مركز السنطة - غربية.

تقول له: اقرأ في المصحف. يفتح المصحف ويقول لك: لقد أصابني الصداع. ساعة ما يمسك المصحف لا أعرف لماذا يصاب بالصداع؟

تقول له: امسك كتاب ديني واقرأ فيه.

يقول لك: عندما أمسك الكتاب لا أعرف لماذا ينتابني النوم؟ وأحاول أن أتغلب عليه دون فائدة.

هذا الكلام موجود في زماننا هذا، وهذه أعراض المرض والعياذ بالله.

الذهاب متأخراً لصلاة الجمعة

تجد الواحد منهم يأتي يوم الجمعة ويزوغ يميناً وشمالاً إلى أن يسمع المؤذن يقول: قد قامت الصلاة، ويدخل المسجد.

لماذا تأخرت يا فلان؟

يأتي إليك بحجة، ولازم يأتي بحجة!! كأن يقول: الخطيب لا ينفع، أو إنه لا يعرف الكلام.

وهذه كلها حجج واهية، لأن المؤمن يقصد بعمله وجه الله أو الثواب. وكشوف العلاوات تظل إلى أن يصعد الخطيب المنبر، وساعة ما يصعد الخطيب المنبر، فإن كشوف العلاوات تطوى، والذي يدخل بعد ذلك، ليس له في هذه العلاوة التشجيعية الخاصة بيوم الجمعة نصيب.

وهذه العلاوة ذكرناها مراراً وتكراراً. فالذي يروح في الساعة الأولى كأنه ذبح جمل، والذي في الساعة الثانية كأنه ذبح بقرة –ووزعها على الفقراء والمساكين، وله أجرها– والثالثة كأنه ذبح كبش، والرابعة كأنه ذبح دجاجة، والخامسة كأنه تصدق ببيضة.

والذى يأتى بعد أن يصعد الإمام للمنبر، ليس له شيء، ولا يكتب فى هذه الكشوف. ولذا فأنا لا يمنعنى من التبكير عدم إجادة الخطيب، أو كونه يخطب من ورقة، فكل هذا لا يلزمنى، لأن أهم شيء عندى أن أحصل على الثواب.

لكن كل هذه علل نفسية تتعلل بها النفس، لتبعد الإنسان عن الزاد الذى أمرنا أن نتزود به رب العباد عز وجل.

الإعراض عن ذكر الله

أيضاً من أعراض قسوة القلب أن الإنسان ليس له نفس يذكر الله. فالواحد منا عندما يكون ماشياً أو قاعداً، أو راكباً قطاراً أو سيارة، ما الذى يمنع لسانه أن يذكر الله فى ذلك الوقت إلاّ الخيبة، -عفواً- التى حطّت عليه، وتجعله يضيّع عمره هدراً، وسيندم عليه يوم لقاء الله عز وجل.

أنت ماشى، لماذا تمشى ساكتاً؟

بدلاً من السكوت اذكر الله، بأى ذكر، استغفر الله، أو صلّ على سيدنا رسول الله ﷺ، أو قل لا إله إلاّ الله. فأى ذكر منها ينفعك يوم لقاء الله عز وجل.

لكن كون المرء حين يمشى أو يقعد، أو يركب أو ينام، لا يوفّق فى تلك الأوقات لذكر الله، فهذا دليل على أنه من أهل الخذلان، الذين خذلهم الله عن طاعته -والعياذ بالله- عز وجل.

وهذا أكبر خذلان يعرّض الله عز وجل له الإنسان، أن يخذله عن طاعته وعن عبادته، لأن الأمر كما قال ﷺ:

«إن الله يعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الإيمان إلاّ لمن يحب»[1].

---

(١) رواه الحاكم وصحح إسناده والبيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود رضى الله عنه.

علامات إقبال الله على العبد

ما علامة حب الله للعبـد؟

قال ﷺ: «إذا أحب الله عبداً ألهمه ذكره»[٢].

الناس فاكرين أن الذى ربنا يحبه، يأتى له بالمال الكثير، أو يجعله يشترى أرض، أو يجعله يكثر رصيده، بينما هذه الأشياء ليست علامة الحب. فلو كانت هذه الأشياء علامة حب الله كان الله منع المال وهذه الأشياء عن الكافرين الذين نحن نحتاج إليهم، ونمد لهم أيدينا فى كل وقت وحين.

لكن ما علامة حب الله؟

أن يلهم الإنسان أن يذكر الله. ولذلك كيف تعرف أن هذا الرجل موفق وربنا راض عنه؟

إذا وجدته مشغولاً بذكر الله عز وجل، مقبلاً على الله، ومقبلاً على كتاب الله، ومقبلاً على الصلاة، ومقبلاً على الصيام، ومقبلاً على دروس العلم النافع، ومقبلاً على الصالحين، يسمع كلامهم، ويتأدب معهم بالآداب التى أمر الله عز وجل بها المؤمنين والمسلمين فى كل وقت وحين.

هذه يا إخوانى علامات إقبال الله على العبد، وحب الله عز وجل للعبد فى كل وقت وحين.

الأوقات الفاضلة

من علامات قسـوة القلب أيضـاً، عـدم توفيق الإنسـان لطاعة الله عز وجل فى خير الأزمان. فهناك أوقات فاضلة اختارها الله لطاعته.

(٢) أخرجه صاحب كنز العمال.

فاختار لنا فى كل ليلة الساعة التى قبل الفجر، واختار لنا للصيام يومى الاثنين والخميس، واختار ليلة النصف من شعبان، وليلة السابع والعشرين من رجب، وليلة القدر، وليلة السابع عشر من رمضان، وليلة عاشوراء، ويوم عرفة.

والذى لا يوفق لإحياء هذه الليالى، فهذا دليل على قسوة القلب، وإعراض القلب، وغفلة القلب عن الله عز وجل. قال ﷺ:

«إذا أحب الله عبداً سخره لأفضل الأعمال فى أفضل الأوقات»(٣).

فيجعله يحيى هذه الأوقات الفاضلة بالطاعة، ومن ضمنها أيضاً ليلة الجمعة. فالصالحون لهم ليلة الجمعة ويوم الجمعة مقدار مخصوص فى طاعة الله عز وجل. فيحيون الليلة بالطاعة، ويصبحون يوم الجمعة وليس لهم بضاعة إلا طاعة الله عز وجل.

أسباب قسوة القلب

أعراض القسوة كثيرة، وقد ذكرنا بعضاً منها، فما أسبابها؟

سنذكر أيضاً بعض هذه الأسباب. أول هذه الأسباب:

كثرة الكلام فى غير ذكر الله

فالناس في زماننا هذا عندهم شهوة الكلام -عمال على بطال. ويريد الواحد أن يتكلم فى أى حاجة، حتى أننى فوجئت من بعض إخواننا الذين يذهبون معنا فى السياحات الروحانية لكى يستفيدوا، أنهم يشغلون أوقاتهم حتى فى هذه السياحات فى الكلام فى السياسة، أو الدنيا، أو الذكريات، أو فى الكورة!!

إذن لماذا أنت ذاهب؟

---

(٣) أخرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول.

إن الذى يذهب فى هذه السياحات الفاضلة، ذاهب ليتزود من طاعة الله، فيقول خيراً أو يصمت. فالذى ذهب ليشترى بضاعة الإيمان، لا يشغل نفسه ببضاعة أهل الخسران –والعياذ بالله عز وجل– فقد قال ﷺ فى حديث ما معناه، واحفظوه جيداً:

«لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم، وإن أبعد شيء عن الله عز وجل القلب القاسى»(٤).

فصاحبِ القلب القاسى بعيداً جداً عن الله عز وجل. وكثرة الكلام هى دليل الإفلاس. مَن الإنسان المفلس؟

الذى لم يوفقه الله لجنى الأرباح فى الدنيا، والأرباح فى الطاعات والأذكار والاستغفار.

فالذى لا يستطيع أن يستغل وقته فى هذه الطاعات، ويشغله بالكلام الثانى الفاضى والهابط والهازل، هذا هو الإنسان المفلس، والذى يأتى يوم القيامة، والنبى ﷺ يقول فى شأنه:

«أتدرون مَن المفلس؟»(٥).

هو هذا. مفلس من أى شيء؟

من الطاعة. لأنه حتى إذا عمل طاعة فى يوم، فكلمة غيبة واحدة تضيّع هذه الطاعة، لأنه إذا اغتاب إنساناً، يتحول رصيده إلى هذا الإنسان، وإذا انتهى رصيده فيحمل من سيئات الذين تكلم فى حقهم.

ولذلك قال ﷺ –وقد كان جالساً ذات يوم وشم أصحابه ريحاً منتّنة–:

أتدرون ما هذه الريح؟

قالوا: لا.

---

(٤) ورد على لسان بعض الصوفية.
(٥) متفق عليه.

قال: «هذه رائحة الذين يغتابون الناس»[٦].

شمّمهم رسول الله هذه الرائحة. رائحة منتنة.

﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾[٧].

وكان ﷺ فى سفره. وفى السفر كان يكلف كل فقير من المسلمين بخدمة اثنين من الأغنياء لكى يكفلوه ويأكّلوه، ويشربوه ويحملوه معهما. فكلف سيدنا سلمان الفارسى بخدمة رجلين من الأغنياء -وكان الفقير يسبق ليمهد المكان الذى ينزلان فيه- فسبق سيدنا سلمان ومهّد لهما المكان، ولكنه كان متعباً فنام ولم يجهز لهما الفطور (الأكل). فوصلا فقالا: ابحث لنا عن طعام عند النبى.

فذهب إلى رسول الله ﷺ، فقال له: اذهب إلى أسامة فقال له: ليس عندى شىء.

فقالا لأنفسهما: إنه عنده ولكنه بخل به علينا، وقالا لسلمان: ابحث عند إنسان آخر. فكلما ذهب يسأل عن طعام لا يجد. فقال أحدهما: دعه، فوالله لو أرسلت سلمان إلى بئر مليئة بالماء لذهب ماؤها.

وبعد قليل، إذا برسول الله ﷺ خارجاً، فسألهم:

«ماذا تريدون؟

قالا: طعاماً.

فقال: ما لى أرى على أفواهكما خُضرة اللحم؟ -عليه بقايا اللحم-.

قالا: يا رسول الله ما أكلنا فى يومنا هذا شيئاً قط.

قال: أعلم ذلك، ولكنكما أكلتما لحم أسامة وسلمان»[٨].

---

(٦) رواه السيوطى فى الجامع الصغير عن أنس.
(٧) سورة الحجرات: الآية ١٢.
(٨) رواه السيوطى فى الجامع الصغير عن أنس.

وهذا مثل عملى حى على الفور.

فمجالس الكلام بغير ذكر الله كلها، يقول فيها ﷺ:

«ما جلس قوم ثم قاموا على غير ذكر الله عز وجل، إلاّ وقاموا على أنتن من جيفة حمار»[٩].

ولذلك من السنة أن نعطر مجالسنا بذكر الله، أو بتلاوة من كتاب الله، أو تلاوة حديث عن رسول الله، وفى آخر المجلس نقول كما علمنا رسول الله ﷺ ونحن قائمون:

«سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك»[١٠].

فقد قال ﷺ: من قال هذه الكلمات آخر المجلس كانت كفارة لما ارتكبه فى هذا المجلس.

فمثل هذه المجالس تقسّى القلب.

السبب الثانى : الكلام مع النساء

فإذا كان الكلام مع الرجال يقسّى القلب، فالكلام مع النساء أكثر أثراً فى قسوة القلب، ودائماً الإنسان يميل للحديث مع النساء، وخاصة أن أعمالنا كلها الآن أصبحت –من البلاء الذى نحن فيه– مملوءة بالنساء، وطبيعة الإنسان تميل للحديث معهن. فالكلام مع النساء يا إخوانى يقسى القلب.

(٩) رواه أحمد وابن حبّان عن أبى هريرة رضى الله عنه.
(١٠) رواه أبو داود والترمذى والحاكم من حديث عائشة رضى الله عنها.

السبب الثالث : الشبع

فكثرة الأكل والامتلاء يمنع رقة القلب ولينه وخشوعه لله عز وجل. ولذلك سألوا أحد الصالحين:

لماذا لا نجد الخشوع فى الصلاة؟

فقال لهم: يضع أحدكم بينه وبين الله مِخْلاة من الطعام، ويريد أن يجد أثر الخشوع!

نحن كلنا -اليوم الذى نصوم فيه، نكون أخشع لله عز وجل يا إخوانى. لماذا؟

لأن الخشوع دائماً يأتى مع عدم الإفراط فى الطعام.

فضول النظر

السبب الرابع -الرئيسى والذى يقسى القلب- كثرة النظر للرائحين والغادين، والرائحات والغاديات. فإن من ملأ عينه من النظر، ملأ الله قلبه حسرات.

لماذا؟

لأن المؤمن مطالب بقول الله عز وجل:

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم﴾[١٢].

لابد أن نغض البصر، والذى لا يغض بصره سيندم بعد ذلك أشد الندم، ولن ينفعه الندم. لأن كثرة الالتفات تملأ أفق القلب بالحجب القاطعات، وتعقبها الغفلة والحسرات.

ولذلك قال ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه وأرضاه فى حكمه:

---

(١٢) سورة النور : الآية ٣٠.

«كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته؟

أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته؟

أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهّر من جنابة غفلاته؟

أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته؟» .

فالقلب المليء بالصور التى حولنا، ولا يزال ينظر إليها يميناً وشمالاً، فمتى يصفو ليرى صورة روحانية، أو صورة ملكوتية أو رؤيا حسنة منامية؟

أين يرى هذه الأمور؟

فالذى يعيش فيه، هو الذى ينام فيه، وهو الذى سيراه. وهذا ما يحدث، وما يتبع، فلابد أن نفرّغ القلب شيئاً فشيئاً حتى يتفضل الله عز وجل عليه بما تفضل به على عباده الصالحين.

فالأسباب يا إخوانى هى:

- كثرة الكلام بغير ذكر الله عز وجل.
- الكلام مع النساء.
- الشبع.
- النظرات المحرمة.

أكل الحرام

بعد ذلك الطامة الكبرى، والداء الأعظم، هو أكل الحرام -والعياذ بالله عز وجل. فإن من أكل حراماً لم يلتذ بطاعة أبداً، ولو عبد الله على الدوام إلى نهاية الأيام، فإن الله يعاقبه فيحرمه من لذة الطاعة.

واالقمة الواحدة يعاقب صاحبها بالحرمان من لذة الطاعة أربعين يوماً. فإن تاب وأناب ردّت إليه حلاوة الإيمان، وإن لم يتب إلى الله وينيب بقى فى هذا الحرمان على مدى الأيام.

كثرة المنـــام

هذه بعض الأسباب الرئيسية، ويضاف إليها كثرة المنام. ولذلك قالوا:

«من أراد أن يحيى الله عز وجل قلبه، فليشغل بذكر الله وقته، وليغض بصره وأعضاءه عن الحرام، وليتقوّت من الحلال، ولا يملأ بطنه من الطعام، ولا يشبع عينه من فضول النظر، ولا يمكن جسمه من كثرة المنام».

هذه يا إخوانى الأشياء التى إذا استطعنا أن نعمل بها، فسوف -إن شاء الله- نشفى من داء القسوة، ونحسّ بالرقة واللين، والخشوع والخضوع وحلاوة الإيمان وطعم الإيمان. قال ﷺ:

«ذاق طعم الإيمان من رضى بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً»(١٣).

الخروج من عادات النفس

بقى كلمة واحدة: نحن جماعة صوفية، والذى يأتى معنا يريد أن يتناول من المائدة الروحانية التى نحن جالسون عليها -ويأكل منها- وعلى رأسها سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

والذى يريد أن يكون معنا ويأكل معنا، لابد أن يغيّر من نفسه، ويكون مثل إخوانه. لكن الذى يريد أن يظل على ما هو عليه من أخلاقه ومن طباعه، ومن عاداته، لا ينفع يا إخوانى.

(١٣) رواه أحمد ومسلم والترمذى وابن حبان عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه.

أى إنسان ينضم لجماعة لابد وأن يأخذ خلق هذه الجماعة، لأنه أصبح واحداً منهم، وأصبح عنواناً عليهم، والناس ينظرون إليه على أنه فرد منهم. فلابد أن يمشى على نظام الجماعة التى هو منها.

والآفة الموجودة فى هذا الزمان هى التى قال فيها رسول الله ﷺ:

«إعجاب كل ذى رأى برأيه»(١٤).

فكل واحد معجب برأيه، وكل فرد معتقد أنه هو الذى على الصواب، وأنه يفكر تفكيراً لا يماثله تفكير أحد، وأنه فى العقل وفى النباهة، وفى الذكاء ليس له مثيل. كل هذا صحيح إذا لم يكن هناك حكم وارد من شرع الله عز وجل.

لكن مادام هناك حكم وارد من شرع الله، فالواجب على العبد مهما كان ذكاؤه، ومهما كانت نباهته، ومهما كان اجتهاده، عليه أن يخضع لحكم الله عز وجل.

فنحن ما جُمعنا إلاّ لتنفيذ الشريعة، وليس هناك أحد كبير على أوامر الشريعة المطهرة. والشريعة هى الحاكم فيما بيننا.

واجب الإخوان نحو بعضهم

فلما يأتى أحد من إخوانى، ويقول لى: هذا الموضوع الذى تعمله ليس صحيحاً، فلا يصح أن أقول له: ليس لك دخل بهذا.

كيف أقول له: ليس لك دخل ونحن جميعاً رجل واحد؟!!

إن الذى لا يقبل النصيحة من إخوانه ليس بأخ. أليس كذلك يا إخوانى؟ لأن هذا الكلام قد يحصل من بعض إخواننا، فقد يأتى أخ يقدم النصيحة لأخيه، فيرد عليه بقوله: ليس لك شأن بى.

(١٤) رواه البزار والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب من حديث أنس رضى الله عنه.

كيف تقول له ليس لك شأن بي ونحن إخوان؟

وإذا كنا لا ينصح بعضنا بعضاً، فقد خنّا الأمانة. لأن النبى ﷺ قال لنا جميعاً: «الدين النصيحة

قلنا: لمن يا رسول الله؟

قال: **«لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**(١٥).

فلابد من النصيحة. حتى أنه قال لابد أن تشاوروا.

من نشاور؟

قال: «شاوروا العاقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا»(١٦).

ومن الإنسان العاقل؟

قد يظن البعض أنه شديد الذكاء، ولكن النبى ﷺ وضّح صفاته، وبيّن نعوته فقال عن العاقل: إنما هو الكيس الفطن، الذى دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، فهو الإنسان الذى يراقب الله ويخشى الله. ولذلك فالله يجرى الخير على لسانه.

فمن أجل ذلك نحن نشاوره، لأننا متأكدون أن الخير الذى جاءنا على لسانه إنما هو من عند الله عز وجل.

وقوله ﷺ: «شاوروا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا» فالذى يعصى سوف ينـدم.

وهذا كـان نظام الصـالحين فى كل وقت وحين يا إخـوانى. فـالناس لماذا يشاورون إخوانهم ويشاورون الصالحين؟ لأنهم يجدون فى هذه المشورة فضل الله، وهداية الله، وتيسير الله عز وجـل. ومن أجل ذلك لا يوجد أحد يعصيهم فى أمر من الأمور إلاّ ويندم بعد ذلك.

---

(١٥) رواه أحمد عن ابن عباس، وهو ومسلم وأبو داود والنسائى عن تميم الدارى، والترمذى والنسائى عن أبى هريرة.

(١٦) رواه الخطيب عن أبى هريرة رضى الله عنه.

هذا أيضاً من المواضيع التى يجب علينا أن نراعيها فيما بيننا، ألا وهى النصيحة. وقد قال ﷺ: **«المؤمن مرآة المؤمن»**(١٧).

فلابد أن يكون كل منا مرآة لأخيه. يبين لأخيه عيوبه، ويبين لأخيه الصفات الغير وجيهة فيه. والمؤمن الكيس الفطن يكون مثل سيدنا عمر رضى الله عنه، الذى كان يقول: «رحم الله امرأ أهدى إلىّ عيوبى». فهو الذى يطلب من الناس أن توجه إليه عيوبه، حتى يكون ماشياً على النهج المستقيم.

ومن ناحية أخرى، قال تعالى:

﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج﴾(١٨).

فلا يجوز أبداً أن واحداً منا يحرج أخاه فى أى أمر من الأمور، لأن الدين ليس فيه حرج.

وكيف يحرجه؟

مثلاً يذهب إليه، ويقول له: يا فلان سأتناول طعام الغداء معك اليوم، وهو يعرف أنه غير مستعد لذلك.

فهذا إحراج.

أو يا فلان، أريد منك أن تنجز لى الموضوع الفلانى، والفلوس لما يحين موعد صرف الراتب. وهو يعرف أن أخاه ليس معه المال اللازم.

يا فلان: أين أنت ذاهب؟

ذاهب لمكان كذا.

طيب أنا آت معك.

أنا لا أريدك.

لابد أن أذهب معك.

---

(١٧) رواه الطبرانى فى الأوسط والضياء عن أنس والبخارى فى الأدب وأبو داود عن أبى هريرة.

(١٨) سورة الحج : الآية ٧٨.

لا ينفع هذا، فهذا إحراج فى الدين. الدين الإسلامى يا إخوانى ليس فيه إحراج، لأن الله عز وجل قال:

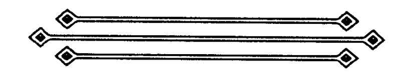
﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج﴾.

والأمور فى الإسلام مبنية على التراضى، وعلى الرضا. وفى الرضا خير كثير.

«وفى الصبر على ما تكرهون خير كثير».

نسأل الله عز وجل أن يجملنا بالآداب، وأن ينظمنا فى عقد الأحباب وأن يجعلنا من المهتدين للصواب، وأن يجعلنا من الذين تفتح لهم الرحاب، ويتحلّون بحلل الأحباب، ويجعلنا من الذين يحبون الطاعات والقربات.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.



« منهاج السالكين »

أولاً : التحصن بحصون الشريعة المطهرة.

ثانياً : معرفة الأذكار النبوية فى الأحداث الحياتية.

ثالثاً : المطعم الحلال.

رابعاً : حسن القيام بفرائض الله عز وجل.

خامساً : التقرب إلى الله بنوافل البر.

سادساً : استحضار صورة المرشد.

سابعاً : الأخلاق الفاضلة.

وصية.



منهـاج السالكين(*)

يا مريداً شـهود ما قد شـهدنا ** فاخلع النعـل واستمع لمقـالى

نحن والحمد لله جميعاً، نريد أن نتحلّى بحلل العارفين، ونذوق بعض جمالات المقربين، ونشم أريج ونسيم المجتبين والمصطفين، ونجلس على مائدة من موائد سيد الأولين والآخـرين، تدار علينا من أصناف المعـارف الإلهـيـة، والعلوم الوهبـيـة، والأحوال الربانية ما به نكون جميعاً إن شاء الله من أهل المعية المحمدية.

فما الباب يا إخوانى؟

هـذا الـكلام ربما قلتـه قبـل ذلك مراراً وتكراراً، لـكن نعيـد لأن البعض كان غير حاضر، والبعض الآخر ربما كان غير قادر على أن ينفـذ. فربما لم يكن كل ما قيل جاء أوانه، ربما يكون جاء أوان التنفيذ.

فالبداية لأهل البداية، شرطها حتى تشرق عليهم أنوار النهاية، لابد وأن تكون البداية فيها قوة عزيمة، وشدة فى أخذ الأوامر الإلهية والسنن المحمدية. ومن أجل ذلك قال الشيخ ابن عطاء الله رضى الله عنه وأرضاه فى حكمه:

«من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة».

ولذلك فنحن نعرف صحة قصد المريد من البداية، فالمريد الذى يأتى من البداية وعنده فتور، وعنده كسل، وبدأ سلوكه مع الله بالاعتذارات، نقول ليس فيه فائدة كبيرة.

وحتى فى الوظائف الحكومية، الموظف الجديد المحافظ على المواعيد، وقائم بعمله، نقول هـذا يمكن الاعتماد عليـه. والموظف الذى يبحث عن الثغـرات

(*) ألقى هذا الدرس بمنزل الحاج/ سعيد فهمى – بقرية الجندية – بلبيس – محافظة الشرقية يوم ١٩٩٣/٧/٣٠.

التى بها يهرب من العمل، فإن مستقبله لا يبشّر بالخير إذا كان مصراً على هذه البداية. كذلك المريد فى طريق الله عزوجل.

﴿ يا يحيى خـذ الكتاب بقوة ﴾[1].

(يحيى) يعنى يا من تريد الحيـاة. فكل الذى يريد الحيـاة الإيمانيـة، ويرغب أن يحيى فى الحياة الرضوانية النورانية، لابد وأن يأخذ الكتاب.

والكتاب يعنى تعاليم الكتاب، وتشريعات الكتاب، وأخلاق الكتاب، يأخذها بقوة عزيمة. فهذه هى البداية، لابد أن تكون العزائم ماضوية.

أولاً : التحصن بحصون الشريعة المطهرة

فإذا كانت العزيمة قوية، ويريد الدخول إلى روض المعية فأول شىء يعمله، يحصن نفسه بالحصون الشرعية.

وهذا ما يقول فيه الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

إلهى وأيدنى بشرعـك ظاهـراً ** لأشـهد نور الوجه فى كل وجهة
إلهى بك اشغلنى عن الغـير أفننى ** إلهى وحصنى بحصـن الشريعـة

فيعرف ما لابد له منه من أمور الشريعـة، حتى لا يفعـل شـيئاً عن جهـل، لأن الجهل بأحكام الشريعة لا يعفى من الوزر.

لماذا؟

لأن الله عـز وجل أشـار على الجـاهل الذى لا يعلم الحكم أن يسـأل العـالم، وذلك فى قوله عز وجل:

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[2].

---

(١) سـورة مريم : الآية ١٢.
(٢) سـورة النحل : الآية ٤٣.

فلابد أن أعرف ما لابد لى منه، ليس معنى ذلك أن أتعلم الشريعة لأجادل بها، أو أفتخر بها، لا، ولكن كما قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

حصّل العلم بعزم صادق *** لا تكن فى العلم كسلاناً ملول
حصّل العلم بالقدر الذى *** يقتضيه الوقت لا قال يقول

فالعلم الذى تحتاجه الآن، وفى هذا الوقت: الطهارة والصلاة، والصيام والزكاة -إذا كان عندك شيء تجب فيه الزكاة- وكذلك تحتاج إلى معرفة أحكام البيع والشراء، وآداب معاملة الزوجة وآداب تربية الأولاد، ومعرفة حقوق الجيران وحقوق الأقارب وصلة الأرحام، ومعرفة آداب العمل فى الإسلام. فأنت تحتاج إلى كل هذه الأمور، ولا غنى لك عن معرفتها.

ثانياً : معرفة الأذكار النبوية فى الأحداث الحياتية

يكمل هذه المبادىء التشريعية، أن الإنسان يعرف الكلمات المقدسة التى كان يردّدها سيدنا رسول الله ﷺ عند الأحداث والنوازل مثل:

ما الذى كان يقوله وهو خارج من البيت؟

وماذا كان يقول وهو داخل إلى المنزل؟

وما الذى كان يقوله قبل الأكل؟ وماذا كان يقول بعد الأكل؟

وما الذى كان يقوله عند دخوله للمسجد؟

وما الذى كان يقوله أثناء خروجه من المسجد؟

وما الذى كان يقوله قبل دخوله للمرحاض؟ وأيضاً بعد خروجه من المرحاض؟

وماذا كان يقوله عند النوم، وكذلك عند إتيان زوجاته؟

وهذا الكلام لا يحتاج إلى معرفة، ولكنه يحتاج إلى التطبيق. فأعرف وأطبّق على الفور، وأعلم أولادى معى على هذا النهج حتى أحصّنهم. وأفضل كتاب فى هذا الباب (كتاب الأذكار) للإمام النووى، حتى قالوا: بع الدار واشترى الأذكار».

كثير من إخواننا اشتروه، ولكنهم ركنوه. فما الفائدة التى عادت عليهم غير أنهم أقاموا الحجة على أنفسهم؟ وإنما المطلوب أن يشتروه وينفذوه، حتى تكون أنت الأذكار، أنت نفسك الأذكار، لأنك عندما تخرج من البيت وتقول:

«بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلى العظيم».

يقال لك: وُقيت وكُفيت وهُديت[٣].

وعند الذهاب إلى المسجد تقول:

«اللهم بحق السائلين عليك، وبحق الرّاغبين إليك، وبحق ممشاى هذا إليك، فإنى لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا رياءً ولا سمعة، إنما خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتكَ، فاغفر لى ذنوبى فإنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت، اللهم أجرنى من النار وأدخلنى الجنة»[٤].

فأنا الآن لماذا أحفظ هذه الكلمات وأستطيع ترادها؟

هذا كله من التطبيق. لو مكثت فى يوم لا أقولها سوف أنساها، والذى يثبّتها هو التطبيق.

إذن يصير كتاب الأذكار صفحات فى صدور الأبرار.

لماذا؟

لأنهم يطبقون على الدوام فى كل لحظة من اللحظات.

---

(٣) أخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٤) رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

وعندما ألبس أقول:

«الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى، وأتجمل به فى الناس»[٥].

وألبس باليمين وأخلع باليسار.

وعندما ألبس الحذاء لابد وأن أنفضه أولاً، لأن النبى ﷺ قال:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يلبس نعله حتى ينفضه»[٦].

والسبب فى ذلك أنه جاء فى مرة من المرات يلبس نعله، فجاء نسر من السماء فاختطف النعل، وطار بها فى الهواء، فسقطت من داخلها حية. فبعدها قال ﷺ هذا الحديث المشار إليه آنفاً.

ومرة نسيت هـذه السنة سـهواً، ولبست الحـذاء ولم أنفضه، فأحسست بشىء فى داخله يؤلمنى بوخذه، فخلعت الحذاء وإذا بى أجد بداخله خنفساء، فعزوت هذا لعدم قيامى بتنفيذ السنة.

إذن المطلوب مع العمل بالأحكام الشرعية، أن أنفذ الأذكار النبوية فى حركاتى وسكناتى. وهى تملأ علينا كل شئون الحياة. فهناك أذكار عند الريح، وأذكار عند الزلزلة، وأذكـار عند نزول المطر، وأذكـار عند الخسـوف، وأذكـار عند الكسـوف، وهكذا. وكل هذا موجود فى كتاب الأذكار، والمطلوب أن نتصـفحه حتى نكون من الأبرار إن شاء الله.

ثالثـاً : المطعم الحـلال

فبعد الشريعة والأذكار، لابد أن أحكم الأصل الأول، وإلاَّ ضـاع عـملى هباءً منثوراً.

وما الأصـل الأول؟

---

(٥) رواه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة والترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

(٦) أخرجه الطبرانى عن أبى أمامة رضى الله عنه.

اللقمة الحلال. فقد قال ﷺ:

«لكل شيء أساس، وأساس هذا الدين المطعم الحلال ورب لقمة حرام يأخذها الإنسان لا يلقى لها بالاً لا يتقبل منه عمل لمدة أربعين يوماً»[٧].

فالذى يتعبد، أو يذهب لمجالس الخير، فلا قيمة لعملة مادام لم يراع هذا الأصل.

ونحن لا نبتعد عن الحرام فقط، ولكننا من أهل اتقاء الشبهات ومن أراد معرفة المزيد من أصناف الشبهات، فعليه بالتوضيح الشافى الذى وضحه فضيلة الشيخ/ محمد على سلامة، فى كتابه (مصابيح على طريق الإيمان) ومن أراد المزيد فى جماع هذا الباب كمعرفة الحلال والحرام، والورع وأصنافه فعليه بكتابنا (مائدة المسلم بين الدين والعلم).

فالمسلم يتقى الشبهات، قال ﷺ:

«لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس»[٨].

والذى لا يستطيع أن يحافظ على المطعم الحلال، فعليه أن يرح نفسه من الآن، لأنه ليس له نصيب فى طريق الصالحين، ولا طريق المتقين، ولا حتى طريق المسلمين. قال ﷺ:

«إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين. فقال للمرسلين: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم﴾[٩]، وقال للمؤمنين: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾[١٠]».

وما الطيبات؟

---

(٧) خرّجه الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما.

(٨) رواه ابن ماجه.

(٩) سورة المؤمنون: الآية ٥١.

(١٠) سورة البقرة: الآية ١٧٢.

هى الحـلال. أى لابد وأن تكون من طـريق حـلال، فلا تكون من سرقة، ولا من غش، ولا من نصب، ولا عن طريق حتى سيف الحياء. وهذه تكون كثيراً فى الصنّـاع.

مثلاً رجل يعمل عندى فأسأله عن أجره: كم يا فلان؟ فيقول: الذى تدفعه. الذى تدفعه يعنى طمعان، الشغلة تساوى خمسة جنيهات، أعطيه عشرة وأقول له: خذ ما تريد، فيأخذها ويمشى وينتهى الأمر على ذلك. هـذا حرام لأنه استحل الزيادة عن أجـره بغـير حق وبغـير رضى نفس منى، وأخـذ رزقاً حـراماً، لأنه لم يشترط، وعليه أن يأخذ أجر المثل، أى مثل ما يأخذ غيره، ولا يأخذ زيادة.

وهذا المال لا حرمة فيه إذا قال لى: هات خمسة، وأنا أعطيته عشرة. ولكنه قال: أعطنى ماشئت، فأعطيته عشرة وقلت له: خذ ما يكفيك. فأخذ العشرة مستغلاً طيبتى وتمسكى بإيمانى وشـدة حيـائى. فعليـه أن يستوضـح النـاس كم يأخذون ويأخذ مثل الناس فى هذه الصنعة أو هذه العملية، ويأخذ مثل غيره.

هـذه الصـفة انتشرت فى المجتمـع، الصـنّاع يريدون أن يأخـذوا من النـاس بأى طريق. هذا حرام يا إخوانى، لا يرضى عنه الله، ولا يرضى عنه رسول الله ﷺ.

رابعاً : حسن القيام بفرائض الله عز وجل

فإذا أحكمنا الأساس، وهو المطعم الحلال، فنتجه بعد ذلك إلى إتمام الفرائض.

الحديث الذى يرويه سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه:

«يا رسـول الله ما أحب الأعمـال إلى الله؟ قال: الفرائض لوقتهـا».

[متفق عليه]

فعلى السالك الراغب فى فضل الله عز وجل، والطالب لمعية رسول الله ﷺ، والمقتفى أثر رجال الله الصالحين، أن يحافظ على الصلوات المكتوبات فى جماعة،

وفى بيت الله عز وجل عند أول الوقت. أى لا يؤذن المؤذن عليه إلا وهو فى المسجد متهىء للصلاة، وهذا هو المقام الأعلى. أو يبادر عند سماع الأذان إلى المسجد، وهذا هو المقام الأدنى.

وعلى هذا النهج كان ولا يزال الصالحون فى كل زمان ومكان. فلم نسمع عن أحد من الصالحين -السابقين أو اللاحقين- الحقيقيين أنه رضى لنفسه أن يتنزل عن المقام العلى، وعن الصف الأول فى مواجهة الأول عز وجل. بل لابد أن يكون فى الصف الأول على الدوام بين يدى الله مهما كانت الظروف ومهما كان السهر، وقالوا فى ذلك:

كل سهر يمنع عن صلاة الفجر حاضراً، فهو سهر فى معصية الله عز وجل.

سهر العيون لغير وجهك باطلٌ ** وشغلهن بغير ذكرك قاطع

أى فالعين التى تشتغل بغير ذكر الله فى سهرها، أو بغير المسارعة إلى تنفيذ أوامر الله فى ليلها، يكون سهرها هذا باطلاً يا إخوانى.

إذن لابد من الفرائض فى وقتها، وفى جماعة، وفى بيت الله، حتى أضمن القبول إن شاء الله. لأننى لو صليت بمفردى لا أعرف هل تقبل أم لا؟ وحتى لو قبلت فلن أستطيع أن أتم خشوعها المطلوب لله عز وجل. لكن فى الجماعة، فالصلاة مضمونة ومقبولة، فلو كان فيها رجل صالح يتقبل الله صلاته ويقبل صلاة الجميع من أجله. قال ﷺ:

«ما اجتمع أربعون رجلاً من أمتى إلا وكان فيهم رجل صالح»[(١١)].

من أجل ذلك نبحث عن المساجد الكبيرة التى فيها الأربعون، وليس عن الزوايا الصغيرة التى فيها عشرة أو خمسة. بل المسجد الذى فيه أربعون حتى نضمن أن الصلاة مقبولة إن شاء الله.

---

(١١) رواه الخليلى عن ابن مسعود والسيوطى فى الجامع الصغير.

خامساً : التقرب إلى الله بنوافل البرّ

فقلنا يا إخواني: إن الأساس الأول: هو الشريعة، فلابد أن نتحصن بحصن الشريعة، الأساس الثاني: الأذكار، الأساس الثالث: المطعم الحلال، الأساس الرابع: الفرائض في مواقيتها.

والمطعم الحلال، أو ترك الحرام بالكلية، يعني المطعم الحلال مع ترك الذنوب والآثام.. هـذا شيء طبيعي لأن الذي يقوم بالفرائض، وفي نفس الوقت يقع في الذنوب والآثام، يكون ما يفسده أكثر مما يصلحه.

﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾(١٢).

فإذا حافظت على الفرائض -وهذه هي الأساس- وأريد أن أدخل في رياض المقربين، بأن أدخل في الحديث القدسي الذي يقول:

«ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل -التي سيأتي ذكرها- **حتى أحبه»**(١٣).

فإنني أدخل في دائرة النوافل.

وما النوافل المطلوبة هنا؟

ختام الصلاة، ولابد من المحافظة عليه، والسنن اللاحقة بالصلاة.. القبلية والبعدية، وأحافظ على سنة الضحى وسنة الوتر. وإن استطعت أن أصلي ولو ركعتين في جوف الليل الآخر، حتى أكتب في ديوان القائمين لله عز وجل.

فلكي أحصل على مجموع النوافل كلها تقريباً، فالضحى لا أتركها، والوتر لا أتركه، وإن استطعت ألاّ يفوتني صلاة الليل ولو بركعتين لا أترك ذلك أبداً. فقد قالوا:

---

(١٢) سورة النساء : الآية ٣١.

(١٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

«ركعتان بالليل خير من ألف ركعة بالنهار».

وقالوا أيضاً:

«ركعتان بالليل خير من الدنيا وما فيها».

وقيل أيضاً:

«ومن صلى بالليل والناس نيام، رفعت له يوم القيامة الأعلام».

وقال ﷺ:

«بشّر المشّاءين فى الظلام بالنور التام يوم القيامة»(١٤).

ومع هذه النوافل نختم ختام الصلاة الطويل للإمام أبى العزائم بعد الفجر. فالإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه كان هذا نهجه على الدوام، يصلى الفجر فى جماعة، ويختم هو وأحبابه فى جماعة، وبعد الختام مباشرة يقرأ الصلوات والفتوحات(*) التى أوردها عن النبى ﷺ.

ولكن كيف يقرأها؟ وكيف يختم؟

هناك قراءة للعادة، وهى أن تقرأ كعادة، وتختم كعادة، أى تريد أن تؤدى ما عليك فقط. وهذه القراءة لا تعود على صاحبها بالفتح. وهناك تلاوة للفتح. وفيها لابد أن تترنم، وتخشع، وتتأنى وترتل، حتى تحس بالحلاوة، وتنزل على قلبك هطول الغيوث الربانية، وأنواع الرحمات القدسية.

فتجدها نازلة على قلبك، وتحس ببرد تنزلاتها فى صدرك، أثناء قيامك بتلاوتها، وتتذوق من حلاوة الإيمان، ومن رحيق الإحسان، ومن صفاء الإيقان، ما لا يشعر به الأولون ولا الآخرون.

---

(١٤) رواه أبو داود والترمذى وأبو يعلى والدارقطنى والبيهقى عن بريدة رضى الله عنه.

(*) ختام صلاة الفجر والأوراد والفتوحات والصلوات موجودة فى كتاب مجموع الأوراد العزمية الذى نوزعه لوجه الله عز وجل.

فإذا كنت متعباً، فلا يفوتك أن تؤدى قبل النوم الجزء الخاص بأدعية الصباح الواردة عن سيدنا رسول الله ﷺ ثم تنام. وبعد أن تستيقظ فأمامك متسع من الوقت حتى صلاة الظهر، تكمل فيه ختم الصلاة الطويل، والصلوات بخشوع وبترتيل وبتأنى وبترنم.

وهنــاك أيضــاً نافلة أخـرى: ألا وهى الصـيـام. لابد أن يكون لى نصيب من الصـيام، ولو على الأقل ثلاثة أيام كل شهر. وهذا هو الحد الأدنى للسالكين يا إخـوانى مهـما كانت الظروف. والثـلاثة أيام إن شئت مجتمعين، أو متفرقين. يوم فى أول الشـهـر أو فى وسطه أو فى آخـره، كـمـا يروق لك، الاثنين من كل أسبوع جائز، كل يوم خميس جائز. المهم أن نراعى آداب السياحة.

ومن آداب السياحة ألا أحضر عند أخى وأنا صائم. فنحن نأتى إلى المسجد على المغرب، وبعد المغرب الدرس، فإذا كنت صائماً آخذه وأطلب منه يجهز لى إفطاراً وأعطله، وهو يرغب أن يسمع الدرس، فهذا الأمر ليس له داعى فى مثل هذا اليوم.

فإذا كان الأخ ذاهباً لزيارة أخيه، فمن السنة أن أذهب إليه مفطراً حتى يعطيه الفرصة للإكرام، بل من السنة ألا أذهب لأزور أحد فى اليوم الذى أنا صائم فيه نهاراً. لماذا؟

حتى أعطيه الفرصة ليكرمنى، ليظهر كرم الله علىّ. فالذى يخرج لسياحة مثل هذه، فلا داعى لصيامه فى ذلك اليوم، إنما يصوم فى يوم آخر غير هـذا اليوم، لكن لا يخلىّ نفسه من صيام ثلاثة أيام من كل شهر. قال ﷺ:

«صوم ثلاثة أيام من كل شهر يذهب وحر الصدر»(١٥).

يذهب الإحن والأضغان الموجودة فى الصـدر.

---

(١٥) رواه البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما.

وقال ﷺ:

«صوم شهر الصبر -أى رمضان- **وصوم ثلاثة أيام من كل شهر كصوم الدهر كله»**[١٦].

يعتبر كصيام السنة كلها. إذن لا يخلى نفسه من هذا القدر.

وأيضاً لابد أن يكون له فى كل يوم وقفة مع كتاب الله. والحدّ الأدنى كما قال الصالحون أن يقرأ القرآن مرة كل ثلاثين يوماً، أى كل يوم جزءاً من القرآن. قراءة بتدبر وبتأنى وبتفهم. وإذا لم يقرأه هنا متى سيقرأه؟

عندما يموت!!

وكذلك لابد أن يكون له نصيب من علم الله عز وجل. فيقرأ ولو صفحة فى كتاب ولو باب، لقوله ﷺ:

«كل يوم لم أزدد فيه علماً بربى فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم»[١٧].

وقال ﷺ:

«لأن تغدو -يعنى تصبح- **فتقرأ باباً من أبواب العلم خير لك من أن تصلى مائة ركعة»**[١٨].

منزلة العمل عند السالكين:

فمع أنى أختم الصلاة، وأقرأ الصلوات، فإننى أتجه إلى عملى ويرنّ فى أذنى قول الله عز وجل:

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[١٩].

---

(١٦) رواه أحمد وابن جرير والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه.
(١٧) رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى العلم من حديث عائشة.
(١٨) أخرجه ابن عبد البر وابن ماجه من حديث أبى ذر.
(١٩) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

لأنى لو قصرت فى عملى، فإن رزقى سيصبح حراماً. فأنا أؤدى عملى كما ينبغى، حتى يبارك الله عز وجل فيه على قدر ما كلفنى الله عز وجل به، وعلى قدر التكليف الذى كلفنى المسئولون فى العمل به.

سادساً : استحضار صورة المرشد

وهناك شيء آخر مهم، وهو أساس الفتح للصالحين، وهو أنه لابد عند كل عمل من الأعمال الصالحة، من الاستحضار على لوحة الخيال لصورة المرشد، لأن هذه هى باب الفتح الأعظم، فالمرشد هو الباب الذى يأتيك منه الوارد من سيدنا رسول الله ﷺ، وكونك استحضرته يعنى فتحت باب الفضل الإلهى لك. وقد قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه فى هذا الشأن:

«استحضار صورة المرشد يمنع واردات الحس عن القلب»

أى: يجعل الحواس مشغولة، لا تأتى بشيء من الخارج توره للقلب (فيكون الحس تحت سلطان القلب، والقلب يتلقى من الرب عز وجل).

وأسرع براق للالتحاق بالرفاق، وللتلاق بحضرة الخلاق، هو صورة المرشد الدال على الله عز وجل، وإن كان المرشد فى نظرك رجل فقير أو مسكين، لكنها حكمة الله عز وجل.

فالإمام أبو العزائم رضى الله عنه عندما ذهب ليزور سيدى ياقوت العرش، وكان رجلاً حبشياً، وسيدى أبو العباس أتى به من بلاد الحبشة بريح، لأن الله قيّده عنده بأنه سيكون خليفة الزمان، حتى أن سيدى أبو العباس ساعة ما ولد فى الحبشة، أمر أولاده أن يصنعوا ثريداً ولحماً. ولما سألوه قال: اليوم ولد ياقوت العرش ببلاد الحبشة. قالوا: ومن ياقوت العرش؟ قال: خليفتى.

وكان هناك تجار يأخذون الأولاد الصغار من الحبشة ويبيعونهم عبيداً، فأخذوه ضمنهم، وكان قوى البنية، فهاجت الريح والسفينة فى البحر الأحمر،

فقال التاجر: إذا أنجانا الله سأعطى هذا العبد لسيدى أبى العباس المرسى. فى الحال سكنت الريح، وسارت السفينة.

وبعد قليل جاء لياقوت مرض في رأسه، فقال التاجر فى نفسه: سأعطى للشيخ هذا العبد المريض! لا، سأختار واحد أحسن وأقوى وهذا هو الذى ينفع.

وقد وصلت السفينة قرب العصر إلى الاسكندرية، فقال الشيخ لأتباعه: هيا بنا نتريض على البحر، وعندها وصلت السفينة، فقام التاجر وقال للشيخ: يا سيدى ببركتك أنجانا الله عز وجل وهذا العبد هدية لك. فقال الشيخ: لا، نحن نريد الذى نذرته لنا، فجاء به، فخلع عنه عمامته ووضعها على رأسه فطابت رأسه فى الحال. فأخذه وتولاه وربّاه وزوجه ابنته، وصار وارثاً لحاله.

ولذلك لما ذهب الإمام أبو العزائم ليزوره فى ضريحه المبارك قال فى شأنه:

تواضعت رب العرش أعليت بالفعل ** جعلت ترب الأرض للعالم القطبا

فهو تراب صحيح، ولكنك جعلته القطب، أنت لك مطلق التصريف فى الموجودات، فتفعل فيها ما تشاء وتصنع بها ما تريد.

﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾[20].

﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون ﴾[21].

لماذا طُرد إبليس؟ هل كفر بالله؟

لا، بل لأنه لم يسجد للعبد الذى أقامه الله. وهذه قال فيها الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

«عجبت لمن سجد لواحد فأشرك، ولمن سجد لاثنين فوحّد!!»

قالوا كيف؟

---

(٢٠) سورة الأنعام: الآية ١٢٤.

(٢١) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

قال: إبليس أبى أن يسجد إلاّ لله، ولما قال له: اسجد للعبد، أبى، فأشرك وبعد عن رحمة الله. والملائكة يسجدون لله، وأمرهم الله أن يسجدوا للعبد، فسجدوا فوحّدوا.

وهكذا هو الأمر يا إخوانى، فبُعد النفوس عن حضرة القدوس معظمه لعدم تسليمهم لأمر الله فى اختيار الله، وفى اصطفاء الله للرجال الذين يقيمهم الله عز وجل لتجديد دين الله عز وجل. والله قطع الأمر فقال:

﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾(٢٠).

فهذه إرادته، وتلك مشيئته، وأنت ليس لك من الأمر شىء. هذه هو اختياره، وهذا هو انتقاؤه، وهذا هو اصطفاؤه عز وجل.

فصورة المرشد هى المفتاح الذى يفتح للسالك كل خزائن عالم الأرواح. ونحن قد جربناها يا إخوانى والحمد لله، وما نحن فيه فهو من هذا الباب. لا من عمل ولا أمل، فأنا رجل فقير لا أستطيع أن أعمل ولا أن أتعبد ولا غيره. وكل ما فى الأمر أن يستحضر السالك صورة المرشد، فيجد أن كنوز السموات والأرض العلية كلها مفتّحة. وإذا استحضر السالك صورة المرشد فى أى مهمة أو أى ملمّة فإنها تفرج فى الحال، وكأنه كلمة السر التى يجيب بها الله عز وجل المضطر.

ولذلك كان الصالحون السابقون يبينون ذلك فيقولون: إن استحضار صورة المرشد هو بمثابة اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى. فقد سأل خاصة المريدين شيخهم الشيخ محمد البكرى -وكان قطب وقته- فقالوا: ما اسم الله الأعظم؟ فقال لهم: أنا، فاسألوا الله بى عز وجل، فإنه يجيبكم فى الحال والوقت. وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وأيضاً سيدى أبو العباس المرسى، يقول كل منهم لتلاميذه: توجهوا إلى الله عز وجل بنا فى حاجاتكم يقضيها لكم.

---

(٢٠) سورة الأنعام : الآية ١٢٤.

نحن طبعاً لم نصل إلى هذا المقام، ولكنى أبين مكانات العارفين رضى الله عنهم وأرضاهم.

فلازم الإنسان يستحضر صورة المرشد عند تلاوة القرآن، وعند الذكر، وعند قراءة الصلوات، وعند العلم عندما يدرس العلم، وفى أى أمر من الأمور، حتى يتمثله، ويحتذى حذوه، ويتأسى به، فهذه هى الصورة المعتمدة فى حضرة الله عز وجل.

فالجنيه الذى عليه صورة الملك فاروق، كان معمولاً به فى عصره، أما الآن هل ينفع فى زماننا؟ وإذا ذهب به أحد إلى البنك ليتعامل به، ما الذى يحدث له؟ يقبضوا عليه فوراً لأنه رجل مزور.

فالعملة المسموح بتداولها فى الملك والملكوت هى الصورة المعتمدة -أى العبد المقام-.

من لدن سيدنا رسول الله ﷺ. فالإقامة للعبد من الله عز وجل على يد سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

هذه النقطة مهمة، وقد أطلت فيها بعض الشيء لأنها هى الأساس. ولا أحب أن أتكلم فيها كثيراً لأن بعض النفوس الضعيفة يتوهمون أننا عندما نتكلم فى هذا الأمر، فنحن ندعوا لأنفسنا. أبداً نحن نحق الحق، والحق أحق أن يتبع، ونحن مأمورون ألاّ نغش، والدين النصيحة فهل نغش إخواننا؟

أم لابد أن نبين لهم الطريق الذى سلكناه؟

هذا هو مبدؤنا، ولو كتمت شيئاً، فإننى أكون غاشاً لإخوانى، وهذا علم لا يجب كتمه وإن كان من علوم الحقيقة. لأنه هو الأساس فى طريق الله عز وجل كما وضّح وبيّن ذلك كل السابقين واللاحقين، وكلهم اتفقوا على هذا الأصل، ولا يوجد بينهم اختلاف.

سابعاً : الأخلاق الفاضلة

وبعـد ذلك يلتـزم بالنهج المحـمـدى مع زوجـتـه، وبالخلق النبـوى مع أولاده، وبالأخلاق المحمدية فى تعامله مع جيرانه وأقاربه، حتى يدخل فى عباد الرحمن.

ولما يسير على هذا المنهاج وينجح فيه –وهذا هو المنهاج الأول– ينتقل تلقائياً إلى المنهاج الثانى، وهو منهاج الواصلين، وفيه يتوقف العمل باللسان، ويصبح العمل بالقلب والجنان، وهذا ليس وقته الآن وليس شأنه الآن.

نسأل الله عز وجل أن يصلح أحوالنـا.

وأن يقوّم أخلاقنـا.

وأن يهذّب نفوسنا وطباعنا.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وصـــية :

إذا أقبل علينا أخ جديد، فالمفروض أن الأخ الذى يأتى به سالك على هذا المنهج، فعليه أن يتولى تلقينه هذا المنهج من نفسه وهذا إذن منا بذلك لجميع الإخوان.

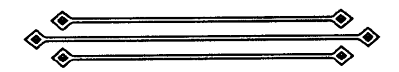
ويتبقى بعد ذلك أنك إذا كنت ملتزماً بهذا المنهج فستمنحه عند التلقين روح العمل بالمنهج، وأنت ربما لا تشعر، فيعمل به ويعينه الله عز وجل على أداء هذه الأحكام.

وهذا هو منهاجنا جميعاً يا إخوانى فى الدعوة إن شاء الله رب العالمين. ويكون لك بعد ذلك الثواب الذى أشار إليه رسول الله ﷺ فى قوله:

«لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها»(٢٢).

وفقنا الله وإياكم للعمل لما يحبه ويرضاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(٢٢) رواه أحمد من حديث معاذ وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد بلفظ **«لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»**.

جهـاد المقـربين

* نار المجاهدة
* تزكيــة النفس
* ميزان قبول الأعمال
* شهوات النفس الخفية
* الشرك الخفى
* تهذيب النفس
* الباعث على الجهــاد
* معرفة النفس
* صــفات أهل القرب
* صــور من جهــاد العارفين
* وقت الســحر
* الاستغفار عقب العبادة



جهـاد المقربين(*)

فإن رمت الوصـول إلى جنـابى ** فهـذى النفس فاحـذرها وعادى

سيدنا أبو اليزيد البسطامى رضى الله عنه .وأرضاه، وقد صار من كبار العارفين بالله، حتى صار بينه وبين الله دلال ووداد. وصـل به إلى أن قال له العلى القـدير: يا أبا يزيد لو أنبأنا الخلق بمحبتنا لك لقتلوك. فقال رضى الله عنه وأرضاه:

ولو أنبأتهم بسعة رحمتك ما عبدوك.

فقال: يا أبا يزيد، لا نقول ولا تقول.

انظر إلى الدلال والوداد وصل إلى أى مدى!!.

حبيب يخاطب حبيبـه على بسـاط القرب والمنـاجاة، ولا رقيب ولا واشى ولا غواشى، بل ولا خلأ ولا ملأ.

هذا الرجل الذى وصل إلى هذا الحال، فى بدايته كـان مثلنا، وقـال: طلبت الوصول إلى الله، وأخذت فى العبادات والمجاهدات والمكابدات، وظننت أنها الطريق الموصل إلى الله -مثل معظم الناس الذين يظنون أن الطريق الذى يوصل إلى الله هو العبادات والإكثار منها والمجاهدات-.

قال: وفى ليلة من الليـالى، رأيت المولى عز وجل، فقلت: يا رب أريد القـرب من حضرتك. فقال: يا أبا يزيد اترك نفسك وتعالى، فإنا لا نجلس على هذا البساط إلاّ من ترك نفسه وجاء بروحه وقلبه.

(*) كان هذا الدرس بمدينة مغاغة محافظة المنيا بمنزل الحاج ربيع الصعيدى.

نار المجاهـدة

فعرف أن المدار كله على جهاد النفس، فأخذ يجاهد نفسه. وظل يجاهد نفسه كم من الوقت؟

قال: جاهدت نفسى عشرين عاماً.

كيف كنت تجاهدها؟

قال: كنت حدّاداً على نفسى.

حداد يعنى وضعها فى النار، ويظل ينفخ عليها بالكير لكى يسوّيها.

كنت حداداً على نفسى عشرين عاماً ثم تنعمت بها بعد ذلك.

لكن الناس يريدون أن يتنعموا بما تنعم به العارفون، وحديدهم بارد لم يدخل فى النار. هل هذا ينفع؟

لا، فالحديد لكى أشكله ماذا أفعل فيه؟

لازم أدخله النار وأصهره إلى درجة الانصهار.

فالنفس حديدة الطبع، حديدة الخُلق، حديدة العادات، ولكى أليّن طباعها وأليّن عاداتها، وأليّن أخلاقها حتى أطبعها بالطبعة المحمدية، وأخلّقها بالأخلاق الربانية، وأهذّبها بالكمالات الإلهية، لازم أدخلها نار المجاهدة.

ونار المجاهدة بعدها نور المشاهدة. نار ونور والاثنين نفس الكلمات. فالنار للمجاهدة ويحدث منها النور للمشاهدة.

ما الفرق بين النار والنور؟

النار فى البداية، وبعدها تصفو، ماذا يكون؟

نور.

حينما نوقد النار، فى الأول يكون فيها دخان وغيره، لكن بعدما تصفو ماذا تكون؟

نور خالص، فالنفس يا إخوانى كما قال الحكماء:

عليك بالنفس فاستكمل فضائلها ** فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

فأنت إنسان عند الله بماذا؟

بنفسك الزكية. ولذلك فإن أصحاب رسول الله صلوات الله عليه ورضى الله عنهم أجمعين، صعدوا على درج الكمالات الإلهية، وعلى رفرف العنايات الصمدانية بماذا؟

بجهادهم لأنفسهم.

سيدنا رسول الله ﷺ مكث معهم فى مكة ثلاث عشرة سنة، مكث معهم اثنى عشرة سنة، وبعدها فرضت الصلاة، وبعدما هاجر بسنتين فرض الصيام، وفرضت الزكاة، وبعد الهجرة بثمانى سنين فرض الحج.

إذن ماذا كان يفعل معهم فى هذه الاثنى عشرة سنة؟

تزكية النفس

كان فاتحاً لهم مدرسة اسمها مدرسة تزكية النفوس وتطهيرها من لقسها لتطيب فتدخل رحاب حضرة القدوس. لأن العبادات التى يكلف بها الإنسان بعد ذلك، عندما نبحث فى قانون القبول لهذه الأعمال، ماذا قال الله فيه؟

من الذى ينجح عندك فى العبادات؟

من الذى يفلح؟ -النجاح عند الله اسمه الفلاح.

قال: هل تريدون أن تعرفوا؟

قلنا: نعم.

قال: ﴿قد أفلح من تزكى. وذكر اسم ربه فصلى﴾[1].

فالذى يريد أن يفلح فى العبادات؛ وينال بها رفعة الدرجات، ويصعد بها إلى منتهى الكمالات، ويرقى بها إلى حضرة الذات، لابد أن يمشى على هذا المنهج. يزكى نفسه أولاً، وبعدما يزكى نفسه يتعبد. فهذه هى العبادة الخالصة.

لأنه بعدما يزكى النفس -والتزكية تعنى التطهير، فتزكية النفس يعنى تطهيرها. وم أطهرها؟

من صفاتها السيئة، من الأحقاد، ومن الأحساد، ومن الغضب، ومن الشهوة، ومن الشره، ومن الجشع، ومن الغش، ومن الخداع، ومن الرياء، ومن حب الشهرة، ومن طلب الظهور. كل هذه الصفات هى التى تقطع الإنسان.

ميزان قبول الأعمال

فعندما نزن أعمال العبّاد بالموازين الحقّية، كالصدق والإخلاص وغيرها، نجدها لا ترقى إلى درجة القبول! لماذا؟

لأنهم لم يجاهدوا قبلاً فى تزكية نفوسهم من الصفات التى تحبط الأعمال. فمثلاً الذى يخرج للحج، كيف يتحقق له القبول؟

إذا علم الموازين المحمدية التى بها يحبط العمل وتجنّبها، وعرف علامات القبول فاهتدى بها، وحرص على العمل بها.

فمن موجبات عدم القبول، قوله ﷺ:

«يخرج الناس إلى الحج فى آخر الزمان أربعة أصناف: سلاطينهم للنزهة، وأغنياؤهم للتجارة، وقرّاؤهم للسمعة، وفقراؤهم للمسألة»[2].

---

(١) سورة الأعلى: الآيتان ١٤، ١٥.

(٢) رواه الخطيب والديلمى عن أنس رضى الله عنه.

وهؤلاء كلهم خارج الميزان.

فإننى لا أخرج للحج لكى يقولوا لى عندما أرجع الحاج فلان. وإلاَّ فإذا كان الحج لقب، فإننا يجب أن نقول الحاج/ أبو بكر، والحاج/ عمر.

هل حجّوا أم لا؟

لقد حجوا مراراً وتكراراً.

وكذلك هل الحج أهم أم الصلاة؟

الصلاة. إذن فالمفروض أن نقول المصلى فلان، والمزكى فلان.

إذن لماذا أنا خارج للحج؟

لله.. ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾[٣].

لله أى لرضـاء الله، ولنيـل القبـول عنـد الله، ولطلب الوصـول بحضـرة الله، وللاتصال والوصول بأهل مقامات الكمال فى حضرة الكبير المتعال.

فالأعمال عندما تريد أن تزنها، زنها بصنجة الإخلاص.

﴿ **ألا لله الدين الخالص**﴾[٤].

﴿ وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾[٥].

ولكى أصـل إلى مقـام الإخـلاص، فعلىّ بجولة كبيرة مـع النفس لأطهرها من شهواتها.

---

(٣) سورة البقرة : الآية ١٩٦.

(٤) سورة الزمر : الآية ٣.

(٥) سورة البينة : الآية ٥.

شـهوات النفس الخفيـة

النفس ماذا تحب؟

قالوا: تحب أشـياء كثيرة. أول حاجة تحب الظهور والشهرة، تريد أن تُعرف، تريد من النـاس أن يعرفوا أن فلاناً هـذا رجل يقوم الليل، أو رجل يختم القرآن كل أسبوع مرة، أو رجل ينفق على الفقراء والمساكين.

وحتى لو أنك عملت عمـلاً في السر، تظـل وراءك حتى تذكره لإنسـان، ولا تستريح هى أبداً إلاّ إذا ذكرته لأحد. وقد ذكر ذلك هذا الحديث الشريف الذى قال فيه ﷺ:

«إذا عمل أحدكم عملاً بينه وبين الله، فلا يزال الشيطان به حتى يذكره، فإذا ذكره حبط عمله»[٦].

لأن الشيطان يريد أن يفسد عليك الأمر.

فالنفس ماذا تحب؟

تحب الظهور. فواحد مثلي إذا خطب خطبة، يريد بعد أن ينتهى منها أن يقول له الناس: يا سلام! اليوم أنت أبدعت. أنت اليوم ولا الشيخ فلان، ولا العالم فلان، ولا الواعظ فلان.

هـذا الكلام يُطرب النفس جـداً، وتحب أن تسمع مثـل هـذا الكلام، وتريد أن تستزيد منه. وحتى إذا لم يقله أحد، فإن النفس تطلبه، فتقول: ما رأيك يا فلان فىّ اليوم؟ كيف كانت الخطبة اليوم؟ لأن النفس تريد أن تتلذذ بهذا الحديث.

فهـذه لذة النفس، ولذتها فيها حتفها وهلاكها -والعياذ بالله، وفيها بُعدها عن حضرة القـرب والمناجاة لحضرة رب العـالمين، وحضرة خير المرسلين ﷺ، وهى تتطلب من الإنسان أن يكون واعياً لها وحريصاً منها.

---

(٦) رواه صاحب كشف الخفاء.

وكذلك تريد أن تظهر فى المقدمة، فتجلس فى مكان ظاهر وواضح فى مجلس مثل مجلسنا هذا. وإذا لم يقدمها أحد وقال: تعالى هنا أو هنا يا فلان، يحصل عندها شيء من الضيق، لأنها تريد أن تظهر بأى طريقة. وحب الظهور قال فيه الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه: «حب الظهور يقصم الظهور».

ما الذى يكسر ظهر الإنسان ولا يجعله يصل إلى الله؟

حب الظهور، لأنه مادام عشق الظهور فيكون عمله من أجل الظهور. يريد أن يقرأ من أجل أن يقول ويظهر، ويريد أن يعمل ليظهر أنه يعمل، ويريد أن يتحرك لكى يظهر أنه يتحرك. وهذا العمل يصبح لله أم لغير الله يا إخوانى؟

يصبح لغير الله، لأنه لشهوة خفية. وهذه هى التى يقول فيها الله سبحانه وتعالى -واسمعوا الآية بآذان صاغية وواعية- ماذا يقول فيها؟

الشرك الخفى

﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾[7].

أكثر المؤمنين مشركون!!

كيف يكونوا مشركين وهم مؤمنون؟

عند نزول هذه الآية ذهب أصحاب رسول الله مسرعين إلى مولانا رسول الله ﷺ وقالوا: كيف يكون هذا؟

قال لهم: إياكم والشرك الخفى.

فهناك داء خبيث اسمه الشرك الخفى، وليس الشرك الظاهر. فالشرك الظاهر واضح، وهو أن يعبد غير الله، لكن هناك شيء اسمه الشرك الخفى. ومن مظاهر الشرك الخفى الرياء والعجب.

---

(٧) سورة يوسف : الآية ١٠٦.

فالعُجب يعنى إعجاب الإنسان بعمله، لأنه مسرور من نفسه، وعندما يقوم بعمل يحسّ بزهو وخيلاء فى نفسه. وهذا اسمه العجب لأنه معجب بنفسه، وهو يورّث الغرور والميل إلى المباهاة والكبرياء.

والرياء يعنى العمل لغير الله، أى لأجل الخلق، أو لأجل الظهور، أو لأجل الشهرة، أو لأجل الحصول على غرض من الأغراض كالحصول على مال، أو الحصول على منصب، أو الحصول على غيره، وهذا هو الرياء.

وهذا الشرك ما شكله؟ وما نظامه؟

قال ﷺ فى وصفه:

«الشرك أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمّاء فى الليلة الظلماء»[٨].

هذا هو الشرك الخفى.

والشرك أخفى من دبيب النمل *** أسرع فراراً منك للتوحيد

فحتى نكون موحّدين توحيداً صحيحاً، لابد أن نتخلص من هذا الشرك كله. وكان أصحاب رسول الله ﷺ يلاحظون هذه المواطن بصورة غريبة. فسيدنا عمر رضى الله عنه فى يوم من الأيام وهو أمير المؤمنين، دعا الناس وصعد المنبر، وبعدما صعد المنبر خطب خطبة قصيرة جداً.

ماذا قال فيها؟

قال لهم: كنت أسمّى عُميراً، وكنت أرعى الغنم على بضع قراريط آكل بها -يعنى نقود قليلة، لأن القيراط نوع من العملة الصغيرة- واليوم صرت عمر المدعو أمير المؤمنين.

فلما نزل سألوه: لماذا قلت هذا الكلام؟

(٨) أخرجه أحمد والطبرانى من حديث أبى موسى رضى الله عنه.

فقال: إن نفسى نازعتنى الظهور، فأحببت أن أبيّن لها حقيقتها أمام الناس لتتّضع إلى خالقها وباريها سبحانه وتعالى.

هل أحد منا يستطيع أن يفعل مثل ذلك الآن؟

من منا يستطيع أن يفعل مثل هذا الآن؟

تهذيب النفس

وهـــذا يا إخوانى مبـدأ السـلوك عنـد العـارفين، فعنـدما يأتى إليهم أحـد من المريدين، ويريد أن يصل إلى رب العالمين، فأول خطوة يتخذونها معه، يقولون له: نحن نريد أن نرتاح من نفسك، لأنها طالما هى معك فهى شريك متعب. نحن نريدك لوحدك.

﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان﴾[9].

فيقولون له: نحن نريد رجلاً لرجل، لا نريد فيه شركاء. لا نريد أن يشاركنا فيك النفس وغيرها. نحن نريدك بمفردك.

ولذلك فإن الإمام الغزالى رضى الله عنه وأرضاه –وكان عالم بغداد، وكان يحضر مجلس علمه كما ذكرت الكتب، مايزيد عن عشرة آلاف نفس، لشدة تأثير وعظه وسحره فى النفوس، وطبّقت شهرته المشارق والمغارب–.

لما جاء يسلك طريق القوم دلّه الله على رجل فقير من فقراء الصوفية، فذهب إليه وقال له: أريد أن أسلك الطريق.

فقال له: لماذا؟ وهل أنت محتاج للطريق؟ إنك رجل عالم، عالم كبير جداً.

---

(٩) سورة الزمر: الآية ٢٩.

الباعث على الجهـاد

ما حاجتنا للطريق يا إخوانى؟

وما حاجة هذا العالم للطريق؟

العلوم التى نحصّلهـا لهـا ثلاث وسائل: إما أن نحصّلها عن طريق السـمـاع من العلمـاء، أو عن طريق النظر بالاطلاع فى الكتب، أو النظر إلى المبـدعـات والكائنـات لمحـاولة اسـتكناه أسرارها، ومعرفة خواصـها. وهنـاك نوع من العـلوم لا نستطيع تحصيله بأحد الوسيلتين السابقتين -أى السمع أو البصر- واسمها علوم المكاشفة.

فمثلاً مَن مِن العلماء يستطيع أن يصف الملائكة؟

ومن يقدر من العلماء أن يصف الجنة وما فيها؟

ومن يقدر من العلماء أن يصف ملكوت الله الأعلى؟

ومن يستطيع من العلماء أن يحكى ما فى اللوح المحفوظ؟

ومن يسـتطيع من العلمـاء أن يطّلع على أحـوال أهل البـرزخ، وعلى سـؤال الملكين، وعلى ما يدور فى القبور؟

ومن يستطيع من العلماء أهل السماع أو أهل الاطلاع أن ينكشف على أسرار المخـلوقات، وعلى عجـائب الكائنـات، وعلى غـرائب المبـدعات التى أبدعهـا الله فى كائناته؟

من يستطيع من العلمـاء أن يصل إلى شىء ولو قليل جداً جداً جداً يشيـر به إلى ذات الله العلية؟

هذه الأمور كيف تُعرف؟

تعـرف عن طريق علـم اسـمـه علم الذوق، أو علـم الكشف، أو علم الشـهـود، وهذا يحصل بالقلب. ولذلك لما حدّد الله وسائل المعرفة فى كتابه قال:

﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾[10].

فالذى يسلك طريق القوم لماذا يسلك؟

لكى يحصّل عن طريق الفؤاد ما لا يستطيع أن يحصّله عن طريق السمع، أو عن طريق البصر.

لذلك هذه المشكلات التى ذكرناها، من الذى يستطيع أن يتحدث بشأنها إلاّ العارفون؟

فغيرهم قد يتحدث عنها ظناً، أو حدساً، أو تخميناً. لكن ليس عن علم يقين.

إذن من الذى يتحدث عنها يقيناً (أى رؤية وشهوداً)؟

العارفون. الذين قال فيهم سيد المرسلين:

«تعلموا اليقين وأنا معكم»[11].

والذين قال فيهم الله موضحاً طريقهم الذى يوصّلهم إلى علم اليقين:

﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾[12].

فالموقنون من هم؟

الذين اطلعوا على ملكوت السموات والأرض.

ولكن كيف يطلعون على ملكوت السموات والأرض؟

هل بالمناظير؟

لا، لا يقدرون.

---

(١٠) سورة الإسراء : من الآية ٣٦.

(١١) رواه أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسلاً، ورواه ابن أبى الدنيا فى اليقين من قول خالد بن معدان.

(١٢) سورة الأنعام : الآية ٧٥.

هل بالعيون؟

لا، لا يستطيعون.

إذن بماذا؟

بعين الروح لا عين العقـــول ** شـهدت الغيب فى حال الوصول

بأى عين يا إخوانى؟

عين الروح، وعين القلب، وعين الفؤاد. وهذا ما يجعلنا نسلك سبيل العارفين.
لماذا؟

لنرى ما لا يراه الناظرون، ونعلم ما لا يعلمه العالمون، ونعرف ما لا يعرفه العارفون، بعد تطهير قلوبنا، وتزكية نفوسنا، وهيام أرواحنا، ووقوعنا على عين حقيقتنا التى تكشف لنا حقائق الكائنات التى أودعها الله فى السموات والأرض.

معرفة النفس

فهذا السبيل أراد أن يعرفه الإمام الغزالى، لأنه اطلع على كل العلوم التى كانت فى عصره، لكنه بقى عنده أسئلة لا يجد عليها أجوبة، وهى التى ذكرناها. يريد أن يعرف هذه الخقائق، فكيف له أن يعرفها؟

قالوا له: عليك بالصوفية، فالكتب ليس فيها منها شىء، والعلماء ليس عندهم عنها خبر.

من الذين عندهم هذه العلوم؟

قالوا: لا يوجد إلاّ الصوفية، فاذهب إليهم وهم يعرّفونك. فذهب إلى الرجل الصوفى، فقال له: أتريد أن تعرف هذه العلوم؟

قال: بلى.

قال له: اخلع عمامتك وثيابك -ثياب العلماء، الجبة وغيرها- وتخرج من المدينة التي أنت مشهور ومعروف فيها، وتطلب بدل الشهرة الخمول، وتلبس ملابس سقّاء، وتحمل السقّاء (القربة) وتطوف بها فى الأسواق، تسقى الناس لوجه الله، ولا تأخذ منهم أجراً، ولا تطلب منهم شكراً على ذلك، ولا تأكل إلاّ عندما تأتى عندى، فأنا الذى أقدم لك الأكل. وكل يوم تخرج إلى سوق من الأسواق بعدد أيام الأسبوع.

لماذا كل هذا؟

لأنه يريد أن يهذب النفس.

هذّب النفس إن رمت الوصول ** غير هذا عندنا علم الفضول

هذّب النفس بتوحيد العلى ** عن بيان الآى من فرد قئول

هذا هو تهذيب النفس.

فمكث الإمام الغزالى على هذا الحال سنتين حتى اتّضعت نفسه وتواضعت لله، وعرفت حقيقتها وعرفت قيمتها. فمتى عرفت النفس حقيقتها وقيمتها اهتدت إلى خالقها وبارئها.

«من عرف نفسه فقد عرف ربه».

فبدأت بعد ذلك الفتوحات والهبات والالهامات تتوالى على الإمام الغزالى رضى الله عنه وأرضاه. ولذلك سجّل مسيرته هذه فى كتاب سمّاه «المنقذ من الضلال».

والعجب أنه بعدما وصل إلى هذا العلم كله، وهذه الشهرة كلها، قال: إن هناك حقيقة أنقذتنى من الضلال. كأن كل شىء يحصّله الإنسان أو يعمله المرء قبل معرفة نفسه، يتبين له بعد معرفة نفسه أنه كان ضلال.

وليس الغزالى فقط يا إخوانى، فلو تتبعنا سير الصالحين لوجدنا هذا نهجهم، وسيظل إلى يوم الدين نهجهم هكذا. لأنه لابد من تهذيب النفس حتى تعرف حقيقتها، وتعرف فطرتها التى خلقها الله سبحانه وتعالى منها.

فتعرف أن بدايتها نطفة مذرة، ونهايتها جيفة قذرة، وهى فيما بين ذلك تحمل العذرة. فمتى عرفت هــذه الحقيقة، ووقفت عندها، عرفت حدودها، فلا تطغى ولا تتجبر ولا تستكبر. لأنها تعرف أن الحول والطول، والقوة والإرادة والعلم، كلها من الله، وبتوفيق الله، وبإمداد الله كما قال أصحاب رسول الله ﷺ:

اللهم لولا الله ما اهتدينـــــا *** ولا تصدّقنـــا ولا صلّينـــا

تعبيراً عن هذه الحقيقة. وكما قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه:

علمت نفسى أنى كنت لا شيء *** فصرت لا شيء فى نفسى وفى كلى

به تنزه صــرت الآن موجــــوداً *** به وجــودى وامـــدادى به حـــولى

ومن أنــا عـــــدم الله جمّـــلنى *** فصرت صــــورته العليـــا بلا نيـــل

فمعرفة النفس هى الطريق إلى القدس.

لذلك من الذى يحصل على تأشيرة دخول إلى حضرة ملك الملوك؟

الذى يقدم شهادة إلى الحضرة المحمدية موقعة من رائد من روّاد تزكية النفوس بأنه قد زكىّ نفسه، وقد صارت نفساً زاكية. هذا هو الذى يفتح له الباب، ويدخل فى الرحاب، ويصير من ذوى الألباب.

أما لو مكث الإنسان ملايين السنين، ولم يطهر نفسه، ولم يخرج من وهدته، ولم يتحول عن طريقته، ومتمسك بعاداته –مثل معظمنا هكذا، لا يريد أن يغير عاداته، ولا يغير طباعه، ولا يغير سلوكه، ويريد فى نفس الوقت أن ينال ما ناله المقربون.

كيف يكون هــذا؟!

وهل هــذا يصح؟!

صفات أهل القرب

فلا يدخل أحـد هـذه الحضرة إلاّ إذا كان مرتدياً حُلّة رسول الله ﷺ. أما من هو واقف عند حسّه، مشغول بشهوات نفسه، فلا يتمكن من دخولها أبداً. فقد قيل في ذلك:

«مكتوب على حضرة القدوس لا يدخلها أرباب النفوس».

وحلة رسول الله هذه ما صفتها؟

التواضع، والمسكنة، والذل، والانكسار، والافتقار إلى الواحد القهار.

فالذي يلبس هذه الحلة يسمح له بالدخول. لكن الذي يتمسك بصفات نفسه، فيرى نفسه أنه رجل كريم، وأنه رجل عزيز، وأنه رجل منيع، وأن له صولجان وله سلطان، نقول لهذا ولأمثاله:

ماذا تريد من الله؟

أنت معجب بنفسك، ومدّل بعملك على ربك، فكيف يتم وصلك؟

فمعرفة النفس هي المعراج إلى حضرة القدوس، وهي التي من أجلها نصحب العارفين، ونسير في ركب الأولياء والمتقين.

صور من جهاد العارفين

وسنذكر بعض صور جهاد العارفين لنتأس بهديهم، ونسير على دربهم فمن ذلك: أنهم يواظبون على إحياء الليل في طاعة الله، ثم يصلون الفجر في جماعة، ويشغلون الوقت بعده في ذكر الله، تأسياً بسيدنا رسول الله ﷺ، وعملاً بقوله ﷺ:

«من أخلص لله أربعين صباحاً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»(١٣).

---

(١٣) أخرجه أحمد في الزهد عن مكحول مرفوعاً مرسلاً، وأبو نعيم في الحلية من طريق مكحول عن أبي أيوب الأنصاري.

وإن كانوا يحدّدون غايتهم، ويصحّحون وجهتهم، حتى لا يكون الرجل منهم يخلص الأربعين يوماً من أجـل أن ينطق بالحكمـة، بل إنما هو يخلص فيهم لله عز وجل.

فمن الممكن أن يقعد ويخلص الأربعين يوماً من أجل الحكمة، وهذه تكون عبادة لعلّة، وليست لله. لكن لازم يخلص لله، جاءت الحكمة أم لم تأت، فهذا ليس مقصده، بل مطلوبه رضاء الله بتحقيق حديث رسول الله ﷺ: **«من أخلص لله أربعين صباحاً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»**(١٣).

فمَن منّا يا إخواني لا يريد أن تتفجر ينابيع الحكمة فى قلبه؟

من منا لا يريد أن بحار الأنوار الإلهية تتفجر فى أفق فؤاده؟

من منا لا يريد عيون الأسرار اللدنية تظهر فى لوح معارفه، وفى محيط لطائفه؟

من منا لا يريد سحب الفضل الإلهى، وسحب الخير الربانى تصطدم بجبال قلبه فتهبط التجليات والإشراقات والتنزلات، فيفيضها من قلبه على لسانه لأهل الإشارات وأهل العنايات، الذين جعل الله لهم نصيباً فى هذه العلوم الذوقية؟

من منا لا يريد هذه الأمور؟ والطريق واضحة تتطلب أن المرء يخلص لله. متى؟

فى هذا الوقت يا إخوانى، وقت الفجر.

وقت السحر

بالتجلى فى ساعة الأسحار *** إذ أضاءت شموسه للسارى

ساعة الأسحار يا إخوانى هى ساعة التجلى، وساعة التملى، وساعة التحلى، وساعة القرب والتدانى، وساعة الأنس والتهانى، فى غيبة أهل الأرواح والقلوب عن الهياكل والمبانى.

---

(١٣) أخرجه أحمد في الزهد عن مكحول مرفوعاً مرسلاً، وأبو نعيم فى الحلية من طريق مكحول عن أبى أيوب الأنصارى.

فالذى يريد هذه الحقائق، هاهى.

سفينة أهل الوصال تتحرك فى بحر الأنوار، مسافرة إلى ذى الجلال والإكرام براكبيها فى وقت السحر. فمن تخلّف عن هذا الوقت، تخلف عن الركوب فى سفينة العارفين والواصلين، لأن هذا هو وقت السفر، والذى يصل بعد ما سارت السفينه ماذا يركب؟ خلاص انتهت.

سفينة العشاق التى تجمعهم للتلاق، وللتمتع بحضرة المنعم الخلاق، تطير بأجنحة الأشواق، على رفارف العناية إلى حضرة الخلاق، فى وقت السحر.

فالذى يتخلف عن هذا الوقت ماذا يرى؟

لا يرى إلاّ الأكوان وأهل الأكوان، وما أدراك ما أهل الأكوان؟

فهذه يا إخوانى حالة العارفين، وحالة الواصلين، وحالة الأنبياء والمرسلين من قبل. هى هكذا.

الاستغفار عقب العبادة

﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾(١٤).

ثم ماذا يعملون؟ نائمون؟

لا.

﴿وبالأسحار﴾ –هم نائمون؟– كلا. بل **﴿هم يستغفرون﴾**(١٤).

وما المراد بهذا الاستغفار؟

يعنى انتهى من العبادة، ويستغفر الله سبحانه وتعالى من رؤية التقصير فى العبادة.

---

(١٤) سورة الذاريات : الآيتان ١٧، ١٨.

هل يبدأ الواحد منهم عمله بالاستغفار؟

لا، لكنهم كانوا يستغفرون بعد العمل.

لماذا؟

من رؤية التقصير فى هذا العمل. يعنى يقولون: يارب نحن قصّرنا فى هذا العمل، فاقبله مع قصورنا فيه، واقبله مع غفلتنا فيه، واقبله مع شغلنا عن حضرتك فيه. هذا هو الاستغفار.

فالاستغفار كان بعد العمل، فكانوا الليل فى طاعة ربهم، والسحر فى الاستغفار من رؤية تقصيرهم، ومن رؤية الأشياء التى تنتاب الإنسان وتجعل العبادة غير خالصة للحنّان المنّان سبحانه وتعالى.

مِلْ سُحيراً وادخل بحان الكرام ** تتهنّى من بعد رشف المدام

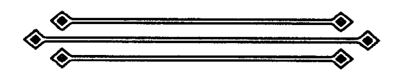
فالذى يريد أن يدخل حان الكرام، أين يذهب.

ها هو الباب.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعرفنا نفوسنا، وأن يلهمنا رشدنا، وأن يبين لنا ما نصلح به شأننا، إنه رب الخير على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ونستغفر الله من كل قول وعمل.



آداب السياحة الروحانية

* أنواع السياحة
* آداب السياحة:

أولاً : تصحيح النيــة.

ثانيــاً : الاستئذان من الأهل.

ثالثــاً : تجهيز نفقات السفر.

رابعــاً : الاستئذان من نائب المرشد فى البلدة.

خامساً : تجهــيز القلب.

سادساً : حقيبــة الســائح.

سابعــاً : علوّ همــة السالك.

ثامنــاً : آداب السالكين فى اجتماعاتهم.

تاسعاً : أدب الحديث عنــد السالكين.

آداب السياحة(*)

العبادة التى نقوم بها الآن هى من أجلّ العبادات، ومن أفضل القربات فى مجال الصالحين والمقربين.

ما اسم هذه العبادة التى نحن فيها الآن؟

﴿ **السائحون** ﴾[1] و ﴿ **سائحات** ﴾[2].

أنواع السياحة

اسمها السياحة.. السياحة الروحانية، وهى غير السياحة الدنيوية. السياحة الدنيوية فى الآثار، أما سياحتنا هذه فهى سياحة فى الأنوار. السياحة الدنيوية سياحة فى عالم المبانى، أما السياحة التى نتحدث عنها فهى فى عالم المعانى، أو فى عالم التهانى، أو فى عالم القرب والتدانى، أو فى عالم النور الربانى أو السر الفردانى.. على حسب سياحة كل فرد من الأفراد.

هذه السياحة من أجلّ العبادات التى أمر الله عز وجل بها المؤمنين والمؤمنات حتى يكتسبوا المبادىء العالية، والدرجات الراقية فى مجالات القرب عند القريب عز وجل.

وحتى يتم لنا المراد، نريد أن نعرف مع بعضنا بعض النوايا والطوايا والآداب التى يجب أن يلتزم بها الأفراد فى السياحة الروحانية. وأنتم شهود على من وراءكم، يعنى كل واحد منكم مطالب أن يبلّغ مَن وراءه.

(*) ألقى هذا الدرس صباح الجمعة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ١٠ من ربيع أول ١٤١٤هـ.

(١) سورة التوبة : الآية ١١٢.

(٢) سورة التحريم : الآية ٥.

الإذن بالسياحة

المفروض أن كل واحد مُقام فى بلد لا يسمح لأحد بالسياحة حتى يختبره، وينظر هل هو عارف آداب السياحة وأحكام السياحة أم لا؟ فإذا كان لا يعرفها فلا يأذن له بالسياحة.

لماذا؟

لأن ما يبطله، وما يفسده يكون أكثر مما يحسّنه.

فلابد له أن يعرف آداب السياحة أولاً. وهذه هى مهمة القائمين فى كل بلد. لابد أن يعلّموا الأفراد الذين يتبعونهم آداب السياحة، ولا يخجلون فى ذلك، لأن هذه أمانة فى أعناقهم.

ولا يصح أن يقول ليس لى دخل بهذا، لأنى لو وجهت فلاناً فسوف يغضب منى... نقول له: لا، لأنه لو غضب منك هنا سوف يرضى بعد قليل، أما لو تركته على عماه، فسوف يشتكيك يوم القيامة لحضرة الله، عندما يراجع ملفه ويجد أنه قد خاب عمله، وخاب سعيه، يقول لك: أين كنت منى؟

يارب خذ لى بحقى من فلان.

فيقول له: ما حقك؟

فيقول: إنه لم ينصحنى وتركنى فى العمى، ولم يفتح لى عينى ولم يوجّهنى ولم يبصّرنى.

فالحق ثقيل، لكن مع ثقله مرىء. والباطل خفيف، ولكن مع خفته -والعياذ بالله- وبىء ومهلك.

ونحن أخذ العهد علينا رسول الله ﷺ -كما يقول أصحابه- بالنصيحة لكل مسلم. أى لابد أن ننصح للمسلمين، ومن لم ينصحهم فقد خان العهد، وحنث فى العهد مع رسول الله ﷺ.

ومن لا يحب النصيحة لا يصلح فى طريق القوم، لأن أهل الطريق كل واحد منهم حريص على نفسه، ويطلب من الناس أن ينصحوه ويقول: «رحم الله إمرءاً أهدى إلىّ عيوب نفسى».

آداب السياحة

آداب السياحة سنتناولها باختصار شديد جداً، حيث أننا لا نستطيع أن نطيل فيها، لأنها تحتاج إلى سفْر كبير، ولكننا سنذكر ما لابد لنا منه، والوسعة بعد ذلك تأتى بعد التطبيق، وكل واحد سيرزقه الله من باب التوفيق مافيه الخير له وللطريق. وهى كما يلى:

أولاً : تصحيح النيــة :

لابد من تصحيح نيته قبل أن يتحرك من البيت. أى قبل أن يخرج من البيت لابد أن يحضّر نيتـه، فيـحدث نفـسه قـائلاً: لماذا أنا خـارج؟ ومن أجل مـاذا هذا الخروج؟

فإذا كان لنية دنيوية، فليرح نفسه. وإذا كان لشهوة أو حظ نفساني فليرح نفسه كذلك.

إذن لماذا يخرج؟

إذا كان من أجل لقاء الإخوان، يكون هذا هو المراد الأكرم، والمقصد الأعظم، لأن لقـاء الإخوان يذهب الأحزان، والنظرة فى وجـه أخ فى الله على شوق خيـر من الاعتكاف فى مسجد رسول الله ﷺ عاماً بنص الحديث الشريف(*).

فنحن هنا مثلاً من أجل ماذا؟

(*) إشارة إلى الحديث الذى يقول: «نظرة فى وجه أخ فى الله على شوق خير من اعتكاف فى مسجدى هذا عاماً». رواه ابن لال عن أبى عمر رضى الله عنه.

من أجل أن نتملى بالنظرات فى وجوه إخواننا. أى أنه لا يجعل أحدكم السياحة من أجل العلم فقط، لأنها إذا كانت من أجل العلم فربما لا يجد الشيخ العالم، أو كان عنده قريباً، فيظن أنه ليس فى حاجة إلى هذه الزيارة.

فالسياحة هنا من أجل أن نتملى فى نظرات الإخوان، ومن أجل أن نتمتع ونتهنى بالروح العالية التى لدى الإخوان.

حقيقة الإخوان:

والإخوان هم هيكل الشيخ، لأن كل واحد منهم خصّه الله بسر، كل واحد منهم خصه الله بفضل، وكل واحد منهم خصه الله بمزية. فعندما يجتمعون تكون حقيقة الشيخ فى مجموعهم، كما قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

فكأنما فى جمعهم رجل له ** قلب توجه وجهة الرحمن

أى عندما يتجمّعون فكأنهم رجل واحد متوجه إلى الله عز وجل.

لماذا؟ لأنهم حال رجل كامل.

فمنهم من أخذ حبه، ومنهم من أخذ عشقه، ومنهم من أخذ صمته، ومنهم من أخذ لسانه، ومنهم من أخذ أذنه، ومنهم من أخذ قلبه، ومنهم من أخذ عينه، ومنهم من أخذ سرّه، ومنهم من أخذ روحه. فلما يتجمعون يكوّنون الصورة المعنوية أو الصورة الحقيقية لسيد الأولين والآخرين ﷺ.

إذن لماذا أحرص على مثل هذه اللقاءات؟

من أجل التمتع بالنظر إلى الإخوان، وآخذ نصيبى من كل روحانى من الإخوان. ففى هذا الاجتماع ونحن لا نشعر، كل واحد يأخذ نصيبه من السر الموجود عند الآخرين، وإن كان لا يشعر، وبعضنا يحس به. كيف يكون ذلك؟

إنه يحس بالحال الذى نحن فيه، والصفاء الذى نعيش فيه.

ومن أين هذا الحال؟

إنه من الإخوان الجالسين والحاضرين، والذين فيهم سر سيد الأولين والآخرين ﷺ، وظهرت فيهم الآية الكريمة:

﴿ وفيكم رسوله ﴾[3].

أى فيكم كلكم، وليس فى واحد منكم. فكل واحد منا فيه سر من رسول الله ﷺ، والذى عند هذا غير الذى عند ذلك، والذى عند الأول غير الذى عند الآخر. فلما نجتمع كلنا يكون قد اجتمع فينا سر رسول الله ﷺ كله، الظاهر والباطن. فالجالس فى هذه المجالس يحظى بمدد رسول الله ﷺ الظاهر والباطن.

أما النوايا الأخرى تكون بعد ذلك، فمن أجل تحصيل العلم أو الحكمة، أو قضاء المصالح أو غير ذلك، وكلها تكون بعد المبدأ الأول وهو لقاء الإخوان فى الله عز وجل.

إذن أول خاطرة أنفذها حتى تصح السياحة، هى إتمام النوايا لله عز وجل.

ثانياً : الاستئذان من الأهل :

فإذا أتممت النية، فعلىّ بعد ذلك أن أستأذن. ولكن ممن؟

من زوجتى التى معى فى البيت إذا كنت متزوجاً، أو من والدى إذا كنت عزباً، لأن الإسلام علّمنا أن المسلم لا يخرج رغماً عنهم.

فالنبى ﷺ لما كان يتعبد فى الليل، كان ينام أولاً مع السيدة عائشة -وذلك فى ليلتها- ثم بعد ذلك يقول لها: **«يا عائشة ذرينى أتعبد لربى تلك الليلة**. يعنى هل تسمحين لى أن أتعبد هذه الليلة؟ **فتقول له: يا رسول الله، والله إنى لا أريد فراقك وأحب قربك، ولا أوثر على قربك شيئاً قط، ولكنى أحب ما تحب»**[4]، أى إذا كنت تريد ذلك فسمعاً وطاعة.

---

(3) سورة آل عمران : الآية 101.

(4) أخرجه ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها.

فيكون ذلك بالرضا، لأنه لا ينفع الإكراه فى ذلك. وهذا ما نتبينه فى قول الله عز وجل:

﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾[٥].

أى لا ينفع الإكراه. إذن فلابد أن نستأذن، ونعلمهن الأدب العالى، ونعرف الزوجة أو الأهل أن المقصد هو لقاء الإخوان، لأنهم ربما يدعون لنا دعوة صالحة يصلح الله بها حالنا، أو يرفع بها النكبات النازلة علينا، أو يصلح بها حال أولادنا.

وهكذا نحببهم حتى يكونوا هم الذين يدفعوننا لمثل هذه اللقاءات. فنعطى للزوجة أو الأهل على قدر مفهومهم شيئاً من الثمرة التى نجنيها من هذه اللقاءات، ولا نتركهم على جهل، فتقول الزوجة مثلاً: هو بيروح ينزه نفسه، يأكل ويشرب وينام مع الإخوان، وتاركنى هنا مع الأولاد فى هذا السجن، وتقصد المنزل. وهذا قد يكون المفهوم بالنسبة لبعض الزوجات أو بعض الأهل، بل ربما يؤدى إلى سوء تفاهم.

ولهذا فإذا حدثت جفوة بسبب سفرى إلى هنا أو هناك فالعيب منى، لأنى لم أعرفهم شيئاً من هذه الثمرة، وأن هذه الثمرة تعود على الجميع بالخير فى الدنيا والآخرة، لأنهم لو عرفوا ذلك سيكونون هم الذين يدفعوننى إلى حضور مثل هذه اللقاءات، ولسان حالهم يقول: إن حضورك هذه اللقاءات هو الذى يأتى لنا بالخير ويمنع عنّا البلايا، ويصلح لنا الأحوال.

ثالثاً : تجهيز نفقات السفر :

أستأذن من زوجتى، ولابد أن يكون معى -كسفر الحج- نفقاتى التى سأصرفها فى هذه السفرة وتكون زائدة عن نفقات أهلى وأولادى، كسفر الحج تماماً بتمام.

---

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٥٦.

فلا يصح أن أستدين لأسافر وأزور الإخوان فى الله. ولا يصح أن أترك أولادى بغير زاد من أجل أن أزور الإخوان فى الله.

بالنسبة لى شخصياً عندما أسافر سفراً طويلاً، المنيا أو أرمنت أو غير ذلك، أو هنا، فقبل أن أخرج من البيت أتأكد أنهم غير محتاجين لشىء حتى رجوعى من السفر، أى أن كل شىء يكون متوفراً، والأموال التى أتركها لهم فإننى أتركها من باب الاحتياط فقط، لأنهم لن يشتروا شيئاً. وهذا هو الأدب العالى الذى علمه لنا سيدنا رسول الله ﷺ.

أما أن أقول لزوجتى: كم بقى معك من مصروف البيت؟

تقول لى: باقى خمسة جنيهات.

أقول لها: هاتيهم، لأنى مسافر إلى القاهرة اليوم، الإخوان هناك، والشيخ هناك.

تقول لى: ونأكل من أين؟

أقول لها: تصرفى، أما أنا فلا أقدر أن أتخلف عن لقاء الإخوان.

فهذا كلام لا ينفع، لأنها لذلك ستكره الإخوان، وقد تلعن الإخوان، وكل شىء من جهة الإخوان، وساعة ما يقول لها أحد الإخوان سيزورنا، تقول له: لا تدخله علىّ البيت.

من السبب؟

أنا، من تصرفاتى، ومن سوء سلوكياتى مع زوجتى فى مثل هذا الوضع.

أرجو أن تستوعبوا هذا الدرس، أريد أن يصل هذا الكلام لجميع الإخوان فرداً فرداً، وكل نائب عن إخوانه الذين فى بلده، والذى لن يوصل فالأمانة فى عنقه، وأنا قد بلّغت اللهم فاشهد.

رابعاً : الاستئذان من نائب المرشد في البلدة :

فإذا كنت ذاهباً لزيارة أخ فى الله، أو ذاهباً لزيارة صديق، أو ذاهباً لزيارة مثل هذه، لابد أن أرتب مع الأخ الكبير الذى كبّرناه فى البلد التى نحن فيها، لأن هذه هى سنة الإسلام.

لا أخرج أنا فى ناحية، وهذا فى ناحية، وهذا فى ناحية. لأن يد الله مع الجماعة. نمشى مع بعض جماعة ولا نكون متفرقين، قال ﷺ:

«إذا كنتم ثلاثة فأمّروا أحدكم»(٦).

فإذا مشينا وأصبحنا ثلاثة، فلابد أن يكون أحدنا أمير، وهو يسير ونحن نسير معه.

وكل واحد ينفق من ماله الخاص حتى ينال الأجر من عند الله عز وجل، ولا يتواكل. فلا نترك واحداً يدفع ونغرّمه، ونقول له ستأخذ الثواب كله وحدك فقط، لأن هذا قد يكرّهه فى الدين. لأنه نفرض أنه ليس معه إلاّ هذين الجنيهين، وهما نفقات أولاده حتى آخر الشهر، أنعرّيه ونقول له هذا كى تأخذ الثواب؟

لقد علّمنا الإسلام أن كل واحد يتحمل نفسه، كنفقة الحج، واحِد سوف يحاسب لا مانع ثم يحاسب الآخرين، وكل واحد يدفع ما عليه. ولو وجد بيننا فقير ونريد أن نتحمله فهذا جائز ويكون تعاوناً بيننا وبين بعض. وإن كان هذا الفقير مستعد لأن يدفع ولم يأت عالة على إخوانه من البداية، لأن مثل هذا لا يصح، فالمسافر لا يصح أن يكون عالة. لابد أن يتحمل عن نفسه حتى يؤجر ويحصل على الأجر والثواب من الله عز وجل.

فإذا نويت الذهاب لزيارة أحد إخوانى فى غير هذه اللقاءات الشهرية، فيجب أن أبلّغ الأخ الكبير، وأعرفه بأننى أريد أن أذهب لأزور أخى فلان. لماذا؟

ربما يعرف أن فلاناً هذا غير موجود فيعرفنى ويريحنى.

---

(٦) متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

أو يريد أن يبلّغ فلاناً هذا رسالة، ففرصة أنه يعطيها لى وأوصلها له.

أو فلان هذا عنده ظروف معينة، فيعرفها لى، فأذهب إليه وأنا مستعد لمواجهة هذه الظروف.

فلابد أن يستأذن المرء الأخ المقام فى البلدة إذا كان ذاهب يزور الشيخ، أو يزور أخاه فى الله، أو يزور هـذا أو ذاك، حتى تكون الأمور واضحة وجلية أمامه، وحتى لا يفاجىء بأن الأمور تأتى على غير مراده. والذى يسافر ويتعب ويجد أخاه غير موجود، لمَ يغضب؟ ويقول إننى قادم من سفر طويل ولم أجده. نقول له: لماذا لم تستأذن وتذهب إلى أخيك حتى يعرفك إن كان أخوك الذى تريده موجوداً أم لا؟ هذا فى السفريات غير اللقاءات الشهرية.

خامساً : تجهيز القلب :

وأيضاً عندما يريد السفر، لابد من أن يجهّز قلبه وذلك يكون بما يلى:

١ - تزكية النفس :

وفى ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه:

«زكّ نفسك قبل السماع، تشرق عليك أنوار الكلام».

أى قبل أن يحضر المرء هذه اللقاءات يجهز قلبه.

فأنا عندما كنت فى حالة طيبة، كنت أجهز نفسى تجهيزاً غريباً. بالصيام والقيام، وتلاوة القرآن، والبعد عن المعاصى، حتى إذا حضرت كنت جاهزاً لتلقى الحكمة العالية. وكان هذا ما يتم والحمد لله، فإذا سمعت درساً وعدت، أكرر الدرس كما سمعته كجهاز التسجيل تماماً بالحرف الواحد. لماذا؟ لأننى زكيت نفسى قبل الذهاب إلى السفر.

٢- الحفاظ من المعاصى الظاهرة والباطنة :

وذلك أن من باب أولى وأنا ماشى فى الطـــريق، وذاهب للقـــاء الإخـــوان، لا ألتفت لهـذه أو تلك، ولا أشغل نفسى بغيبة ولا نميمة، ولا لغو ولا معصية. بل أشغل نفسى بالصلاة على النبى ﷺ، أو الاستغفار، أو ذكر الله، أو أى عمل صالح يقربنى إلى الله عز وجـل، حتى إذا حضرت أحصّل العلم كما قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

خذ ما صفا لك من نور الإشارة كن *** حال السـماع قوى العـزم والدين

٣- التطهر من أمراض القلوب :

أى وكذا وأنا سائر فى الطريق، لا أظن فى نفسى أبداً أننى أفضل الموجودين فى الجماعـة التى معى، حتى ولو كنت صـائماً وهم مفطـرون. فإنه لا يصـح أن أحضر لقاءً من هذه اللقاءات وأنا صائم إلاّ فى رمضان، كما لا يجوز أن أزور أخاً فى الله وأنا صائم نفل. لماذا؟ حتى أعطيه الفرصة لكى يكرمنى.

ولذا يجب أن أجعل زيارته وأنا مفطر. واليوم الذى نويت فيه الصيام، لا أذهب فيه لزيارة أحد، إلاّ إذا كان لا يتأثر من هذا الأمر. وقد كره رسول الله ﷺ الصيام فى السفر، وقال:

«ليس من البر الصيام فى السفر».

أى ليس من برّ الإنسان بنفسه أن يصوم وهو مسافر.

ورغم ذلكِ فإذا قمت بهذه الأعمال، فصمت وصليت، وزكيت، لا أعتقد أننى أحسن مَن فى الجماعة، بل أعتقد أننى أقلهم علماً وأقلهم حالاً، وأقلهم مقاماً، لأنه من تواضع لله رفعه الله عز وجل. وأنا ذاهب لمقام بين يدى الله، فلابد أن أتطامن، وأخضع، وأتواضع لله عز وجل وأنا مسافر إلى هذا المقام.

سادساً : حقيبة السائح :

ما الذى آخذه معى وأنا مسافر؟

أو الذى أحمله فى حقيبتى؟

لابد أن آخذ معى جلباب حتى أنام فيها. فبعض إخواننا المتواكلين -لا أقول المتوكلين- يسافر من غير الجلباب، فيحمّل أخاه المشقة. لأنه ربما سبعة أو ثمانية يزورونه فى وقت واحد، وسينامون عنده، فيأتى بجلباب لمن، ويترك من؟

والمقاسات أحياناً تختلف، هو طويل وزوّاره قصيرون، أو هو قصير وهم طوال. فمن أين يأتى لهم بملابس للنوم؟

أيقترض من الجيران؟ أم يقول لأخيه نم بالبدلة؟ فيقولها له وهو يتأذى.

ماذا يكلفنى أن آخذ جلبابى معى؟ هل هى حمل ثقيل؟

ولنفرض أنها حمل ثقيل، فسيكون لها أجرها، والأجر على قدر المشقة. إذن لابد أن أحمل جلبابى معى.

حتى من الناحية الصحية، لو أن هذه الجلباب التى سألبسها فيها مرض جلدى، فإنها ستعدينى. فالإسلام يقول لى هنا: لابد أن يكون لك ملابسك الداخلية الخاصة بك، وجلبابك الخاص بك، ومشطك الخاص بك -ولا تمشط بغير مشطك- وفوطتك الخاصة بك.

أليس هذا نظام الإسلام يا إخوانى؟

إذن يكون معى جلبابى، ومشطى ومرآتى.

المرآة أحملها أيضاً!!

نعم، فالنبى ﷺ كان يحمل كل هذا فى السفر. كان لا يترك فى السفر المرآة والمشط، والمكحلة (أو القطرة)، وقارورة الزيت[٦] (زجاجة الفازلين أو زيت الشعر)

---

(٦) رواه الترمذى فى الشمائل والبخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه.

حتى يضع على شعره أيضاً وهو فى السفر. فإذا كان هـذا سفر رسول الله ﷺ، فهو الأدب العالى لأمير الأنبياء وسيد الأصفياء ﷺ، فكيف بنا؟

فعليّ أن أحمل معى جلبابى وفوطة صغيرة، ومشط وقلم، حتى أسجل به، ونوتة صغيرة أسجل فيها اسم أخ أو عنوان أخ. ولابد أن أعرف الإخوان، بأسمائهم وألقابهم، فعندما نقدمهم للآخرين، نقدمهم بأنه فلان الفلانى ويعمل كذا وكذا، لقوله ﷺ:

«إذا آخيت أخاً فى الله فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن عمله وعن بلده»[٧].

أى معرفة كاملة. فعندما أقدمه للآخرين سواء فى مجتمع عام أو مجتمع خاص، أقول الأخ فلان الفلانى يعمل كذا، ووظيفته كذا، ومن بلدة كذا أو من محافظة كذا. لكن أقول له الأخ محمد.. محمد إيه؟ سينسى هذا الاسم. لازم فلان الفلانى، واسمه كامل، وأحفظه، وأعرفه وظيفته.

وهذا الكلام كيف أحفظه؟

لابد أن يكون معى نوتة صغيرة أسجل فيها هذه العناوين، ومعى قلم، ومعى نوتة قصائد حتى أقرأ فيها ما تيسر من القصائد، ومعى كتاب صغير من كتب الصالحين، سواء من كتب الإمام أبو العزائم، أو كتب مولانا الشيخ محمد على سلامة، أو أى كتاب لأى رجل من الصالحين. وعندما أركب وسائل المواصلات أفتح كتابى وأقول لنفسى:

﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾[٨].

أى يكفيك هذا الكتاب، فلا تشغل نفسك بالذى يتكلم حولك هنا وهناك، وكن مع الله على الدوام.

---

(٧) رواه الترمذى والخرائطى والبيهقى فى الشعب عن أبى عمر رضى الله عنهما.
(٨) سورة الإسراء: الآية ١٤.

ونحملهم مرة أخرى يا إخوانى، معدّات الحقيبة الخاصة بنا: الجلباب - فوطة صغيرة - المشط - المرآة - القلم - نوتة صغيرة - الكتاب - نوتة القصائد.

وإذا كان المـرء محتاجاً لأدوية معينة، يأخـذ معـه ما يستعمله من الأدوية. فلا يجوز أن يقول لأخيه أنا أتعاطى الدواء الفلانى ونسيته، وتكون الساعة الواحدة أو الثانيـة بعد منتـصف الليل. ماذا يفعل؟ يقول له: ابحث عن صيـدلية تكون مفتوحة. يخرج الرجل ويترك البيت، ويلف على الصيدليات ليحضر الدواء الذى أريده. هل هذا كلام أمر به الإسلام؟ لماذا لا أحمل معى ما أحتاج إليه من الدواء حتى أريح الناس؟

سابعاً : علوّ همة السالك :

السالك فى طريق الله عز وجل، لا ينام إلاّ عن غلبة، ولا يأكل إلاّ عن حاجة وفاقة. لم يذهب لأخيـه للراحة، فهـو مرتاح فى بيته، ولا ليأكل ما تشتهيه نفسه، لأنه يستطيع إحضاره فى بيته.

إذن لماذا هو ذاهب لزيارة أخيه؟

إنه ذاهب ليتزود من الزاد الذى يقول فيه الله:

﴿وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى﴾[٩].

ذاهب ليـحـصّل من زاد التـقـوى، وليس من الزاد الحـسى، فكفـاه من الزاد الحـسى الذى عنده فى بيتـه، وفى بلده، وفى مكانه، وفى زمـانه. لكن إذا عرض عليـه يأكل ويشكر الله عليـه. فـلا يمتنع من الأكل لكن يأكل مـا وجـد ويحلّى الأكل ويحسّنه لأهل المكان، ولو كان شيئاً قليلاً، حتى يجبر بخاطرهم، وحتى يرفع شأنهم، وحتى يشعرهم بالثقة فى فضل الله عز وجل.

---

(٩) سورة البقرة : الآية ١٩٧.

فإذا أطعموه ولو كسرة خبز وحبة ملح يشكر الله عليها ويشكرهم عليها، ويرفع من شأنهم ويثنى عليهم شديد الثناء، لأنهم قد قدموا ما وجدوا، كما كان يفعل سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

ثامناً : آداب السالكين فى اجتماعاتهم :

وفى البيت الذى نزل فيه لا يجوز أبداً أن يفتح حجرة مغلقة لينظر ما فيها، أو يأخذ شيئاً منها بغير إذن، أو يتناول شيئاً ويحرج أخاه ليجعله يوافق على أخذه وإن كان بغير رضا نفسى، حتى لا يدخل فى قول المصطفى ﷺ:

«كل ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام»(١٠).

ومثل هذا ما يحدث من بعض الإخوان الذين يأخذون أشياء من منزل أخيهم بغير إذن، ككتاب أو نوتة. كأن يجد أحدهم نوتة قيّمة فى بيت أخيه فيأخذها ويخفيها، فلا ينتفع بها، أو يجد كتاباً غير موجود عنده فيأخذه ويخفيه. وهذا عندما يحدث يعتقد فاعله أنه خير. لا، كيف يكون خير؟

فكل شىء تأخذه من أخيك بغير إذن لا ينفعك الله عز وجل به، ولا يبارك لك فيه.

إذن ماذا نفعل؟

علينا أن نستأذن.

وحاجة أعجبتة فى البيت، صورة حتى للشيخ أو كتاب لا يقول له، لأنه إن قال، أخوه سيؤثره على نفسه ويعطيها له، وربما ليس لديه غيرها ومحتاج لها، فلا يصح للأخ أن يبدى هذه النظرة، أو يقول مثلاً أن هذا التسجيل ماشاء الله ليس له مثيل، فسيقول له أخوه خذه، ويمكن يكون محتاج له ليس له إلاّ هو، أو هذا الشريط الذى عندك ليس له مثيل ماشاء الله.

---

(١٠) أخرجه السيوطى فى الجامع الكبير عن أنس.

مبدأ القوم على العفة، على عفة النفوس. حتى أن الناس إذا أعطتهم يتعففون وليس يطلبون!! وعايز هذا وعايز ذاك بالبجاحة كدة. مال هذا وطريق الصوفية؟

حتى لو طلب من أخيه، وأعطاه أخوه حياءً منه أصبحت حراماً. قال ﷺ:

«كل ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام»[١٠].

فمثلاً قلت للحاج/ محمد اعطنى هذا الكتاب، فاستحى منى وأعطانيه، ولكنه محتاج له، وليس معه مال ليشترى غيره، أصبح هذا الكتاب الذى أخذته رزقاً حراماً سيحاسبنى الله عليه تماماً كالذى سرق -لأنها سرقة، فعلاً سرقة بسيف الحياء.

أجلسنى في بيته، وأجد حاجة كويسة وأطلبها، فسيعطيها لى ولكنه غير راض من داخله. فالأساس عند الله رضا القلوب. مادام غير راض من داخله، أصبحت حراماً علىّ -والعياذ بالله- على طول.

وقد يحصل أحياناً من بعض إخواننا، يكون أخوه فى العراق أو الأردن أو السعودية، ويرسل إليه يطلب منه شيئاً معيناً، فيحضره له حياءً منه. أنت الذى طلبت منه، فالواجب عليك أن تعطيه ثمنه، لكن الحقيقة أنه طمعان فى أخيه. أصبحت هذه كالأخرى **«كل ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام»**.

أيضاً أخوك ذاهب إلى الحج، أنا عايز كذا.. وهذا الكلام يحدث مع الناس العوام كذلك، أنا عايز جلابية قطيفة، عايز شال صوف، لا.. أنا لا أفرض عليه، يجيب زى ما يجيب أو لا يأتى بشىء. الأفضل من هذا وذاك، أطلب منه قراءة الفاتحة هناك، أو يدعو لى دعوة صالحة هناك أفضل من الدنيا والآخرة. لكن هذه التكليفات مادمت أنا لم أعطه المال، ولا أريد أن أعطيه شىء، أصبحت داخلة فى قول رسول الله ﷺ: **«كل ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام»**.

إلاّ إذا كان صاحب الشىء تطيب نفسه ويحضر ما طلبت برضاء نفس يعنى أنت أحياناً عندما يكلفك أخوك بشىء، تفرح أنه كلفك، وتحاول أن تحضرها

بأى طريقة، فهذا لا شيء عليه، إذا أنت تأكدت من هذا فلا شيء عليك. تماماً كما ذكر الشيخ فى كتاب الإسراء مَن منكم قرأ كتاب الإسراء للشيخ محمد على سلامة رضى الله عنه؟

أقرأتموه؟

ذكر فيه الشيخ قصة الشيخ أبو عسكر عندما وجد رجلاً تاركاً جاموسته تأكل من غيط الجيران.

قال له: حوش الفول بياكل فى الجاموسة.

ثم مشى وتركه، وعلى بعد خطوات الجاموسة ماتت، فجرى صاحب الجاموسة وراء الشيخ.

فقال له الشيخ: أنا قلت لك حوش الفول بياكل فى الجاموسة.

فقال له: ولماذا أنت تترك حمارك يأكل من الغيط؟

قال له: حمارتى نعم تأكل، ولكنه راض، صاحب الغيط لو عرف فسيكون راضى، لكنك تؤكل جاموستك غصب.

والأمور تقاس على هذا المنوال يا إخوانى. فأنا عرفت أن الأستاذ/ محمود لو طلبت منه حاجة سيفرح ويسرّ، وطلبت منه، ليس فى ذلك شيء، لأنه سيفعلها برضاء نفس. لكن لو طلبت منه حاجة وسيؤديها وهو متبرم، أو وهو متضايق، فهذه هى التى فيها الحرج، وتدخل فى قول رسول الله ﷺ: **«كل ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام»**.

أيضاً ليس من أدب الإسلام أن يكثر الإنسان من التطلع إلى الرياش والأثاث فى بيت أخيه، فيجلس كالحرامى يتطلع مرة إلى هذا السقف، ومرة إلى هذا الجدار.

ما الحكاية؟

أنت ذاهب لزيارة أخيك أم للبيت؟

ذاهب لأخيك، إذن فنظرك لا يعدو أخاك طرفة عين، حتي تنال رضا الله عز وجل فى المشهدين. فأنت لم تذهب حتى تتفرج على بعض الأثاث الذى لديه، أو بعض الموبيليا التى طرفه. مالك ومال هذا الكلام؟ هذه الأشياء لا تشغل إلاّ الفارغين واللاهين بالدنيا عن الدين.

أما الإنسان فأكثر شيء يهتم به عند أخيه هو أخاه، لأنه ذاهب من أجله لا من أجل البيت، ولا من أجل أثاث البيت، ولا من أجل مقتنيات البيت، ولا من أجل رياش البيت. بل ذاهب من أجل أخيه الذى يعمر هذا البيت، وهو الأساس الذى عنده كله.

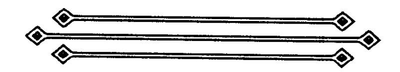
تاسعاً : أدب الحديث عند السالكين :

فإذا دار حديث بينه وبين أخيه، فيلتزم بأدب الحديث. وأدب الحديث الذى يوضحه رسول الله ﷺ لنا:

إذا تكلم أحدنا يستمع له الآخرون، ولا يقاطعون وإنما يتركوه حتى يفضى بما عنده، ثم يناقشونه أو يردّون عليه. ولا يتكلمون فى الحرمات، ولا فى الغيبة ولا فى النميمة. ولا فى لغو الكلام، وإنما كما قال الإمام أبو العزائم فى مجالسنا:

مجالسهم ذكر ونور وحكمة ** لأنهم تابعوا المختار فى السير

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



كيفية الحمد والشكر

* نعم الله فى الإنسان.
* كيفية الحمد.
* وصف الحامدين.
* حقيقة الشكر.
* حكمة الصلاة.
* كيفية الشكر.
* أبواب الشكر
* فضل الشكر والشاكرين.

كيفية الحمد والشكر(*)

استمعنا اليوم إلى ايات كريمة، ونحن نقرأها فى كل صلاة، ليست مرة واحدة، بل فى كل ركعة من ركعات الصلاة نقرأها.

على مذهب الإمام مالك، المأموم لا يقرأ الفاتحة. لماذا؟ لأنه يعتبر قراءة الإمام قراءة له، لأن الإمام قرأ عن الجميع. لكن الإمام الشافعى رضى الله عنه وأرضاه يطلب من الإمام والمأموم قراءة الفاتحة فى كل ركعة من ركعات الصلاة، حتى الركعات التى يقرأ فيها الإمام قراءة جهرية، يطلب منه أن يسكت سكتة حتى يقرأ من خلفه الفاتحة.

لماذا؟

لأنه أخذ بالحديث الذى يقول فيه رسول الله ﷺ:

«كل صلاة بغير فاتحة الكتاب فهى خُداج»[1].

وكلمة خُداج يعنى ناقصة. ناقصة من الخير ومن البر ومن البركة. وكلاهما على خير.

الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه وأرضاه أخذ بقول الله عز وجل: **﴿فاقرأوا ما تيسر منه﴾**[2]. وقال الذى يقرأه الإمام فهو قراءة للمأموم. الإمام الشافعى قال: الإمام يقرأ الفاتحة والمأموم، واعتبرها ركناً من أركان الصلاة. لكن هذا صحيح وهذا صحيح، والاثنان من جوهر النبوة أخذوا، ومن الأسوة الطيبة اقتبسوا. لا نستطيع أن نقول هذا خطأ أو هذا صحيح، لأنهما مجتهدان.

(*) كان هذا الدرس يوم الخميس ١٩٩٤/٥/٥ بعد صلاة المغرب بمسجد عزبة أبو اسماعيل - مركز مطاى - محافظة المنيا.

(١) رواه أحمد والستة عن عبادة بن الصامت.

(٢) سورة المزمل : الآية ٢٠.

الشاهد أننا لابد فى كل ركعة إما أن نسمع أو نقرأ الفاتحة، أو نسمعها ونقرأها.

وما أول آية فى الفاتحة؟

﴿الحمد لله رب العالمين﴾.

إذا قدّم لى أخى جميلاً ماذا أفعل؟

أشكره.

ومتى أشكره؟

بعد أن يصنع الجميل، ثم أعرف قيمة هذا الجميل.

فمن أجل أن تكون قراءتى صحيحة، لابد أن أستحضر قبل الصلاة وعند افتتاح الصلاة قدر النعم التى تفضل بها علىّ الله عز وجل. لابد أن أستحضر هذه النعم جميعها لكى أشكره عليها.

لماذا نقف أمامه؟

نقف لنقول له إننا شاكرون على جميل عطاياك. نحن شاكرون لحسن تدبيرك لنا فى كل أمر من أمورنا. نحن شاكرون لاصلاحك لنا هذه الأعضاء.

كان الإمام أبو اليزيد البسطامي رضى الله عنه وأرضاه عندما يستيقظ من نومه —وقد كان من كبار العارفين بالله عز وجل— ينظر فى المرآة. فقالوا له: لماذا تفعل هـذا؟

قال: حتى أنظر إلى وجهى، هل أكرمنى الله عز وجل وعفا عن ذنوبى وأبقاه على هيئته، أم آخذنى بذنوبى وغيّر خلقتى؟

فلو آخذنا بذنوبنا نصبح فى الصباح لا نرى شيئاً من الذى معنا من هذه النعم الدائمة التى تفضل بها علينا الله، وهو الذى أبدعها، وهو الذى يكفلها، وهو الذى يدبرها، وهو الذى يسيرها بقـدرته وإرادته وحكمته عز وجل. وهذه النعم يا إخوانى ليست هينة.

نعم الله فى الإنسان

فعندما ذهب رجل إلى أحد العلماء العاملين، يشتكى سوء الزمان، وأن الزمان جنى عليه، وأنه ليس به خير ولا برّ ولا شىء.

فقال له: يا أخى، أترضى أن يأخذوا عينيك ويعطوك عشرة آلاف دينار؟

قال: لا.

فقال له: أترضى أن يأخذوا أذنيك ويعطوك عشرة آلاف دينار؟

قال: لا.

فقال: أترضى أن يخرس لسانك ويعطوك عشرة آلاف دينار؟

قال: لا.

فقال له: أترضى أن تكف رجليك عن المشى وتأخذ عشرة آلاف دينار؟

قال: لا.

فقال له: أترضى أن يمسك يديك عن الحركة وتأخذ عشرة آلاف دينار؟

قال: لا.

فقال له: يا أخى معك خمسين ألف دينار من هؤلاء فقط، وتقول إننى فقير ومحتاج ولا أحد يعطف علىّ ويعطينى!

فما بالك لو أتى بالنعم الأخرى، ومنها العقل، ما الذى يساويه فى الدنيا والآخرة؟

فهذه النعم من الذى يحفظها؟ ومن الذى يؤمن عليها؟

الله عز وجل. فلو أنه أخذ نعمة من هذه النعم **﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾**[٣].

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

من الذى يقول له: لم فعلت هـذا؟

إذا أصبحت فى الصباح ووجدت العين لا ترى، هل أقول له لماذا أخذتها؟

أبداً. ﴿**ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة**﴾(٤).

لو يؤاخذنا ببعض ذنوبنا لا نساوى شيئاً، لكنها نعم لا عدّ لها ولا حصر لها، سواء بداخلى أو من حولى، أو فى منزلى أو بعقلى، وكل هذه النعم من أجلى صنعت، لماذا؟

قال: لأنك مطلوب لله تعالى، وقد حملك الأمانة التى من أجلها صرت خليفة عن الله عز وجل فى هذا الكون.

من أجل هـذا كل شيء مجهز لك، فأنا مطالب عنـدما أقف بين يدى الله عز وجل فى الصـلاة، أن أستحضر أولاً نعم الله علىّ. مَن الذى أتى بى إلى هنـا؟ ومن الذى حرّك الأعضاء وسارت إلى هنا. ومن الذى فكّر العقل وجعله يتذكر الكلمات التى نقولها فى الصلاة؟

لو ضغط الله على مفتاح الإيقاف، هل أتذكر شيئاً وأنا فى الصلاة يا إخوانى؟

لا، فكما أدخل أخرج، لكن من الذى يشغّل ومن الذى يعطّل؟

أنا العقل معى، لكن هل يستطيع أحد أن يعطّله أو يشغله يا إخوانى؟ يعنى هل تستطيع أن تقول للعقل: انتظر نصف ساعة بدون تفكير حتى أستريح؟

لا تستطيع لأن الذى يشغله الله رب العالمين.

حتى الأعضاء العادية، فالجهاز الذى يأكل ويحضّر الأنزيمات، ويهضم الطعام، من منّـا يستطيع تشغيله أو إيقافة؟ ومن يستطيع أن يقول للمعدة انتظرى نصف ساعة وبعد ذلك اهضمى؟

الأجهزة بداخلى، لكن من الذى يشغلها يا إخوانى؟

---

(٤) سـورة فاطر: الآية ٤٥.

الله رب العالمين. وإن كانت معى فلكى أشكر أنا وأنت الله الشكر المطلوب، فإننى مطالب أن أعرف جميع هذه النعم التي فيّ، والتى من حولى، والتى لى هنا، والتى لى عند الله، والتى لى فى الجنة حتى أشكر الله عليها.

هل يستطيع أحد منا أن يحيط بهذه النعم يا إخوانى؟

أبداً. **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾**(٥).

نعمة واحدة، وليست نعم الله، يقول نعمة واحدة من نعم الله لا نستطيع أن نعد الفضل الذى لنا فيها من الله عز وجل.

الفضل الذى لنا فى نعمة البصر لا نستطيع أن نعدّه، والفضل الذى لنا فى نعمة السمع لا نستطيع أن نعدّه. من الجائز أن بعض الأطباء الأجانب المهرة، حاولوا أن يعدوا بعض الوظائف، فأتوا بالكبد وعدّوا له حوالى ثلاثمائة وخمسين وظيفة، وقالوا: ربما فى المستقبل نكتشف وظائف أخرى له لا نعرفها الآن.

هذا فى الكبد فقط، فما بالكم بباقى الأعضاء أين نذهب؟

لا نستطيع.

ماذا نفعل يارب؟

قال سبحانه: إنى أعلم أنكم عاجزون، فأنا أشكر نفسى وأنتم تقولون مثلما أقول. كيف؟

يعنى أحدنا يعدّ ويستحضر هذه النعم، وبعد ذلك يقول: إنى لا أعرف أن أشكرك، ولكنى أقول ما كلفتنى بقوله فى الصلاة، وأعرف أننى عاجز: **﴿الحمد لله رب العالمين﴾**.

هكذا يشكر الله وهو شاعر أنه مقصر، وهو يشعر أنه لم يقم بالذى عليه، وهو يشعر أنه لا يستطيع أن ينهض بشكر نعمة واحدة من النعم التى غمره بها الله عز وجل.

---

(٤) سورة النحل: الآية ١٨.

لكن الذى دخل الصلاة وهو يظن أن ربنا غبنه، وكيف أنه أعطى فلاناً كذا وكذا، ولم يعطه، فهـذا يقول بلسانه: **﴿الحمـد لله رب العالمين﴾** وقلبه غير راض عن الله، لأنه غاضب منه.

هل هذا يصبح شاكراً لله عز وجل يا إخوانى؟ لا.

أو الذى يرى نفسه أنه قد قدّم شيئاً كبيراً لله، حيث يقول فى نفسه: استيقظت من نومى، وتوضأت، وخرجت من بيتى، ووقفت أمامك، وبهذا فقد فعلت شيئاً عظيماً. وهذا قد تباعد صلاته بينه وبين الله عز وجل، لأنه لبس رداء الكبرياء أمام المتكبر عز وجل، وهذا لا يصح أبداً. فالذى يقف بين يدى الله يكون كما قال ﷺ:

«إنما الصلاة تمسكن وتواضع وخضوع لله عز وجل»[٦].

فحال الإنسان المؤمن أثناء الصلاة هو هذا الحال.

كيفية الحمد

فهل عندما أقول: **﴿الحمد لله رب العالمين﴾** أكون قد شكرت الله يا إخوانى؟

لا، هناك شيء اسمه الحمد، وشيء اسمه الشكر. فالحمد شيء والشكر شيء آخر. فالحمـد لله رب العالمين عمـل من أعمال القلوب، واللسـان يترجم عمّا فى الجنـان. فالذى يحمـد الله يعترف بالفضـل لله، ويقرّ بأن كل النعم التى فيه من الله واصلة، وبالله حاصلة، وبفضل الله عز وجل تشمله وتحوطه، وتقوم له بكل ما يحتاجه فضلاً من الله ونعمة.

هذا هو الحمد، يعنى الاعتراف القلبى بأن كل النعم من الله عز وجل.

سنوضح أكثر.. أنا رجل حامد لله عز وجل، وأريد أن أحمده فلابد أن أكون فى قرارة نفسى معترف بأن كل شيء يحدث لى من الله عز وجل، من الخير والبرّ

(٦) رواه الترمذى والنسائى من حديث الفضل ابن عباس رضى الله عنهما.

والفضل. وكل شيء يحدث لى من الشر فمن نفسى، ومن لؤمى، ومن خبث طبعى، ومن سفهى، ومن جهلى.

فعندما يأتى أحدهم ويقول لأخيه إن حقلك هذا العام أتى بمحصول ماشاء الله. الحامد يقول له: هذا بفضل الله وتوفيقه وبمعونته. والآخر الغير حامد- يقول: نعم بشطارتى ومهارتى وخبرتى، فأنا فعلت وسوّيت. ويعد الأعمال التى عملها، وينسب هذا الفضل لنفسه. فبهذا خرج من دائرة الحامدين.

إبليس عَبَدَ الله عز وجل سبعين ألف سنة، لكنه رأى أن هذا العمل الذى عمله بقوته وفتوّته، وشطارته ومهارته. من أجل هذا قال:

﴿ أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾[7].

فكانت النتيجة أن طرده الله عز وجل.

لماذا؟

لأنه لم ير فضل الله عليه فى هذا العمل:

من الذى وفقك؟ ومن الذى أكرمك؟ ومن الذى ألهمك؟ ومن الذى هيّأ لك الأسباب؟

لو رأى هذه الأشياء لنسب الفضل لله عز وجل.

ولأجل هذا فالرجل الذى يرى الفضل من الله يقول: يا أولادى قبل أن يدخل المحصول المنزل أخرجوا حق الله عز وجل، فلولا معونته لنا، وبركته علينا، ولولا توفيقه لنا، ما أتى هذا المحصول. فاخرجوا حق الله لكى يزيدنا بعد ذلك.

والآخر يقولون له: الزكاة، فيقول: وما الزكاة؟ أنا طوال العام أتعب وأشقى وأكدّ، وفى النهاية أعطيها لفلان وفلانة جاهزة!!. لأنه يرى نفسه، فمثله كمثل الرجل الذى قالوا له: إن الفضل الذى أنت فيه من الله، قال: لا.

---

(٧) سورة ص : الآية ٧٦.

﴿ **إنما أوتيته على علم عندى** ﴾[٨].

فكل هذه الأشياء من علمى وخبرتى، ومهارتى وشطارتى هى التى أتت بهذه الأشياء. فكانت النتيجة:

﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض** ﴾[٩].

وصف الحامدين

الإنسان الحامد لله هو المقرّ والمعترف، ليس بلسانه بل بقلبه وجنانه، بأن الفضل كله من الله وإلى الله عز وجل.

يقولون له: أولادك ماشاء الله، ربنا بارك فيهم، وبررة ومطيعين ومتفوقين.

يقول الحامد: هذا من فضل الله، هو الذى هداهم ووفقهم. وماذا كنت فاعلاً لهم لولا توفيق الله ومعونته؟

فهذا الرجل أصبح إنساناً حامداً، لأنه نسب الفضل لله عز وجل.

أما الآخر فيقول: إننى أقوم بتأديبهم، وأحضر لهم العصا، وأراقبهم ليل نهار، وأتابعهم، وينسب الفضل لنفسه.

فمثل هذا خرج من دائرة الحامدين، لأن الحامد ينسب الفضل كله، والنعمة كلها لله رب العالمين.

وهكذا يا إخوانى فى أى أمر، فإن كان طبيباً يقولون له: أنت السبب فى علاج فلان.

يقول: لا، الفضل لله ومن الله وإلى الله عز وجل.

لكن النساء، الواحدة منهن تقول لصاحبتها: انظرى ما أنجبت؟ وكيف شكله وصورته؟

---

(٨) سورة القصص : الآية ٧٨.

(٩) سورة القصص : الآية ٨١.

والحقيقة أنها لم تأت به أو بشكله أو صورته، فالذى أعطى هو الله الذى يقول:
﴿هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء﴾(١٠).

من فيهن صورت؟ ومن فيهن قصّرت أو أطالت أو لوّنت؟ هذا أبيض، وهذا أسود، وهذا أحمر. ومن فيهن كوّنت؟

لكن يا إخوانى لمن الفضل؟

لله عز وجل، هو الذى صوّر، وهو الذى كوّن، وهو الذى لوّن، وهو الذى دبّر، وهو الذى هيّأ هذا الإنسان. فالفضل من الله وإلى الله عز وجل.

فالإنسان الحامد هو الذى ينسب كل شيء إلى الله عز وجل. وهذا مثله واضح فى قول سيدنا إبراهيم عليه السلام:

﴿ الذى خلقنى فهو يهدين، والذى هو يطعمنى ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين﴾(١١).

مع أن المرض ليس منه، لكنه أدب الحضرة، نسب المرض -لأنه عيب- لنفسه عليه السلام. فينسب الحامد كل كمال إلى الله، وكل نقص وكل تقصير، وكل سهو وكل غفلة إلى نفسه.

وهذا يا إخوانى فى حال الكلام سهل، لكنه فى حال الفعال صعب، ولا يأتى به إلاّ كمّل الصالحين، وكمّل المقربين، والذين إحساسهم دائماً فى كل وقت وحين أنه معهم، وأنه سبحانه لو تخلّى عنهم طرفة عين لا يستطيع الواحد أن يطرف أو يحرك أصبع أو لسان أو أى عضو، ويعلم أن الله عز وجل هو الفعال لما يريد. هذا يا إخوانى «الحمد».

فالحمد يا إخوانى أجمله سيدنا أبو بكر فى جملة واحدة، قال فيها: «الحمد لله الذى لم يصل أحد إلى معرفته إلاّ بالعجز عن معرفته». وهذه خطبة كاملة خطبها سيدنا أبو بكر ونزل.

---

(١٠) سورة آل عمران : الآية ٦.

(١١) سورة الشعراء : الآيتان ٧٩، ٨٠.

ومعنى هـذه الخطبة أن أهـل الحمـد الأعظم هم الذين وصلوا ووقفوا على (لا حـول ولا قوة إلاّ بالله). فيرى الواحـد منهم فى نفسـه أنه ليس له حـول ولا طول، ولا قوة ولا فضل، إلاّ إذا أمدّه بذلك الله عز وجل.

فعندما يُطلب من أحدهم مصلحة، يقول إذا وفقنى ربنا سأفعلها. وعندما يُطلب منه علم يقول: إذا ألهمنى ربنا سأعلّمك. فهو دائم واقف على أعتاب فضل الله، يستمطر الخير والنعم كلها من الله، لأنه يرى الفضل كله من الله وإلى الله عز وجل.

ولذلك لما حدثت للسيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها حادثة الإفك، واتهمها المنافقون بالزور والبهتان، ونزلت براءتها من الله عز وجل، وكان سيدنا رسول الله ﷺ جالساً مع سيدنا أبى بكر ومعهم السيدة عائشة، فقال لها سيدنا رسول الله ﷺ: يا عائشة أصدقينى، فقالت: لا أتكلم ولكن الله عز وجل سيظهر براءتى.

وهم جالسون، أخذه ﷺ الوحى، ونزلت البراءة آيات تتلى فى كتاب الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وتعطى درساً عظيماً للمؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة. أدب ربانى فى درس قرآنى، وكانت نتيجة الحادثة التى تعرضت لها السيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها.

ودائماً دروس القرآن الكريم نماذجها تكون أبطال الله، وأولياء الله عز وجل، وأنبياء الله ورسل الله، لأنهم هم الذين يستطيعون تحمل هذه الدروس.

فبعدما قرأ سيدنا رسول الله ﷺ العشر آيات الأول من سورة النور، والتى فيها البراءة، قال سيدنا أبو بكر رضى الله عنه وأرضاه: يا عائشة احمدى رسول الله ﷺ، قالت: لا أحمد إلاّ الله عز وجل. (خرجه البخارى ومسلم والطبرانى وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها).

انتبهوا يا إخوانى، فهذا خالص التوحيد.

إذن لمن الحمد؟ لم يقل سبحانه «حمداً لله» إنما قال «الحمد لله». فالحمد كله فى الدنيا والآخرة لله، على كل نعمة ظاهرة وباطنة. فلا أحد من خلقه له نصيب فى الحمد.

فما الوصف المشترك بين الله وبين خلقه؟

هو الشكر.

إذن لمن الحمد؟

لله

فكيف نحمد الله؟

كما علمنا رسول الله ﷺ، فى وقت الخير نقول: «الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات». وفى وقت الضرّ نقول: «الحمد لله على كل حال».

هكذا نحمد الله عز وجل في السرّاء، ونحمد الله فى الضراء، لأننا حامدون لله عز وجل على كل نعمة ظاهرة أو باطنة.

حقيقة الشكر

لكن الشكر شيء آخر، فما هو؟

الشكر بيّنه الله عز وجل فقال: **﴿اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور﴾**[12].

فالشكر عمل، ونحن نعلم هذا يا إخوانى. فالحمد عقيدة ومعانى قلبية، وأسرار روحانية، يعيشها الإنسان بقلبه، والله عز وجل مطلع على القلوب، ويعلم ما فيها من الغيوب.

---

(١٢) سورة سبأ: الآية ١٣.

لكن الشكر حالة فعلية تفعلها الجوارح شكراً لله عز وجل. وكل جارحة لها شكر، وكل نعمة واردة عليّ لها شكر يناسبها فى كتاب الله وفى حديث وسنة رسول الله ﷺ.

نحن الآن فى موسم الحصاد، هل إذا جلسنا على رأس الحقل ونقول الحمد لله رب العالمين، ربنا أكرمنا وأعطانا، ونجلس على رأس الحقول أسبوعياً نكرّر هذه الكلمات هل نصبح شاكرين لله يا إخوانى؟

لا.

متى يكون الرجل منا شاكراً لله؟

عندما يأتى ويرى المحصول، ويخرج منه حق الله وهو الزكاة، هذا هو الشكر العملى. فالحمد أنه ينسب هذه النعمة، وهذا الفضل لله، لكن هذا لا ينفع إلاّ ومعه الشكر. والشكر معناه إخراج حقوق الله عز وجل الواجبة عليه فى هذا المحصول لله سبحانه وتعالى. إذا كانت العشر أو نصف العشر أو غيره، على حسب ما حددت وبيّنت الشريعة الغراء، ووضح سيد الأنبياء ﷺ.

وهذا رجل يصلى، ويصلى الفجر فى موعده، وقبل الفجر أيضاً يصلى التهجد لله عز وجل، ويقرأ ختمة قرآن كل يوم، لكن لم يخرج حق الله. هل تصبح هذه عبادة يا إخوانى؟

أبداً، إنه يعتقد أنه يضحك على الله، يعتقد هذا فى نفسه، وهو بهذا داخل فى قوله تعالى:

﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلاّ أنفسهم وما يشعرون﴾[١٣].

فالشكر فى هذا الموضع هو العمل كما قلنا.

عبد أفاء الله عليه، وأخرج الزكاة، لكن عنده مال زائد ما شكره فى هذه الحالة؟

---

(١٣) سورة البقرة : الآية ٩.

أن يذهب لأداء فريضة الحج لله عز وجل. لكن عنده مال زائد وحتى لو أقام مستشفى أو مسجداً أو غيره، لكنه لم يذهب لأداء الفريضة المدين بها لله عز وجل، هل تصلح هذه الأعمال الخيّرة يا إخوانى؟

لا، نحن علينا الأصول أولاً، وبعد الأصول الفروع. فأنا معى مال زائد بعد إخراج حق الله (الزكاة)، فأنا على الناحية الأخرى وهى شكرى لله على هذا المال بأداء الفريضة لله عز وجل.

حكمة الصلاة

أعطانى ربنا الصحة، وأصبحت فى الصباح معافاً فى بدنى، وعينى سليمة وأذنى سليمة، ولسانى مستقيم وجوارحى تتحرك بإرادة من يقول للشىء كن فيكون. فليس شكرى على هذه النعم أن أقول: الحمد لله فقط، مثلما يقول بعض الناس: مادام قلبى نظيف غير مهم أى شىء آخر.

ما لنا ولقلبك! والذى صنع القلب ويعلم بباطن القلب هو الذى أمر بهذا الأمر.

شكرى لله الذى علىّ بالنسبة لهذه الجوارح ماذا؟

أننى أعفّرها بالتراب أمام رب الأرباب. أسجد بها لله، وأركع بها لله، وأخضع بها بين يدى الله، من أجل أن أشكره أنه جعل هذه الأعضاء تتحرك طوع أمرى، وأستعين بها فى هذه الحياة على طاعته وقربه عز وجل.

هذه هى الحكمة الأولى من الصلاة، أننى أشكر الله على هذه النعم. وهذه النعم متجدّدة، لأننى كل يوم أستيقظ وعينى ترى فواجبى أن أشكر الله على هذه النعمة هذا اليوم، فهى ليست نعمة طوال العمر، إنما هى نعمة متجددة دوماً فى كل نفَس، وأنا محتاج أن أشكر الله عليها، والله عز وجل لم يرض أن يشق علينا، فقال: يكفى أن تقف بين يدى الله عز وجل خمس مرات تشكره على نعم

الجوارح، نعم الأعضاء الظاهرة والباطنة التى خلقها وصورها وشغلها وهيئها، وكونها وغذاها عز وجل فأشكره عليها.

كيفية الشكر

فشكرى لله عز وجل على نعمة الأعضاء بالصلاة، وأشكر الله على نعمة المال بالزكاة، وأشكر الله عز وجل على نعمة اللسان أننى أذكر الله به، سواء بالاستغفار أو بتلاوة القرآن، أو بصلاة على حضرة النبى ﷺ، أو بتسبيح أو بتحميد، أو بتهليل أو بتكبير لله عز وجل.

وأشكر الله عز وجل على نعمة العين بأن أنظر بها فى كتاب الله عز وجل، وأشكر الله على نعمة الأذن فأسمع بها كلام الله، أو حديث رسول الله ﷺ، أو مجالس العلم النافعة التى تقرب إلى الله عز وجل.

وأشكر الله على نعمة العقل أننى أفكر به فى الخير لنفسى وأولادى ولإخوانى المسلمين، أو أفكر به فى مصلحة تنفع المسلمين، أو فى حلّ معضلة تشغل المسلمين، أو فى فك كرب جار لى من المؤمنين. فالتفكير فى الخير هو شكر لله عز وجل على نعمة العقل.

إذن كل نعمة لها ما يلائمها من أنواع الشكر. والشكر كله عمل، **﴿اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور﴾**[١٤]. ولذلك كما تعلمون، عندما وقف سيدنا رسول الله ﷺ طوال الليل على قدم واحدة، حتى تورّمت قدماه، والسيدة عائشة تقول له: إن الله لم يكلفك بهذا، ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

فقال لها: « **أفلا أكون عبداً شكوراً** » (متفق عليه من حديث عائشة).

---

(١٤) سورة سبأ: الآية ١٣.

فأنا أريد أن أشكر الله على هذه النعم، وكيف أشكره؟

أقول الحمد لله فقط. لا، بل أشكره بالفعل وبالصنيع. وكل نعمة من نعم الله أعطاها لك لها شكرها، ولها طريقة الشكر التى بينّها سيد الشاكرين ﷺ، حتى نكون شاكرين بالطريقة الصحيحة المرضية لله عز وجل.

أحد الأغنياء وكان جالساً معى، والذين معه يثنون عليه ويقولون: إن فلاناً هذا ماشاء الله، عنده حوالى مائة فدان، وقصر وخدم وحشم، ومع ذلك لابد أن يقوم الليل بين يدى الله يتهجد، ويصوم يومى الاثنين والخميس دائماً، ويثنون عليه. فقلت لهم: ليست هذه عبادته، ولا هذا شكره، فهذا شكر الفقير.

لكن ما عبادته؟

عبادته قال فيها النبى ﷺ:

«هلك الأكثرون إلاَّ من قال بالمال هكذا وهكذا»[١٥].

عبادته أنه يتفضل بالنعمة التى تفضل بها الله عز وجل عليه، على الفقراء والمساكين، وعلى المحتاجين. هذه هى العبادة التى يرضاها ويقبلها منه الله عز وجل. قال تعالى:

﴿ قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر﴾[١٦].

من هذا؟

الذى أخذ المال وأخذ الملك.

---

(١٥) رواه مسلم والبخارى من حديث أبى ذر رضى الله عنه.

(١٦) سورة النمل : الآية ٤٠.

فالذى أخذ الملك، كيف يكون شكره؟

بالعدل بين عباد الله، فالذى أخذ الملك أى الذى جعله الله مديراً، أو وزيراً، أو حاكماً، فشكره على هذه النعمة القيام بالعدل بين خلق الله، ورعاية حقوق من كلفه بهم الله عز وجل، والسهر على مصالحهم.

هل كان سيدنا عمر يسهر فى المسجد، أم كان يسهر فى الطرقات؟

كان رضى الله عنه وأرضاه يتسمّع على هذا المنزل أو ذاك ويرى مصالح الناس هنا وهناك. هذه هى عبادته، وليست عبادته أن يجلس فى المسجد ويترك هؤلاء الناس.

فكل فرد له شكره على قدر النعم التى وهبها له الله عز وجل. وكل نعمة تفضل بها عليك الله. فهذا هو الباب الذى فتحه الله لك لشكره عز وجل، فإذا دخلت من هذا الباب ستصل إلى الخير الذى قدّره الله عز وجل لك. وتركت هذا الباب الذى فتح لك، وتريد أن تذهب إلى باب آخر، لن تدخل إلى رحاب الله ولا إلى فضل الله، ولا إلى كرم الله عز وجل.

ما الذى أفلح به أصحاب رسول الله ﷺ؟

انهم عرفوا هذه الحقيقة. فسيدنا عثمان رضى الله عنه أعطاه الله المال فكيف كان يشكر الله على هذه النعمة؟ عندما تحتاج الدولة إلى مال لله فوراً يستجيب ويؤدى ما عليه من واجب.

نريد تجهيز الجيش، يقول تجهيز الجيش كله على نفقتى. فكان يجهز الجيش وحده.

المسلمون ليس لديهم بئر ماء، والبئر ملك رجل يهودى، وهو يتحكم فى المسلمين. فقال ﷺ:

«من يشترى هذا البئر واضمن له الجنة؟».

قال: أنا يا رسول الله. وذهب واشترى البئر، وقال: هذا البئر وقف للمسلمين، ولم يبع الماء لهم.

المسلمون عندهم قحط، وجاءه دقيق فى تجارة، وجاءه التجار ليكسبوه أضعافاً مضاعفة. يقول: لا هذا يعطى لفقراء المسلمين. هذه هى عبادته.

ما عبادة خالد بن الوليد؟ وما شكره لله؟

عبادته وشكره يخطط ويدبّر، ويضع الخطط التى يكيد بها الأعداء، والتى يحقق بها النصر لجند السماء.

هذا يا إخوانى الشكر المطلوب، وليس ما يحدث الآن، يقول الخطيب: الحمد لله، فنقبّل أيدينا ونعتبر أنه شكر لله عز وجل على النعمة. لا ليس هذا هو الشكر.

فضل الشكر والشاكرين

فشكر الله على النعمة أننى أنفق مما رزقنى الله. قال تعالى:

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾[17].

أعطانى علم، أنفقه على المحتاجين. أعطانى جاه، أقضى به مصالح السائلين. هذه هى عبادتى، وهذا هو شكرى لله عز وجل.

أعطانى حسن تدبير الأمور، وحسن إخراج المسلمين من معضلاتهم ومشاكلهم، فيصبح شكرى لله وعبادتى لله، أننى أصلح بين عباد الله المتخاصمين والمتفارقين. وتصبح هذه عبادتى لله وتهجّدى لله، وطاعتى لله عز وجل. فعندما يقضى أحدنا ليلة يصلح بين متخاصمين أفضل أم أن يقضى ليله مع كتاب الله عز وجل؟ أيهما أفضل يا إخوانى؟

---

(١٧) سورة البقرة: الآية ٣.

الصلح، قال ﷺ: **«ألا أدلكم على ما هو أفضل من درجة الصلاة والصيام والزكاة والحج؟»** -النوافل وليست الفرائض-.

قالوا بلى يا رسول الله.

قال: **«إصلاح ذات البين»**(١٨).

فالشكر يا إخوانى لله عز وجل عمل. والشكر يشمل الشكر لله ويشمل الشكر لخلق الله، قال تعالى:

﴿ أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير﴾(١٩).

تشكر الله، وتشكر والديك، على النعم التى أعطاها لك. وشكر الوالدين هنا: البرّ بهما، وطاعتهما، وقضاء حاجاتهما طالما لا تخالف الشرع. وأيضاً أى شخص أجرى الله عز وجل نعمة على يديه لى، علّمنى مهنة، أو حرفة، أو علمنى كلمة علم، أو صنع لى معروفاً. فربنا علمنا ليدوم المعروف أن نشكر الناس، وقد قال ﷺ:

«من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل»(٢٠).

وقال ﷺ: يقول الله عز وجل:

«عبدى لم تشكرنى ما لم تشكر من أجريت لك النعمة على يديه».

ما الذى قلّل صنع المعروف فى المجتمع الآن يا إخوانى؟

أن الناس لا تعترف بالجميل. يذهب إلى الرجل ويلاطفه، ويداهنه، ويلاينه إلى أن يقضى مصلحته، وبعد ذلك حتى كلمة السلام عليكم يبخل بها عليه. فتنكسر نفسه، ويقول لقد صنعت له الجميل ولم يقل حتى السلام عليكم، ونحن بشر، والبشرية موجودة، فتقتل فى نفسه الرغبة فى عمل الخير.

---

(١٨) رواه أبو داود والترمذى من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه.

(١٩) سورة لقمان: الآية ١٤.

(٢٠) رواه الترمذى وأبو داود وابن حبان من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

لكن عنـدما كان النـاس يعترفون بالخير ولا ينكرون الجميل، كانوا يتنافسون في عـمل الخير، ويريد كل واحد منهم أن يصنع الخير حتى يرضى الله ويرضى خلق الله.

فالله عز وجل هو الذى أمرنى أن أشكر الناس على الجميل، وعلى الخير الذى صنعوه معى، وكل واحـد يكفر بهـذه النعم يكون له عقاب شـديد يوم لقاء الله عز وجـل.

أضرب مثـلاً بسيطاً حتى أنهى حديثى: الآن لو أحدنا احتـاج مائة جنيـه، من يعطيه الآن؟

لا أحد، لماذا؟

لأنه إذا أعطاه المبلغ يقول له: سأردّها بعد شهر، وبعد الشهر يقول له: بعد شهرين، وبعد الشهرين يقول له: بعد سنة، وبعد هذا يهرب منه، وبعدها يقول له: اذهب إلى القضاء واطلبنى، ويسمع ما يكره.

الذى يعمل هذا العمل مرة، هل سيفعلها مرة أخرى؟

لا. لكن الإسلام لم يقل هذا، إنما قال: لابد أن أوفّى بالعهد.

﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً﴾[21].

العهد نفسه سيسأل، العهد الذى أنت أخذته سوف يُسأل.

أنا قصّرت بى الأمور، أذهب إليه واستسمحه، وأقول له: اصبر علىّ هذا الشهر، الشهر التالى ليس معى أقول له أيضاً، بل إن الله عز وجل كما أمر حبيب الله ومصطفاه ﷺ، أوصى حضرة النبى ﷺ، عندما أسدّد الدين الذى علىّ قال: لابد أن أزيد شيئاً عليه من عندى بدون شرط عليه -حتى لا يكون رباً- أزيد شيئاً من عندى حتى يكون دليلاً على شكرى لهذا الرجل واعترافاً بالجميل، أقول له هذه هدية منى لك.

---

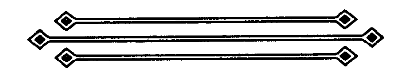
(21) سورة الإسراء: الآية 34.

ولذلك أخـذ النبى من الرجل اليهودى سبعة أوسق، وعندما جاء ليطالبه، قال يا عمر اعطه ثلاثين.

انتبهـوا، أخذهم سبعة وأعطاهم له ثلاثين ليجذبه إلى الله عز وجل، وليعرفنا كيفية ردّ الجميل، فلم يردّهم ناقصين، أو على مراحل، بل قال: ردّهم وزدهم.

لذلك لو هذا الفعل موجوداً الآن، سيظل الخير موجوداً فى المجتمع، وبالتالى المؤمن فى الوقت الذى يحتـاج فيـه سـوف يجـد ألف يد تمتـد بالخيـر إليـه، لأنه سيشكر الله ويشكر عبيد الله على فضل الله عز وجل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



أحوال الخليل مع الجليل

* بين المتوكلين والمتواكلين.
* دور الأسباب فى الحياة.
* أسباب الهداية.
* حكمة دعاء الأنبياء.
* تعليم الخليل للملائكة.
* ملازمة باب الدعاء.
* سرّ إجابة الله للصالحين.
* حقيقة رفع التكليف عن الصالحين.
* الولى المربّى.
* أهل الإطلاق وأهل التقييد.
* من مشاهد الحبيب ﷺ.
* مقامات الصالحين.
* وراثة الصالحين.
* طريقة الإلتحاق بالصالحين.
* خصوصيات الحجر الأسعد.
* عمر إمام المحدّثين.
* حديث الحقائق.
* كتاب الأبرار.



أحوال الخليل مع الجليل(*)

استمعنا جميعاً إلى دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام الطويل، فسبحان الله، لا يوجد نبى من أنبياء الله، أكثر الله عز وجل من ذكر أدعيته فى القرآن مثل سيدنا إبراهيم عليه السلام. مرة فى سورته التى سمعناها الآن والمسماة «سورة إبراهيم»، ومرة فى «سورة الشعراء».

﴿رب هب لى حكماً وألحقنى بالصالحين﴾[1].

لماذا أكثر الله عز وجل من ذكر أدعية سيدنا إبراهيم بالذات؟

حتى لا يظن كثير من الناس أن المقام الأكرم، أو المقام الأفضل هو ترك الدعاء.

بين المتوكلين والمتواكلين

بعض الجماعة الغير ملاحظين لهذا الأمر، من تدرج الأنبياء فى المقامات الروحانية، يأتى له أمر من الأمور الشديدة كالمرض -حفظنا الله وإياكم من الأمراض- أو ينزل عليه بلاء -وكلنا معرضون للابتلاء، لأن الدنيا كلها دار بلاء حتى يعرف المجاهدين من الصابرين- فبعض الناس الذين يسمون المتواكلين وليسوا المتوكلين- فجماعة اسمهم المتواكلين وأخرى اسمهم المتوكلين، المتوكل يزرع الأرض، ويجدّ فيها، ويرويها وينقّيها ويسمدها، وبعد هذا يتوكل على الله عز وجل.

أما المتواكل، فيترك الأرض ويقول المكتوب على الجبين ستراه العين. كيف تراه؟ وأنت لم تزرع، ولم ترو ولم تسمد، فكيف يأتى المكتوب؟

(*) كان هذا الدرس يوم الخميس ١٩٩٤/٥/٥ فى السهرة بعزبة أبى إسماعيل - مطاى - محافظة المنيا.

(١) سورة الشعراء : الآية ٨٣.

المتواكل يمرض، يقال له: اذهب إلى الطبيب. يقول: لا، لو كتب ربنا لى الشفاء، سوف أشفى بدون طبيب، فالطبيب ليس بيده شيء، والشفاء كله من عند الله.

وهذا صحيح، لكنها كلمة حق أريد بها باطل. نعم الشفاء من عند الله، لكن رسول الله ﷺ قال:

«تداووا عباد الله فإن الله كما خلق الداء خلق الدواء»[٢].

وقال ﷺ:

«ما من داء إلاَّ وأنزل الله عز وجل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله»[٣].

فالمتوكل يذهب إلى الطبيب، ويعلم أنه سبب فى يد مسبب الأسباب. الشفاء من الله، لكن الطبيب جعله الله لنا سبباً من الأسباب، وأنا أقول لإخواننا المتواكلين: مادام الأمر كله من عند الله، فلماذا تأكلون؟ ليس هناك داع للطعام، فإن القوة من عند الله، وهى مكتوبة وستأتيك من عند الله، لكن هذا سبب وضعه لنا مسبب الأسباب عز وجل. وهذا لإخواننا المتواكلين، فالذى لا يريد أن يعالج ويقول الشفاء من عند الله، ولا يريد أن يجد فى الزرع ويقول الخير قدره الله، نقول له: لا تأكل.

من أين القوة؟

من عند الله، فالطعام لا يعطى قوة ولا عافية. فالعافية والقوة والصحة من الله عز وجل، لكن هذه كلها أسباب جعلها الله عز وجل ولذلك كونه ربط الأسباب ببعضها، من الذى يخلق الجنين؟

الله. لو امرأة حملت من غير اتصال برجل عن طريق الشريعة المطهرة، ما موقفنا منها يا إخوانى؟

---

(٢) رواه أحمد والأربعة وابن حبان والحاكم عن أسماء بنت شريك، ورواه القضاعى عن أبى هريرة.

(٣) رواه ابن السنى وأبو نعيم فى الطب والحاكم عن أبى سعيد رضى الله عنه.

ألسنا جميعاً نتخذ منها موقفاً شديداً؟ وتأنيب وتوبيخ إن لم يكن قتل أو غيره. لماذا؟

من الذى خلق؟

هـو الله، لـكن نحن نعـرف أنه لابد من سبب، وطالما أنه لا يوجـد سبب من حلال، يصبح سبباً من حرام لأن هذه هى قاعدة الله.

دور الأسـباب فى الحيـاة

إن الله عز وجل جعل كل شىء فى كونه متوقف على الأسباب.

ومن يشهد الأسـباب تفعل فهو فى ** ضـــلال مبين قاله القـــرآن

فالذى يرى الأسباب تفعل من نفسـها من غير توفيق أو إذن من ربهـا، يكون فى ضلال، مثل من يقول لا أفضل إلاّ هذا الطبيب فيده فيها الشفاء، ويثنى عليه كثيراً. لكن الطبيب هذا سبب، والشفاء من مسبب الأسباب عز وجل.

فنحن يا إخوانى نلتمس الأسـباب التى فيهـا قدرة وتصريف مسبب الأسـباب عز وجـل. ولا نقف على الأسـباب طالبين قدرة الله، لأن هـذا يعتبر امتحان لله عز وجل. فالذى يجلس فى الشارع ويقول: لو أنه كتب لى لقمة عيش لأتى بها إلىّ. فمثل هذا يختبر الله، ولم يقل الله هذا، بل قال سبحانه وتعالى:

﴿فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه﴾[٤].

لن تأكلوا من تعبكم أو شطارتكم، ولكن لابد من السعى. حتى الجاهل الذى يحتجّ بالطيور، أخرجنا النبى ﷺ من هذا المطب، فقال:

«لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير»[٥].

---

(٤) سـورة الملك : الآية ١٥.

(٥) رواه أحمد والطيالسى فى مسنديهما والترمذى وابن ماجه عن عمر مرفوعاً.

انتبهوا للحديث، ماذا تفعل الطير؟ أتجلس فى العش؟

قال: لا، تغدو فى الصباح، تمشى (تغدو خماصاً وتعود بطاناً). أما الطير الذى يجلس فى العش ويقول: يارب ارزقنى، فلا ينفع هــذا الكلام، لأن هذا يختبر الله عز وجل، والله عز وجل قد جعل لكل شىء سبباً، ودبّر الكون كله على الأسباب، لأن عـالمنا الذى نحن فـيـه اسـمـه عـالم الأسـبـاب، ولذا ربط الدين كل شىء بالأسـباب.

أسـباب الهـداية

وقد كان سبحانه وتعالى قادراً أن يعلمنا من غير معلم، لكن لماذا أرسل المعلم الأعظم ﷺ؟

من أجل الأسباب.

وبعد ذلك أرسل العلماء لماذا؟

من أجل الأسباب، لأن الكون كله مرتبط بالأسباب.

فالذى يلغى السبب سواء فى دين أو فى دنيا، فإنه ضلّ عن الطريق المستقيم الذى وضّحه رب العالمين عز وجل. ومن ترك السبب فى الدنيا كمن ترك السبب في الدين. وذلك مثل الذين يقولون: مالنا والنبى، فنحن مع الله مباشرة، فلماذا أتى الله بالنبى ﷺ؟ فهو سبحانه وتعالى كان قادراً على أن يجعل الهداية منه لنا مباشرة من البـداية، لكنه أتى به وارتضـاه، وأمره بتبليغ رسالتـه ودعوته، وأمرنا أن نأخـذ ما أمرنا به، وننتهى عمّا نهانا عنه.

فهذا دليل على أنه يريد منا التمسك بهذا السبب، مع الاعتقاد بأنه الفعال، وهو مقلب القلوب والأبصار عز وجل، لكن لابد من السبب، فهو سبب الهداية كما أن الرزق هو سبب القوت وسبب العافية.

فهو سبب عافية الأرواح، وسبب شفاء القلوب، وسبب نور أبصار الغيوب، وسبب انكشاف عوالم الله عز وجل لكل قلب نقي منيب. وسبب الوصول إلى حضرة الله عز وجل وهو سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، والذى يبطل السبب فقد ضل طريق المسبب عز وجل فى الحالين وهذه مثل تلك.

فالشمس كان يمكن لله أن يمنحنا حرارة بدونها، ويمكنه أن ينير الكون بدون سطوع أنوارها، لكن لماذا أتي الله عز وجل بها؟ كذلك شمس القلوب، وشمس الأرواح، هو السبب الذى يأخذ بأهل القلوب وأهل الصلاح ليوصلهم إلى معية الكريم الفتاح عز وجل.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد *** وينكر الفم طعم الماء من سقم

فمن ينكر الشمس فهذا عنده رمد أو أعمى. كذلك من ينكر الشمس الكلية وإكسابها للحياة الروحانية والإيمانية لأهل النفوس الزكية، فإما أن يكون أعمى البصيرة أو عنده رمد من الذنوب والعيوب، والعجب والجهل، والظلم لنفسه ولعباد الله عز وجل. لكن لا توجد عين بصيرة مضيئة، إلاّ وتشهد أنوار الحضرة المحمدية التى تجذب النفوس من أسفل سافلين البعد إلى قاب قوسين التدانى من حضرة القرب للقريب عز وجل، ولا توجد غيرها.

تجذب الروح الهياكل *** فى الصفا أعلى المنازل

إن أداروا الراح صرفاً *** أسكرت عال وسافل

حكمة دعاء الأنبياء

فالمتواكلون يحتجون بحجة، ظانين أنها قوية، يقولون: أن سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما ألقى فى النيران، وآتاه سيدنا جبريل عليه السلام وقال له: ألك حاجة؟

قال: أما إليك فلا.

قال: فلله عز وجل.

قال: فعلمه بحال يغنى عن سؤالى».

ويقولون إن هذا هو المقام العالى.

لكن المقام العالى هو الذى ذكره الله عز وجل فى كتاب الله، من دعاء سيدنا إبراهيم مرات وكرّات، لنفسه ولبنيه ولذريته، وفى الدنيا والآخرة، وللبلد الحرام ولجميع الأنام.

والمقام العالى الذى كان فيه أيضاً سيدنا رسول الله ﷺ. فإنه يشاهد ما جرى له فى الطائف، وشاهدهم وهم يرمونه وأصابوه، لكنه يقول:

«اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس...» إلى آخر الدعاء، فهو يراه.

وكذلك يوم بدر، عندما ظل يدعو حتى سقط الرداء من على كتفه الشريف، وسيدنا أبو بكر يقول: يارسول الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه منجز لك ما وعدك. فيقول:

«اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض بعد اليوم».

ما جلية هذا الأمر؟

إن النبى ﷺ قال:

«الدعاء مخ العبـادة»(٦).

لماذا الدعاء مخ العبادة؟

لأنه إقرار منك بالعبودية، وكونك عبد يعنى أنك محتاج، ولكن ليس محتاجاً لخلق الله، بل محتاج لسيده ومولاه. وهذا هو الفارق.

والمحتاج لسيده ماذا يفعل؟

---

(٦) رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه.

يقبّل يده، ويتذلل بين يديه، ويمرّغ خديه على التراب بين يديه، ويشتكى إليه، ويتأوّه ويتوجع حتى يحنّ عليه ويعطيه الله عز وجل ما يريده منه. وهذا هو الحال الذى كان يفعله الأنبياء والمرسلون والذى يسير على نهجهم – الأولياء والصالحون رضى الله عنهم وأرضاهم.

﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم﴾[7].

فأنت تعرف ماذا تقول له؟ الذى تقوله أنت يعلمه، لكنه يريد أن نحسّ أننا عبيد وهو رب حميد مجيد، وصفة العبد الحاجة والتذلل، والتضرع والتأوه، والشكاية والتبتل والابتهال، لكن لمن؟

لله عز وجل، وهذا هو الفرق. الجهلاء يجعلون هذه الصفة لخلق الله، وهذا هو الخطأ الذى نهانا عنه الله، وحذر منه سيدنا رسول الله ﷺ.

إننى –كما يحدث الآن– أذهب للرجل الذى لى حاجة عنده وأتذلل بين يديه، وأتضرع له، وكما نرى الناس بعضهم يرتمى على قدميه ويقبلهما، ويبكى بين يديه، ويتذلل له.

لماذا كل ذلك؟

لا، هذا الموقف قال فيه حضرة النبى ﷺ:

«اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس»[8].

فهنا موقف العزة، لكن موقف التذلل لله.

فالناس قد بدّلوا هذا الأمر، فهم يتذللون بين يدى خلق الله، وبين يدى الله عز وجل تجدهم عندهم عزة، وشاعرين بأنفسهم، وليس لديهم مسكنة ولا تضرع بين يدى الله عز وجل.

---

(٧) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٨) رواه تمام وابن عساكر عن عبد الله بن بسر.

وقد يبطّـأ الله عنا الإجابة لفترة قد تطول أو تقصر.

وهو سبحانه عندما يبطىء فى الإجابة، فإنما يريد منا الإكثار من الحنين والنجوى إليه، وهذا هو كل الأمر. فمن يحبه الله يقول للملائكة: أخّروا عنه حاجته فإنى أحب أن أسمع صوته.

مثال: ولله المثل الأعلى، عندما أرفع السماعة وأقول: يا أستاذ فلان، أريد حاجة، يقول: حاضر، ولا يقضى حاجتى. وفى اليوم التالى أتصل، يقول: حاضر فأنا أريد أن أسمع صوتك طالما أنك لا تتذكرنى إلاّ فى الحاجات، فإنى أؤخرها.

كذلك نحن لا نتذكره إلاّ عند الحاجات، وعندما لا تكون لنا طلبات فإننا ننسى ونسهوا. ولذا فعندما نحتاجه عند الحاجات فإنه يؤخر الطلب بعض الشيء، لكى نلحّ ونكثر من السؤال، لأنه يريد أن يسمع كلامنا، ويسمع حنيننا وأوجاعنا وآهاتنا بين يديه عز وجل. فإنه يقول:

«يا داود أنين المذنبين أحب إلىّ من صراخ العابدين»[٩].

لماذا؟

لأن المذنب عندما يئن، فإنه يكون شاعراً بالندم والذنب والانكسار، وهذا هو مقام العبودية المطلوب بين يدى الواحد القهار عز وجل. لكن العابد ربما يتدلل بعبادته على ربه فيقول له: إننى فعلت ما لا يفعله أحد، وإنى قدمت كذا وعملت كذا. ولكنه لا يريد إلاّ أهل الذل والمسكنة بين يديه.

فمقام الدعاء مقام الأنبياء، ولذلك عندما ننظر إلى قصص الأنبياء فى كتاب الله عز وجل، نجد فيها العجب العجاب، من أحباب الله وأصفياء الله، فهو يبتليهم ويطيل فى البلاء، لماذا؟ لكى يزيدوا فى الدعاء، ويزيدوا فى الرجاء، حتى يجيبهم الله عز وجل فى النهاية، كما يقول سبحانه فى القاعدة القرآنية:

﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾[١٠].

---

(٩) ورد فى كشف الخفا للعجلونى وقال فى شأنه «لينظر».

(١٠) سورة يوسف : الآية ١١٠.

حتى يكادوا أن يصلوا إلى اليأس، ويهيّأ لهم أنهم لا مكانة لهم عنده ولا منزلة لهم، ويقولون: لو كانت لنا مكانة كان أعطانا، ولو كان لنا منزلة لأعطانا، لكنه تركنا نحارب الكفار ونقول ونقول ولا يسأل فينا.

لماذا؟

لأنه يريد أن يسمع صوتهم.

وهذه قاعدة سارية مع الكل، فسيدنا موسى عليه السلام دعا واستجاب الله له، لكنه سبحانه قال: مع إننى استجبت لك فلا تقف عند هذا ولكن ألحّ فى الدعاء، فإن الله يحب العبد الملح فى الدعاء، لأنه يريد أن يسمع إلحاح عباده. وتركه أربعين سنة حتى أجاب مع أنه سبحانه استجاب من البداية لكن لكى يلحّ فى الدعاء.

وسيدنا أيوب عليه السلام، كان من البداية يستطيع أن يشفيه، لكن لماذا تركه هذه الفترة الطويلة ثمانية عشر سنة أو أكثر؟ لكى يدعو ويلح فى الدعاء.

وسيدنا رسول الله ﷺ يعلم أنه سبحانه وتعالى سينصره، ويعلم أنه سيبلغ ملكه هنا وهناك، فقد قال ﷺ: **«زويت لى الأرض وأطلعنى الله على مشارقها ومغاربها، وعلمت ما ستصل إليه أمتى من هذه الأرض»**(١١).

إنه يعلم هذه الأرض ومن فيها، ولكن لماذا تدعو؟

قال: هكذا أمر الله عز وجل.

تعليم الخليل للملائكة

فالمقام العالى يا إخوانى هو مقام الدعاء، وليس المقام هو علمه بحالى يغنى عن سؤالى. إنما موضوع علمه بحالى هذه كانت تربية إلهية بين الخليل والحضرة العلية، وهو درس يلقنه الله عز وجل للملائكة على يد سيدنا إبراهيم. ورسل الله هم المعلمون لملائكة الله.

(١١) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى عن ثوبان رضى الله عنه.

فلما حدث ما حدث، وألقوا به فى النار، وكانت كما يقولون لهيبها على مسافة شهرين سيراً وحتى أنهم احتاروا كيف يلقونه فيها. لولا أن نزل إبليس عليه اللعنة وعلمهم، وقال لهم: احضروا شجرتين، وشجرة فى الوسط، وضعوا فيها الحبال على رأس الجبل، فوضعوه وحركوها وألقوه، كما يفعلون فى نظام المدافع، حتى ينزل من بعيد فى قلب النار. وهذا كان اسمه المنجنيق، وهو أول منجنيق صنع، وهو المدفع الأول فى البداية.

وعندما ألقى سيدنا إبراهيم في النار، ضجّت الملائكة وقالت: يارب خليلك وصفيك يلقى به فى النار. فقال الله عز وجل: «**إن كان استغاث بكم فأغيثوه**»، هل نادى على أحد منكم؟ إن كان نادى فأجيبوه.

ثم عادوا مرة أخرى وقالوا: يارب عبدك إبراهيم. فقال الله: اختاروا واحداً منكم وأرسلوه إليه يسأله ماذا يريد؟ فالله سبحانه وتعالى يريد أن يعطيهم درساً فى كمال توحيد العبيد، الذى وصل فيه للدرجة الأولى سيدنا إبراهيم عليه السلام.

﴿وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾[١٢].

كلام من هذا يا إخوانى؟ كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام. فيعطيهم الدرس سبحانه وتعالى فى منازل التوحيد، ومراتب التفريد التى وصل إليها أنبياء الله، والتى يجب على ملائكة الله أن يحصلوا عليها من رسل الله عليهم السلام.

فالملائكة تعلموا العبادة وليس لهم فيها ترقّيات، فكل واحد منهم على باب من أبواب العبادة، فمنهم القائم أبداً، ومنهم الراكع أبداً، ومنهم الساجد أبداً، ومنهم المسبّح أبداً. فقد تعلموا العبادة جميعها، وهل لهم حاجة للرسل لكى يعلموهم الطهارة؟

لا، لأنهم ليس عندهم هذه العبادة.

---

(١٢) سورة الأنعام: الآية ٧٩.

ولا الوضوء، ولا الغسل، لأنهم ليسوا فى حاجة إلى هذا.

ما الذى يحتاجونه من الأنبياء؟

يحتاجون منهم أن يعلمونهم دروس التوحيد العالية.

فمن أين يتعلمونها؟

من رسل الله وأنبياء الله عليهم السلام أجمعين.

فكان هذا درساً من دروس التوحيد، علّمه الله عز وجل للملائكة الكرام الكبار منهم على يد سيدنا إبراهيم عليه السلام خليل الله. وأيضاً درس لنا نتعلم منه أن من كان ظهره على الله، وأمره إلى الله، ومفوضاً أموره إلى حضرة الله، فلا يلجئه الله عز وجل إلى أحد سواه، ولو كانوا الملائكة، فليس لهم دخل به، فالله بنفسه فى عزة قدسه، يقوم برعاية مصالح عبده، ويتولى سياسة أمور عبده، لأنه لم يتوكل على أحد سواه عز وجل.

﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾(١٣).

ماذا تعنى الله (حسبه) ؟، تعنى كافيه، فلا يحتاج حتى للملائكة، ولا الجن ولا الإنس، ولا شمس ولا قمر، ولا شىء من الأسباب ينفعه، لأن مسبب الأسباب عز وجل تولاه فى جميع أحواله، وفى جميع أطواره.

ملازمة باب الدعاء

فالمقام العالى الذى تختاره، هو الذى اختاره لنا رسول الله ﷺ، وهو أن ندعوا الله. ولكن فيم ندعوه؟ أفى الأمور الهامة فقط؟ أبداً. ولنأخذ العظة من كليم الله، سأل الله فى أكبر شىء يطلبه العبد من الله، وقال له:

﴿رب أرنى أنظر إليك﴾(١٤).

(١٣) سورة الطلاق : الآية ٣.

(١٤) سورة الأعراف : الآية ١٤٣.

وسأل الله عز وجل حتى فى رغيف العيش.

﴿رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير﴾[15].

والله قال له:

﴿يا موسى سلنى فى كل شىء حتى فى ملح طعامك وحتى فى شسع نعلك﴾[16].

فكلما تحتاج شيئاً من الملح للطعام، قبل أن تقول لزوجتك، قل: يارب اجعلها تحضر الملح، قم قل لها احضرى شيئاً من الملح. فستأتى به فوراً. لكن تقول لها: احضرى الملح، ولم تقل يارب، فتقول لك: أنا مشغولة، قم واحضر لنفسك، لأنها تأخذ التوجيه كما يقول النبى ﷺ:

«القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»[17].

فأنت تحتاج أى شىء من القلوب، اطلب من علاّم الغيوب، فهو الذى يحرك القلوب حتى قال لنا:

«يا عبادى قلوب السلاطين بيدى فإن أقبلتم علىّ جعلت قلوبهم تفد إليكم بالودّ والرحمة، وإن انصرفتم عنّى ملأت قلوبهم نحوكم بالغلظة والقسوة»[18].

أنذهب للملوك والسلاطين؟

لا، نذهب إلى الله، فهو بيده كل تصاريف القلوب عز وجل.

فقال له: أنت تطلب كل شىء منى يا موسى حتى وأنت ذاهب إلى الاسكافى لتصلح نعلك، تقول له: يارب أريد أن أصلحه، فتذهب إلى الاسكافى فتجد الماكينة

---

(١٥) سورة القصص: الآية ٢٤

(١٦) رواه الخليلى فى الضعفاء.

(١٧) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما.

(١٨) رواه الخطيب عن أنس.

جاهزة، ولا يقل لك إنها معطلة، أو أنى مشغول هذا اليوم، أو عنده ازدحام، لكنه سبحانه يهيىء لك الأسباب، ويهيىء لك الأحوال، وتقضى مصالحك فى الحال.

سر إجابة الله للصالحين

وهـذه الجزئية التى يتعجب منها النـاس فى الصالحين. لماذا حاجاتهم تقضى فى الحال؟

هذا هو السر نحن كشفناه لكم، لأنهم قبل أن يطلبوا من خلق الله يطلبون من الله بالقلوب، ويطلبون من الخلق بالألسنة التى هى محل للذنوب والعيوب. فعندما يطلبون من الله، يهيىء لهم الأسباب ويحقق لهم الرجاء، ويجيب الدعاء، ويقضى حوائجهم عز وجل في الحال. وهذا نهج الصالحين، ونهج المقربين فى كل وقت وحين، تأسياً بأنبياء الله ورسل الله عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

هـذا هو المقـام الأعلى، والمقـام الأدنى منه الذى يقـول: (علمـه بحـالى يغنى عن سؤالى). وهذا أيضـاً لا يصح إلاّ للذين أصـبح لهـم وجـهـة واحـدة، لا يوجـد غيره، يعنى يقولون له: (مفيش غيرك على البال، وأنت وبسّ اللى حبيبى).

هل هناك من يصل إلى هذا المقام؟

ممكن، لكن البال ملىء!! جزء للأولاد، وجزء للزوجة، وجزء للمصالح، وجزء للعمل. فالبال غير خالى، فمادام البال غير خالى، كيف يقول (علمه بحالى)؟ فالذى قال هذا، لا يوجد غيره فى قلبه، يقول له:

«أتدرى لم سميتك خليلاً؟

قال: لا.

قال: لأنك جعلت بدنك للنيران، ومالك للضيفان، وولدك للقربان، وقلبك للرحمن».

ماذا يبقى بعد ذلك؟

الأمر كله لمن؟

﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾[19].

إذن من يستطيع أن يقول: (علمه بحالي يغني عن سؤالي)؟

الذى يصل بقلبه إلى هذا المقام، هو الذى يستطيع أن يقول هذا الكلام، وإن كان هذا ليس هو المقام العالي، بل المقام الأعلى منه لمن هو مشغول به سبحانه بالكلية، ومع ذلك يطلب من الواحد المتعال لأنه أمر بذلك فى كتابه الكريم.

لماذا يطلب؟

تنفيذاً للأمر، وتنفيذاً للتكليف. مثلما جاء الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه يقول: لماذا فرض الله علينا الصلاة؟

فالذين لم ينتبهوا وهم المنافقون، يقولون: إن الصلاة ليصل بها الإنسان إلى الله، ومادام قد وصل يصبح ليس عليه صلاة. لأنها ثقيلة على النفس، والنفس تطلب دائماً العمل الخفيف. تريد أن تجلس مع الناس تحكى وتتكلم، وتريد أن تشرب وتأكل. لكن الصلاة ثقيلة. فتقول له: أنت وصلت.

إلى أين وصلت؟

وصل وصول إبليس.

من قال إنى وصلت، وترك الصلاة. فقل له: وصلت ولكن إلى سقر.

---

(١٩) سورة الأنعام: الآية ١٦٢.

حقيقة رفع التكليف عن الصالحين

فما بال الذين يقولون قد رفع عنا التكليف، وهذا كلام الصالحين. ويعنى أنّا قد وصلنا إلى حالة أصبحنا نتلذذ بها فى الصلاة وبالصلاة، فلا نحسّ فيها بمشقة ولا بعناء ولا تعب. وهذه الحالة التى قال فيها رسول الله ﷺ:

«أرحنا بها يا بلال»[٢٠].

أى لماذا أطلت علينا؟ أذّن فإنى أشتاق لمقابلة الحبيب (وأرحنا) ليس فيها أو منها، ولكنه قال: «أرحنا بها» لأن الراحة فى الصلاة.

لماذا تشعر بالراحة فى الصلاة يا رسول الله؟

قال: **«جُعلت قرة عينى فى الصلاة»**[٢١].

ومن قرة عينه؟

الله، فليس له قرة عين غير الله عز وجل. فالإمام أبو العزائم قالوا له: لماذا تصلى؟ هؤلاء القوم يقولون الذى وصل واتصل ليس عليه صلاة.

قال: كيف؟

يقولون الذى وصل إلى مقام المشاهدة، والذى يشاهد مع الله دائماً لماذا يصلى؟

قال: لا.

ما غاب عنى حبيبى *** لكنه كلّفنى
فصرت بعد يقينى *** بالفضل قد عرّفنى
أنا بمن فى وجودى *** من بالصفا أتحفنى
تلك التكاليف رمز *** لما بها شرفنى

---

(٢٠) رواه أبو داود والدارقطنى من حديث بلال رضى الله عنه.
(٢١) أخرجه النسائى والحاكم من حديث أنس رضى الله عنه.

فأنا قائم به، وسائر به، ومتحرك به، وساكن به، ومتكلم به، ولا حول ولا قوة إلا بالله عز وجل. فلماذا أصلى؟

لأنه كلفنى، من أجل التكليف. والتكليف من الله تشريف.

ما الذى جعل المرسلين يبذلون المهج والأرواح فى سبيل دعوة الله؟

لأن الله هو الذى كلّفهم، فيقولون: نحن نكلف من الله!! ما هذا التشريف؟ تشريف ما بعده تشريف.

عندما يقول له:

﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾[٢٢].

يقول: فى سبيل هذا الأرواح والمهج، وتهون النفوس فى سبيل تشريف وتكليف العزيز القدوس عز وجل.

هذه محطات نضع أيدينا عليها، حتى نعرف الحق، لأنه التبس على الناس كثير من هذه الأمور، ويوجد أناس كثيرون يأخذون على الصوفية هذه الأمور. لكن من يعمل هذه الأمور؟

هم متنطعى الصوفية. لكن الصوفية الذين نتحدث عنهم هنا. فالصوفية حالهم حال سيد الأولين والآخرين ﷺ، الذى استقر عليه، والذى لقى الله عز وجل عليه. حال الكمال المحمدى فى النهاية، لأنه كان فى أطوار الترقى باستمرار صلوات الله وسلامه عليه.

الولى المربّى

سؤال : قرأت فى كتاب للإمام أبى العزائم رضى الله عنه وأرضاه، حكمة تقول: (الله حى قائم، فلا يصل إليه واصل إلا بحى قائم). وهذا الرأى يختلف عما يشاع فى الصوفية، فهل الولى فى البرزخ لا يستطيع أن يوصلنى؟

---

(٢٢) سورة الفتح : الآية ٨.

الإجابة : يمكن الانتفاع بالولى فى البرزخ.

إذا استطعت أنا أن أصل إلى هذه المرحلة، لكن أنا الآن أحتاج إلى طبيب أجلس أمامه، ليكشف علىّ، ويشخص الداء الذى بى، ويعطينى من الصيدلية القرآنية الدواء الصالح لى.

فعندما نذهب إلى روضات العارفين رضى الله عنهم وأرضاهم، وهى أماكن استجابة الدعاء، ويكشف الله بسبب أصحابها الكربات، ويعطى الزائرين لها كثير من المكرمات. لكن التربية الروحية لها وضع آخر وتختلف، فهو يقول لى: لماذا فعلت هذا؟ ولماذا لم تفعل هذا؟ فهى تحتاج إلى رجل أجالسه ويجالسنى، يحدثنى وأحادثه، هذه ناحية.

الناحية الأخرى لابد أن يربينى بالحال قبل القال. فلا يقوى على تربية العارفين الذين هم فى البرزخ، إلاّ الذى استطاع أن يراهم ويخاطبهم ويكلمهم، فالذى لم يصل إلى هذه الحالة كيف يتربى على أيديهم؟

أهل الاطلاق وأهل التقييد

فأنا أذهب هناك مثل العوام، أدعو الله فيستجيب لى، وقد أشعر ببعض الروحانية، لكن ليس هذا هو المطلوب. لأن أهل البدايات اسمهم أهل التقييد، ولا يتأتى الوصول إلاّ إذا خرجنا من دائرة التقييد إلى دائرة الإطلاق.

ماذا تعنى دائرة التقييد؟

يعنى تزايد الناحية الروحانية عندى فى زمان معين أو مكان معين، فتجد أهل التقييد فى شهر رمضان يحسّون أن الروحانية والشفافية فى ازدياد. وكذلك فى يوم عرفة، وكذلك فى المولد النبوى الشريف، وعندما يذهب إلى الكعبة يحسّ بروحانية عالية جداً. كذلك فى زيارة سيدنا الحسين. أما مع زوجته فلا توجد هذه الروحانية.

أما أهل الإطلاق، فرمضان مثل غيره، والكعبة مثل هنا، لأنه فى الظاهر نائم مع أهل منزله، لكنه فى أحضان رسول الله ﷺ فى كل الأوقات، فنحن نراه مع زوجته، لكن قلبه هناك مع الحبيب ﷺ، ويكلمها كلاماً تظن أنه ثناء عليها، لكنه يثنى على حبيبه الأول ﷺ ويقول:

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ** ما الحب إلاَّ للحبيب الأول

حتى عندما يسمع الأغانى العادية، يأخذها على الذات المحمدية، (أروح لمين) وغيره، كل هذا لا يرى أمامه إلاَّ هو، لأنه ﷺ فى الفؤاد.

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى ** وأبحت جسمى من أراد جلوسى

فهؤلاء القوم لا يوجد عندهم فرق، لأنهم أصبحوا فى حالة الإطلاق أى فى معية الكريم الخلاق عز وجل، لا يحجبهم عن الله زمان ولا مكان، ولا طعام ولا شراب، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وأرضاه: «لولا أن رسول الله ﷺ اغتسل من الجنابة ما اغتسلت منها»، لكمال حضوره مع الله عز وجل حتى فى هذه الشهوة، والتى نغتسل منها لأننا غبنا عن الله فيها بعض الشيء، فالواجب أن تغسل نفسك بعد هذه الغيبة عن الله.

إذ كيف تغيب عنه لحظة؟

لابد أن تغسل نفسك جيداً، وتطهر نفسك. فيقول: حتى فى هذه الحالة لم أغب عن الله عز وجل.

من مشاهد الحبيب ﷺ

ولذلك حضرة النبى ﷺ قال فيها: «**حُبب إلىّ** -وليس أنا الذى أحببت، لأنه ليس له إلاَّ حب واحد- **من دنياكم** -دنياكم أنتم، لأنه ليس له فيها شيء- **ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرة عينى فى الصلاة**»[٢٣].

---

(٢٣) رواه النسائى وابن شيبة والإمام أحمد وابن سعد والبزار والحاكم وأبو يعلى والبيهقى والطبرانى والضياء وابن عدى عن أنس رضى الله عنه.

وإياكم أن تفهموها على الفهم الظاهر، فتصبحون لم تحسنوا الظن بحبيب الله ومصطفاه، فهي لها معنى مختلف تماماً غير المعنى الظاهر. فالمعانى التى كان يراها رسول الله ﷺ معانى أخرى فالطيب حبب إليه، لأن الطيب يكون هو الإذن بالقرب من الحبيب عز وجل.

فالذى يريد أن يتقرب من رسول الله ويراه، يصلى عليه، ويظل يصلى عليه حتى يشم الرائحة الخاصة به. أحياناً يشمها مرة فى النهار، وأحياناً مرتين، وأحياناً لا تفارقه الرائحة ليلاً أو نهاراً، هذا فى البداية.

فما هذه الرائحة؟

هى رائحة خاصة، وهى رائحة الحبيب ﷺ.

ما شكلها وما عيّنتها؟

لا تعرف، فهى تحتاج أن تدخل أنت المعمل، وتشمها بنفسك. ولا تشم بالأنف، ولكنها تشم بالقلب. قال تعالى:

﴿ إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفنّدون ﴾[٢٤].

فهم كذبوه، لأنهم لم يشموها، لكنه شمّ رائحة يوسف عليه السلام.

وبعد ما يشم رائحة الحبيب، يأتى له الإذن (استعد سيأتى لك الحبيب)، فيأتى له فى المنام أو غير ذلك. وأطيب الطيب هو نسمات الحبيب عز وجل، وهذه نسمات يا إخوانى تهب على القلوب، لا يدرى كنهها، ولا يستنشق عبيرها، ولا يستطعم ريحها إلاّ من طهّر قلبه من العيوب، ونفسه من الذنوب، وأصبح مقرباً من حضرة علاّم الغيوب.

والنساء فيها معانى كثيرة جداً جداً، ولكنها على سبيل الالماح يقول فيها الله عز وجل:

---

(٢٤) سورة يوسف : الآية ٩٤.

﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾[٢٥].

يعيش أهل الشهود فى وصل الفرع بأصله فى حالة الاتصال مع الواحد المتعال عز وجل، مثلما يحنّ الرجل إلى زوجته لأنها منه، فكذلك حنين الصالحين والأنبياء والمرسلين، لما فيهم من المعانى القدسية، والأنوار الربانية، والأسرار الصفاتية من حضرة رب العالمين عز وجل.

والكلام فى هذا المجال صعب، لا نستطيع أن نكيفه أو نحيّزه فى عبارات أو كلمات. لكن هذه حضرات مشاهدات، قال تعالى:

﴿ أفريتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾[٢٦].

يشاهد فى هذه الحالة فيلم الخالق، وكيف يخلّق النطفة إلى علقة، إلى مضغة إلى عظام، إلى لحم إلى غيره. يسمى هذا الفيلم فى هذه الحالة فيلم الخالق عز وجل، وفيلم المصوّر، وفيلم البديع.

يشاهد أسماء الله وصفاته، وتجلياته وهباته، وأعطياته ومكرماته فى هذه الأحوال. لكن نحن لا نستطيع أن نشاهد هذه الأحوال، لأننا يكون غالباً علينا الحالة الحيوانية فى هذه الأمور. لكن هؤلاء القوم يا إخوانى، وصلوا إلى حالة من الصفاء الكلى، والبهاء القدسى، إلى أنهم لا يغيبون عن جمالات الله، ولا عن كمالات الله، طرفة عين، مع قيامهم بكافة الحقوق الأدمية، على أكمل الأحوال المرضية. وهذا مشهد يقول فيه الله عز وجل:

﴿وإن تعجب فعجب﴾[٢٧].

مشهد يستدعى العجب، لكنه عند العارفين ليس هناك عجيب لأن الأمر من الله عز وجل.

---

(٢٥) سورة الروم : الآية ٢١.

(٢٦) سورة الواقعة : الآيتان ٥٨، ٥٩.

(٢٧) سورة الرعد : الآية ٥.

وبالنسبة لسؤال الحاج/ حسن، يقول الإمام:

«الله حى قائم، ولا يصل إليه واصل إلاَّ بحى قائم».

ففى عصر سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، جمع الله عز وجل فى أصحابه مقامات الرسل والأنبياء السابقين. وكان كل صحابى منهم على قدم نبى، أو على قدم رسول من رسل الله.

وقد ألمح إلى ذلك سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ فى بعضهم. فتارة يقول:

«مثلك يا أبا بكر فى أمتى كمثل عيسى، يقول: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾»[٢٨].

ومثلك يا عمر فى أمتى كمثل نوح، يقول: **﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً﴾**[٢٩].

ويقول مرة أخرى:

«من أراد أن ينظر إلى عيسى ابن مريم فلينظر إلى أبى ذر»[٣٠]. فهو شبيه سيدنا عيسى فى الزهد والورع.

فأشار ﷺ إلى بعض هذه المنازل فى أصحابه رضى الله عنهم، وبعد انتقالهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ما من صاحب مقام أو رتبة، أو درجة يرتقى إلى الله عز وجل، إلاَّ ويقيم الله عز وجل فى مكانه فرداً من الأحياء. وهذه سنة الله، قال تعالى:

﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾[٣١].

---

(٢٨) سورة المائدة : الآية ١١٨.

(٢٩) سورة نوح : الآية ٢٦.

(٣٠) أخرجه أحمد فى الزهد.

(٣١) سورة البقرة : الآية ١٠٦.

هؤلاء هم حقائق آيات القرآن، لأن رسول الله ﷺ هو القرآن، وهم آيات هذا القرآن المعنوية. فلا تنسخ آية منهم إلاَّ ويأتى مكانها.

فأكرم الله عز وجل بعض الأئمة لصدقهم وإخلاصهم، وأظهرهم فى مشارب الرسل والأنبياء السابقين، وجعل لهم ذكراً ولسان صدق فى الآخرين، لكنهم كانوا أيضاً على القدم، فمثلاً سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه وأرضاه، أكرمه الله واشتهر، وجعل له صيتاً وذكراً فى الآخرين لصدقه وإخلاصه، لكنه كان على القدم العيسوى. وفيه قال الإمام أبو العزائم عندما دخل عليه:

عبـــدت الـرب بالحـــــال *** أيا بدوى قـــد نلت العطيـــة

ورثت حال عيسى فى مقـــام *** به زهـــدت فى الدنيـــا الدنيـة

فكان فى المقام العيسوى، ولذلك لم يتزوج، وليس له حاجة بالنساء، مع أنه عاش تسع وسبعين سنة، لأنه فى المقام العيسوى. وأيضاً مثله سيدنا إبراهيم الدسوقى، ولذلك قال فيه فى قصيدة طويلة:

عليه أبا ذر الغفارى قد أملى.

أى الذى أملاه الإلهامات فى الحال الخاص به، الوارث الأول سيدنا أبو ذر الغفارى، لأنه ورث حاله، ولذلك عاش واحداً وأربعين سنة ولم يتزوج ولم ينجب، وليس له حاجة فى هذا الموضوع لأن حاله كان عيسوياً.

وهكذا الأمر يا إخوانى، فكل رجل من رجال الله، على قدم نبى من أنبياء الله أو رسول من رسل الله، وكلما انتقل رجل أقيم مكانه رجل فى الحال. وقد تذكروا أن سيدى أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه وأرضاه، عندما ذهب إليه سيدنا رسول الله ﷺ وهو فى تونس، وقال له: يا أبا الحسن سر إلى الاسكندرية، فإنك ستربى بها أربعين رجلاً، فلاناً وفلان، وأعطاه كشفاً بالأسماء.

قال: فقلت يا سيدى الطريق طويل، والجو حار وليس به ماء. فقال ﷺ: علينا ذلك. لأنه إذا أقامك أعانك، فالذى يقيموه يعينوه، فهل يقيموه يدعو الخلق إلى الله ويتركوه؟

كيف يسع هؤلاء القوم؟

يعـينوه بالأنوار والأسـرار، ويعـينوه بالعلوم، ويعـينوه بالمواهـب، ويعـينوه أيضـاً بواجبات الضيافة، ويعينوه بكل شيء.

يقـول: فمـشيت، وكلمـا مـشينا كـانت هناك سحابة تظلنا، حتى وصلنا إلى الاسكندرية -مظلة ممدودة دائمـة- وكلمـا عطشنا أنزلت السـمـاء الماء، فنشـرب ونملأ قربنا، حتى وصلنا إلى الاسكندرية.

وقبل الاسكندرية بقليل، كان هناك ولى من أوليـاء الله الصالحين قادماً معه من المغرب، وكان كل منهما فى مجموعة، وكان نداً له. وقبل الاسكندرية بقليل، قال لجماعته: هيا نذهب للشيخ أبى الحسن الشاذلى ونسلم عليه ونبايعه.

قالوا له: لماذا؟

قال لهم: جاءنى الليلة سيدى رسول الله ﷺ، وقال لى: انتقل الليلة إلى الرفيق الأعلى الشيخ أبو الحجاج الأقصرى، وقد مكث فى القطبانية سبع سنين، وأخذناها منه وأعطيناها للشيخ أبى الحسن الشاذلى.

فقـد كـان أبو الحجـاج قطباً، لكن لابد أن يكون قطباً موجـوداً اسـمـه قطب الوقت، موجوداً بشحمه ولحمه وبدمه حتى يعرفه الناس، ويذهب إليه الناس الذين هم ناس فى نظر الله، حتى يوصّلهم إلى حضرة الله عز وجل. فذهب الرجل وسلّم على الشيخ، وهنّـأه بالقطبانية، وبايعه عليها.

وراثة الصالحين

فهذا هو النظام، وما يزال نظام الصالحين فى كل زمان ومكان. فكلما انتقل أحدهم، لابد أن يحل مكانه رجل آخر. قد يكون معـروفاً، وقد يكون مجـهـولاً، لأنهم على حسب الزمان، فإذا كان زمان صلاح وتقوى، يكونوا ظاهرين ويذهب الناس إليهم، ويذهبون هم إلى الناس، وإذا كان زمان سوء -مثل الزمن الذى نحن فيه- يختفون، لأن النـاس ستسخر منهـم، وتستـهـزىء بهـم، وهـذا يكون وبال على النـاس.

فاختفاؤهم رحمة بالناس، لأن الناس تريد المادة، وتريد الدنيا، وعندما يرونهم يسخرون منهم ويستهزءون بهم، فمن أجل هـذا يخفون أنفسهم رحمة بالناس، لأن الذى يسخر منهم سيعلن عليه الحرب، وهم لا يريدون إعلان الحرب على أحد، أو يؤذى أحد بسببهم.

وليس كما يقول الجهلاء، أن سيدى فلان سيؤذيك، فهـذه عقيدة فاسدة. مال الصالحين والإيذاء!! فهم لا يؤذون أحداً، هم ينفعون الناس، ويدعون للناس، ويرفعون البلاء عن الناس. فإذا حدث إيذاء ذات مرة، فهم لا يعلمون عنه شيئاً، فقد يكون أحد الجهلاء أذاهم، وهم يرفعون الأمر لله، فالله يغار عليهم، فيؤذيه، لكن ليس لهم دخل بهذا الإيذاء.

فالذى أريد أن أقوله، أن ما يردده البعض من أن هذا الرجل الصالح لو غضب عليك، سيحدث لك كذا وكذا، قول غير صحيح، لأن الصالحين لا يؤذون أحداً، ولا يضرون أحداً، بل هم على قدم سيد الخلق ﷺ. يقولون: **«اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون»**[٣٢]. ولا يدعون على أحد أبداً.

وهذا يا إخوانى نظام الصالحين رضى الله عنهم وأرضاهم.

طريقة الالتحاق بالصالحين

من أجل هذا كان الشيخ ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه وأرضاه يقول:

(إذا غاب عنك معرفة الولى، فقل فى دعائك دائماً: «اللهم دلّنى على من يدلنى عليك»).

إلى أن يكشف الله لك عن الرجل الذى ستصبح معه.

---

(٣٢) متفق عليه.

ولابد أن يكون معه اسمك، فيرسل لك طلب من أجل الالتحاق بالمدرسة، وفى نفس الوقت تكون أوراقك موجودة فى المدرسة.

فهذا هو نظام الصالحين، ولذلك نحن نظامنا لو جاء أحد، نقول له ما رأيت، ونحن ماذا رأينا، لأنه موضوع ليس هيناً، لأنه من الله وإلى الله وبالله عز وجل.

هذا يا إخوانى بالنسبة للوصول. ومزارات الصالحين السابقين كلها فضل وإجابة دعاء، وتحقيق رجاء. هذا بالنسبة للعوام، لكن بالنسبة للخواص فأقول مثلاً: سأذهب إلى سيدنا الحسين، وأمكث هناك سنتين فى الضريح، فماذا يفيدنى فى السير والسلوك؟

السير والسلوك له وضع آخر، فأنا سرت مع مولانا الشيخ محمد على سلامة رضى الله عنه وأرضاه، فأحضر درساً مثل هذا مثلاً -وهو فى بورسعيد- وأتكلم، ثم يأتى بعدها بشهر أو شهرين، وفى درس عام يقول: إخوانى الدعاة إذا عالج أحدهم موضوع كذا يقول كذا، وصحة هذا الموضوع كذا، فأعلم أن هذا الأمر خاص بى.

فبمجرد ما كنت أجلس معه، وأكون مجهزاً بعض الأسئلة فى نفسى، فيقدم التحية ويتكلم كلاماً عاماً، فيأخذ ما هو معى جزءاً جزءاً من هذه الأسئلة، ويجيب عليها. فلا أحتاج أن أسأله وإن لم يكن فى اليقظة يكون فى المنام، فكان التوجيه موجوداً دائماً.

فمن أين تأخذ هذا التوجيه إلاّ من رجل حىّ، تجالسه وتستشيره فى أمورك؟

فالسالك فى طريق الله، لابد أن يستشير فى أموره الهامة مثل الزواج أو السفر أو غيره، فمن يستشير؟

لابد أن يكون هذا الرجل حى. ونسميه حى قائم، لماذا؟

حى أى أحياه الله بنوره، فأصبح فى الحياة الأخرى التى يقول فيها الله:

﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾[٣٣].

يمشي به في قلوب النـاس، فلابد أن يكون معـه هـذا النـور لكي يمشي به في قلوب الناس، فـيـعـرف مـا في نفـوس الناس. ولذلك لماذا يصـحب الناس الصالحين؟

فقد يكون أحدنا يمشي في أمر، ويهيأ له أنه هو الصواب، فيقول له الشيخ: لا، ابعد عن هذا الأمر. فيحسّ بالضيق ويقول: ألا يريد الشيخ لي الخير والمصلحة؟

فأنا نظري ضعيف، وهم نظرهم بعيد، فبعد فترة أقول: سبحان الله، ما هذه الشفقة، وهـــذا الحب لي؟ فعـلاً أنا لا أعرف شـيئاً، لأنهـم ينظـرون بعين الله عز وجـل.

هذا يا إخواني حال الصالحين رضي الله عنهم وأرضاهم، وهذا نظامهم وهذا وصولهم. فلابد أن يكون حيّاً ليأخذ بيدي ليوصلني إلى الحي عز وجل.

ماذا تعني كلمة حي؟

حي الحياة الإيمانية.

وماذا تعني قائم؟

أي أقامه الله، وأمدّه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

مثلاً: عيادة الطبيب لابد أن يستخرج لها رخصة، والتي لا يستخرج لها رخصة تكون عيادة نصب والطبيب نصاباً. فلابد أن يكون داعياً إلى الله بإذنه حتى يكون سراجاً منيراً.

وهذه هي إجابة السؤال على قدرنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٣٣) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

خصوصيات الحجر الأسعد

سؤال : هل الحجر بداية الطواف؟ ولماذا؟

الإجابة : نعم هو بداية الطواف. لأنه حجر من الجنة، وقد قال فيه ﷺ:

«الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة، ويبعث يوم القيامة له عينان ولسان، يشهد لكل من استلمه أو قبّله»(٣٤).

وهذا الحجر له مواصفات غير موجودة فى الحجارة الأخرى. فعندما جاءت جماعة القرامطة، وهم من الخوارج، وكان ذلك فى زمن العباسيين، فذهبوا فى يوم عرفة، وقتلوا الحجيج، واقتلعوا الحجر، وأخذوه معهم إلى البحرين، وفى طريقهم مات تحته أربعون جملاً، فكلما يحملونه على جمل يمشى مسافة ثم يموت رغم أنه حجر صغير.

وقد مكث عندهم أربع سنوات، إلى أن جاء الخليفة المعتضد، فساومهم وأعطاهم المال الذى طلبوه فى الحجر، ولكن قد يكون بدّلوه أو غيّروه، فكيف يعرفونه؟

فكان موجوداً فى ذلك الوقت عالماً من علماء الحديث واسمه عبد الله ابن عكم، فقال: أنا معى الأدلة التى وضعها سيدنا رسول الله ﷺ للحجر. فأتوا بحجر آخر مثله تماماً، فقال لهم ضعوه فى الماء، فغرق. ثم قال لهم: ضعوه فى النار فسخن. فقال لهم: هذا ليس حجرنا، فحجرنا قال فيه ﷺ، فى حديث ما معناه:

«يطفو على الماء ولا يسخن من شدة الحر».

فأحضروا الحجر الأصلى ووضعوه فى الماء فطفا.

فهل يوجد حجر يطفو على الماء؟

---

(٣٤) رواه النسائى وابن ماجه والترمذى من حديث ابن عباس والحاكم من حديث أنس.

ووضعوه فى النار، فظل بارداً كما هو. فقال أبو عبد الله القرمطى: (عجباً!! دين بلغت مدى الدقة فيه أن يضع قواعد حتى لهذا الحجر لدين صحيح من الله عز وجل).

وقال: أستغفر الله وأتوب إليه مم جنيت، وأعلن دخولى فى هذا الدين من جديد. ودخل وأقر بالإسلام من جديد.

وهذا الحجر ليس مثل الحجارة الأخرى، ففيه كاميرا التكنولوجيا لم تصنعها ولن تصنعها، فهى كاميرا تصور من لدن آدم إلى يوم الزحام، وكل هذه الأفلام موجودة داخلها، وتصور كل الذى يمر عليها فى ليل أو نهار. ويوجد أيضاً جهاز تسجيل يسجل كل الكلمات التى تتردد عنده ليعيدها مرة ثانية، ويشهد، لأن الذى يشهد لابد أن يرى ويسمع، وإلاّ سيكون شاهد زور. فهو يشهد لكل من جاء أمامه، وكل الذى تكلم أمامه، مع أنه حجر.

الناحية الأخرى -مثلما تعرفون- أنه خزانة، أودع فيها ملك الملوك العقد الذى سجله بيننا وبينه، ولذلك لما جاء سيدنا عمر رضى الله عنه وقال له: إنك حجر لا تضر ولا تنفع -إنه يريد أن يبين مقامه.

الجهلاء يقولون أن سيدنا عمر قال: هذا حجر لا ينفع، وكان يريد أن يكسره. وهم بذلك لا يفهمون.

عمر إمام المحدّثين

فسيدنا عمر رجل من المحدثين، الذى قال فيه النبى ﷺ:

«إن منكم لمحدثين وإن منهم لعمر»(٣٥).

وكذلك سيدنا موسى، لما أراد الله أن يبرئه عندما أشاعت بنو إسرائيل أن به عيوب جسمانية، فنزل البحر للاستحمام، ووضع ملابسه على الحجر، وكان يوم

(٣٥) رواه الترمذى.

السوق، فأخـذ الحجر الملابس وأخـذ يجرى فى وسـط السـوق، وسـيدنا موسى غير مدرك حاله، لأن الله يريد أن يبرئه. فأخذ عصاه وأخذ يضرب الحجر ويقول: ثوبى يا حجر ثوبى يا حجر، كأنما يضرب شخصاً آخر.

لأن الأنبياء يخاطبون الحقائق، والحقائق تفهم منهم وتسمع. النبى ﷺ يقول:

«إنى أعـرف حجـراً كان ينادينى ويقـول: يا محمـد قبـل بعثتى»[٣٦]. ولم يذكره، ونحن نعتقد أنه هذا الحجر، فكتب السيرة لم توضحه ولم تتكلم عنه، ولكن عقيدتنا أنه هذا الحجر -حجر المقام- وكان ينادى عليه ويقول: يا محمد.

فسيدنا موسى عليه السلام كان يتكلم مع الحقائق. وكان سيدنا عمر رضى الله عنه من المحدثين الذين يتكلمون مع الحقائق. وإليكم المثال:

فى زمان سيدنا عمر رضى الله عنه حدث زلزال شديد فى المدينة، فأمسك بالدرّة وضرب الأرض وقال لها: (يا أرض قرّى واستقرى فإنى أعدل على ظهرك). فسكتت فى الحال، فكان ضربه للأرض بالدرّة وكأنه يضرب شخصاً.

مثال آخر: عندما فتح سيدنا عمرو بن العاص مصر، وكان أهل مصر عندما يأتى الجفاف يحضرون بنتاً جميلة، ويلبسونها أبهى الملابس، ويحلّونها بالذهب، ويلقون بها فى النيل، فيجرى، ويحدث هذا فى حفل مهيب، ويسمى هذا اليوم بعيد وفاء النيل. فقالوا له: نريد أن نفعل هذا، قال: لا يصح هذا فى الإسلام.

وأرسل إلى سيدنا عمر، فقال له: أصبت، وأرسل له وريقة صغيرة، وقال له: أقم الحفل كما كان يقام، والق الوريقة بدلاً من العروس.

فماذا كتب فى هذه الوريقة؟

قال: (من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر -وهل هذا النيل شخص يفهم ويقرأ الخطاب، أو يسمع مثلما يقول عامة الناس. لكنهم لهم حالة أخرى مـع الله.

---

(٣٦) رواه مسلم.

(من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر: سلام عليك أما بعد: إن كنت تجرى من عندك فلا حاجة لنا بك، وإن كنت تجرى من عند الله فاجرى بأمر الله عز وجل).

فأقام سيدنا عمرو بن العاص الحفل الكبير، وأحضر الخطاب وألقاه فى النيل. وفى صباح اليوم التالى ارتفع الماء فى النيل ستة عشر ذراعاً، ولم يكن فيه وقتئذ قطرة ماء واحدة.

حديث الحقـائق

فكان سيدنا عمر يكلم الحقائق. من أجل هذا كما تعرفون كان هناك مجموعة خاصة، فحضرة النبى ﷺ كان يدرس للكل، لكن هناك دروس عامة ودروس خاصة. لما جاءت المجموعة الخاصة وكان يعلمها كمبيوتر الحقائق، وكانوا جالسين، يمسك النبى الرمل فيسبّح فى يده، والكل يسمع، يضعه فى يد أبو بكر يسبّح، والكل يسمع، فى يد عمر يسبّح والكل يسمع، فى يد عثمان يسبّح والكل يسمع، فى يد على يسبّح والكل يسمع، فى يد غيرهم لا يسبّح ولا يسمع لأنه لا يعرف أن يتعامل مع هذه الحقائق. مع أن اليدين مثل اليدين، لكن هاتان اليدان تعرفان كيفية تشغيل هذه المفاتيح وهذه الحقائق.

هذه أحوال أخرى، وأنوار أخرى أخذوها وعلمها لهم سيدنا رسول الله ﷺ. فكان لهم درس خاص ومجموعة خاصة.

فسيدنا عمر يقول للحجر: إنك –خطاب له، إنك حجر لا تضر ولا تنفع– وهذا كمال التوحيد، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبّلتك.

وهذه التى نقول فيها بداية الوهابية هى نهاية الصوفية. كيف؟ فيصل الأمر بالعارف بالله فى النهايات أنه يصل إلى حال لا يرى إلاّ الله، ولا يطلب إلاّ من الله، ولا يسأل إلا الله ولا يعتمد إلاّ على الله.

وهذا حال العارفين فى النهايات. لكن فى البدايات يستفيد من هذا، ويطلب معونة من هـذا، ويطلب مساعدة من هـذا، ويطلب عوناً من هذا، ويطلب إغاثة من هذا، حتى يصل إلى مراتب النهاية، لكنهم يريدون أن يصلوا إلى مراتب النهاية من البداية، فلا تأتى أبداً.

فسيدنا عمر عندما قال للحجر: (إنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك) لكن سيدنا علىّ بيّن ووضح وقال: إنه ينفع ويضر بإذن الله يا أمير المؤمنين. فهو هنا يريد أن يوضح للآخرين، أنه ينفع ويضر، ولكن بإذن الله.

وهـــذه هى الحقيقـة، فإنه لاشىء فى الكون كله ينفــع ويضر إلاّ بإذن الله عز وجل، لكن فيه ضرر ونفع:

(أما علمت أن الله عز وجـل حين أخـذ العهـد على الذرية كتبه فى كتاب، ثم ألقمه ذلك الحجر، فهو يشهد لكل من استلمه أو قبله إلى يوم القيامة).

فعندما أخذ علينا العهد: **﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾**[٣٧].

فوقّعنا جميعاً على هذا العقد، وحفظه فى هذا الحجر، فهو فيه هذا العهد، ويشهد لنا. ولذلك عندما نأتى عنده، علّمنا النبى ﷺ أن نقول:

«اللهم إيماناً بك، ووفاءً بعهدك، وتصديقاً بنبيك ﷺ»[٣٨].

فنأتى لنوفّى بالعهد الذى أخذ علينا وموجود فى هذا الحجر. فهو حجر لكنه ليس كسائر الأحجار، جعل الله ظاهره حجر، وحقيقته أنوار، وباطنه أسرار، وفيه حقائق لا يطلع عليها إلاّ الأخيار، ولا يعلمها إلاّ الأطهار، وستظهر جلية للجميع يوم لقاء الواحد القهار عز وجل.

---

(٣٧) سورة الأعراف : الآية ١٧٢.

(٣٨) رواه الحاكم عن على رضى الله عنه وكرّم الله وجهه.

كتاب الأبرار

درس بعد الحضرة: بعد قراءة الآية:

﴿كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون﴾(٣٥).

كتاب الأبرار الذى يشهدونه، ويشهدون فيه أسماء الله، وصفات الله، وجمالات الله، وكمالات الله هو سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، وليس كتاب اليمين كما يفهم البعض. لذلك ربنا قال هنا: يشهده المقربون -فقط، فهم الذين سيرون كتاب الأبرار.

فيروا فيه الحقائق العالية، والأخلاق الراقية، والبيانات الإلهية السامية، والمعانى الإلهامية والنورانية.

كل هذا فى هذا الكتاب، فيفتحونه، ويقرأونه أو يشهدونه، وقد يشهدونه دائماً.

أين هذا الكتاب؟

قال: فى الملأ الأعلى. فمن أراد أن يصل إلى قراءة هذا الكتاب، لابد أن يعلّى عزيمته. فلا يصل إليه أحد إلاّ إذا كانت عزيمته عالية. قال ﷺ:

«علو الهمة من الإيمان».

فالذى يعلّى عزيمته،ويقوّى همته، هو الذى يستطيع أن يصل إلى هذا الكتاب. مثلما قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه:

علّوا عزائمكم هيّا واعشقوا ** لتشاهدوا عدن الجنان وحورها

فمن أراد الحور يعلّى عزيمته، والذى يريد الجنة يعلّى عزيمته. فماذا يفعل الذى يريد سيدنا رسول الله ﷺ؟

---

(٣٥) سورة المطففون : الآيات ١٨ : ٢١.

هذا مثلما يقول ربنا فى القرآن:

﴿ **لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾[٣٦].

لن تأخذوا البرّ أبداً إلاّ إذا أنفقتم من الذى تحبونه. والذى يريد البار عز وجل –وليس البرّ– ماذا يفعل؟

هـذا يقول:

وقليـــــل بذل روحـى ** للمليـك وفيـه أعـــذر

ما هذه الروح التى سأنفقها؟ فهو الذى صنعها، فأنا لا أملك شيئاً. مثلما قال:

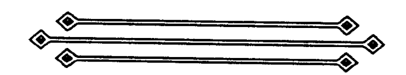
﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾[٣٧].

فالذين يريدون ربّ الجنة ماذا يدفعون؟

فهؤلاء يقولون: ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾[٣٨].

إنا –نعنى نحن وأولادنا وأموالنا وأنفسنا، كل هذا– لله عز وجل.

نسأل الله عز وجل أن يواجهنا بهذه الحقائق، وأن يقوى أنوارنا، ويظهر أسرارنا، ويبلغنا آمالنا، ويكشف لنا عن بديع وجهه الجميل، ويرفع عنا كل حجاب يحجبنا عن حضـرته، ويكشف لنا كل سنا يغيّبنا عن أنوار طلعتـه، ويجعلنا من أهل الإشراف على قدس حضرته، ومن أهل الاطلاع على مكانة عزته، ومن العابدين الراكعين الساجدين آناء الليل وأطراف النهار خوفاً من مقام عظمته. نحن وإخواننا وأبناءنا وبناتنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(٣٦) سورة آل عمران: الآية ٩٢.
(٣٧) سورة التوبة: الآية ١١١.
(٣٨) سورة البقرة: الآية ١٥٦.



الأحوال العلية لأصحاب النبى الكريم

* الإلهـــــام.
* صـفاء السـمع البـاطنى.
* شرب السـمّ.
* منازلات الأحوال ومقامات أهل الكمال.
* المشى على المـاء.
* أهـل النـوبة.
* إحضار الفاكهة فى غير وقتها.
* تسـخير الحيـوانات.
* أسـباب ظهور الصـالحين.
* بقـاء الأحوال العليّـة فى الأمة المحمدية.
* الحـياة الإسلامـية.
* الحيـاة الإيمانيـة.
* المعـانى الإحسانية.
* إبطال تأثير النـار.
* أهـل الإيقـان.
* أحـوال الأبدال.
* الحـال الملكوتى.
* حكم أصـحاب الأحـوال.

الأحوال العلية لأصحاب النبى الكرام

ولا عجب إن لاح نور محمـد ******* يلوح على قوم ويرقوا به السـما

بعض النـاس يا إخـوانى يقـولون أن الحقـائق التى نسـمعهـا والتى نتلقـاها عن الصـالحين، لم تكن موجودة بين أصحـاب رسول الله ﷺ. والذى يقـول هذا الكلام يكون قد أكبر عليهم الفرية، لأن أحوالهم كانت من عين النبوة، وموجودة ومسجلة فى كتب الأحاديث، وفى كتب السّـير، لـكن النـاس يمرّون عليهـا ولا يلقون لها بالاً.

لأن هذه الأحوال كانت من كثرتها كشىء عادى، فمثلاً قبل أن تدخل الكهرباء بلدنا، كان منزل المأمور أو رئيس مجلس المدينة الذى فيه النور، كان يعتبر علامة مميزة فى البلد، أليس كذلك؟ ولكن عندما عمّ النور الكل، أصبح شيئاً طبيعياً.

فالصحابة هذه الأحوال من كثرتها لم تكن تشغلهم، لأن الكل عنده هذه الأحوال، والكل ممتع بهذه الأحوال حتى نساؤهم كن أيضاً ممتعات بهذه الأحوال وليس الرجال فقط. الرجال والنساء:

﴿مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات﴾[1].

هذه كانت أوصاف نسائهم، والتى تسوح ترى الذى بالملكوت الأعلى.

---

(١) سورة التحريم : الآية ٥.

الإلهـــام

فالصـحابة قـد وصـــل بهـم الأمـر إلى أنهـم كانوا يأتون فى إلهـاماتهم، بل وفى منامهم بتشريعات يقرّها رسول الله ﷺ. وكلكم تحفظون الآذان، لم يسمعه واحد فقط بل سمعه عدد كبير منهم، والكل سمع الآذان وحفظ ألفاظ الآذان، والكل أصبح ذاهباً إلى رسول الله ﷺ ليقول له: إننى سمعت اليوم آذان الصلاة.

من أين استمعوه؟

فهـذا الآذان قد سمعه سـيدنا رسـول الله ﷺ فى ليـلة الإسراء والمعراج بعـد ما تخطى سدرة المنتـهى، وليس فى عالم الملكوت، بعد ما تخطى سدرة المنتهى سـمع الذى يقـول: الله أكبر الله أكبر، والذى يردّ عليـه ويقـول: أشـهـد أن لا إله إلاّ الله، والذين يكملون ويقـولون: أشـهـد أن محـمـداً رسـول الله، والذين يقـولون: حى على الصلاة، والذين يقولون: حى على الفلاح. سمع هذا بعد سدرة المنتهى.

فمن أين سمع الصحابة هذا الآذان؟

من فوق سدرة المنتهى.

قد يقول قائل: من الجائز أن يكون هذا مناماً.

صـفاء السـمع البـاطنى

إليكم مثال آخر: كان رسول الله ﷺ جالساً مع أصحابه، مثلما نحن جالسون، وسمعوا صوتاً -كتب السّير تقول: وجبة شديدة (شىء يسقط أو دانة نزلت)، فقال ﷺ: أسمعتم هذه الوجبة؟

قالوا: نعم. قال: **«هذا صوت حجر، ألقى فى جهنم من سبعين سنة، ووصل الآن إلى قعرها»**.

انتبهوا معى، كيف سمعوا صوت الحجر الذى ألقى فى جهنم؟ ما هذا الصفاء السمعى، الذى سمع صوت الحجر الذى نزل فى جهنم؟

وهذه رواية صحيحة وموجودة فى البخارى ومسلم.

وهم ما زالوا جالسين، سمعوا صوت صراخ، قالوا ماذا؟ قال: فلان الفلانى قد مات، وهذا الرجل كان منافقاً، وعمره سبعين سنة. فعرفوا أن هذا تطبيقاً لقول الله عز وجل:

﴿إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار﴾[٢].

ينزلوا النار، ووقودها الناس والحجارة، هؤلاء حجارة.

فالمنافق حجر وخشب، وربنا قال هذا فى قرآنه:

﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة﴾[٣].

وقد سألوا أحد الصالحين: لماذا وصفهم الله بأنهم خشب؟ قال: لأن الخشب عازل للحرارة، وهؤلاء ليس عندهم حرارة إيمان. فلو عنده شيء من حرارة الإيمان، عندما يرى طلعة النبى العدنان يسلّم لله عز وجل على الفور.

هذه الحالة، من الذى كان يسمعها؟

كل الصحابة الجالسين كانوا سامعين لصوت الحجر الذى نزل فى جهنم.

ومن أجل أن نذكر بعض هذه الأحوال يا إخوانى، نحتاج أن نجلس فى هذا المجلس إلى ماشاء الله، لكثرة الروايات الواردة عن أصحاب رسول الله ﷺ. فسيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وأرضاه يقول: «كنا نعلم الكذاب بعلامة فى وجهه».

هل فينا أحد يستطيع أن يرى الكذاب بعلامة فى وجهه؟

---

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٥.

(٣) سورة المنافقون: الآية ٤.

لكن هذا يبين أن هذه القلوب قد استنارت بنور الله، واكتحلت بأنوار سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، حتى أصبحت ينطبق عليها ما أخذه سيدنا رسول الله من الله:

﴿تعرفهم بسيماهم﴾(٤).

هم أخذوا هذا الأمر. فحينما يروا سيما الناس، يعرفون ما فى خفاياهم بنور الله عز وجل، الذى أعطاه لهم الله، والذى قال فيه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ:

«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل»(٥).

شرب السمّ

إذا كان أحد الصالحين قد شرب السمّ ولم يؤثر فيه، فإمامهم فى ذلك، سيدنا خالد بن الوليد رضى الله عنه وأرضاه، عندما جاءه جماعة من الكافرين وقالوا له: لن نؤمن لك حتى تتجرع هذا السمّ. وكان سماً قاتلاً، من شربه يمت فى الحال. قال: إئتونى به، وقال: «بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم».

وشربه فى الحال ولم يضره.

منازلات الأحوال ومقامات أهل الكمال

فهناك منازلات الأحوال، ومقامات أهل الكمال. أهل الأحوال تظهر على أيديهم الكرامات، لأنهم فى غيبة عن ذواتهم وهيئاتهم، وعن حقائقهم. لكن الكمّل ينظرون بالعينين، ويتمتعون بالمشهدين، ولهم الظاهر لأحكام الشريعة، والباطن لأنوار الحقيقة، فلا يبطلون ظاهراً، ولا يكتمون باطناً، بل يتحركون كما كان ﷺ يتحرك.

---

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٧٣.

(٥) أخرجه الطبرانى من حديث أبى أمامة، والترمذى من حديث أبى سعيد وابن جرير فى تفسيره من حديث ابن عمر، وثوبان بزيادة: «... **وينطق بتوفيق الله**».

بمعنى آخر: أهل الأحوال الذين غلب عليهم الباطن. هؤلاء يضع أحدهم قدمه هنا والأخرى فى مكة، لكن أهل الكمال لابد أن يركب ويتعب، ويذوق التعب، مثلما فعل الرسول ﷺ، وقد كان بإمكانه وهو فى مكة أن يضع قدمه فى المدينة ولا يختبىء فى الغار، ولا يمكث فيه ثلاثة أيام، ولا يركب جملاً، ولا يتبعه سراقة. لكن هذا هو حال أهل الكمال.

لو كان من أرباب الأحوال، كان فعل مثلما فعل سيدنا عيسى عليه السلام، عندما جاءوا ليقبضوا عليه، أخذ شبهه ووضعه على تلميذه وتركهم. لكن الكمال كان لرسول الله ﷺ. فلذلك كمّل الأولياء سائرون على نهج رسول الله ﷺ. لكن أهل الأحوال لا يدرون، فيتصرفون وهم لا يشعرون، ولذلك فإذا تابعتهم فى هذا الحال أكون مدعياً كاذباً، وإذا عرفوا يكون بأمر من الله عز وجل.

فمثلاً: عمرو بن العاص، كيف جاء إلى مصر؟

استغرق سنين حتى جاء.

لكن سيدى أحمد البدوى أخذ الطريق فى إحدى عشرة خطوة من مكة إلى طنطا، لأنه من أهل الأحوال. فكل شيء جائز لهم، حتى أنه عندما جاء له سيدى ابن دقيق العيد وأغضبه، دفعه بيده، فوجد نفسه فى بلاد الهند.

كيف هذا؟

لأن هؤلاء القوم يصلون إلى حال لا يملك لا شيئاً، فلا يستطيع أن يرد على أحد بلسانه، ولا يدفع أذى بيده، ففى هذه الحالة يصرفهم الله عز وجل بقدرته.

ما هذه اليد التى تدفع رجلاً من هنا فيكون فى الهند؟

لا توجد غير يد الله عز وجل. فى هذه الحالة يقول: «كنت يده التى يبطش بها»، ليست يده هو، بل هو.

وضع آخر، ما العين التى ترى من على منبر المدينة الرجل الذى فى بلاد فارس؟

أيوجد فى البشر عين بهذا الشكل؟

لا، لكنها عين الله.

هذه الكرامات كانت ظاهرة، لكنها كانت أمر عادى لأنهم يعيشون فيها دوماً.

المشى على الماء

وإذا كان أحد من الأمة مشى على الماء، فإمامهم سيدنا العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه وأرضاه، مع أنه ليس من الصحابة المشهورين، وكثير من أصحاب الكرامات فى الصحابة غير معروفين أو مشهورين.

أرسله سيدنا رسول الله ﷺ ليفتح البحرين، وأرسل معه كتيبة من الصحابة، والذى يحكى هذه الواقعة السكرتير الصحفى لسيدنا رسول الله ﷺ، سيدنا أبو هريرة رضى الله عنه وأرضاه. يقول: رأيت من العلاء بن الحضرمى ثلاث آيات لا تظهر إلاّ على يد نبى، الأولى: عندما وصلنا إلى ساحل البحر، نريد البحرين -والبحرين جزيرة، وبينها وبين الدمام فى السعودية الآن حوالى خمسين كيلو فى البحر- فالأعداء تحصنوا بالجزيرة، وأخذوا معهم المراكب، فكيف يصلون إليهم؟

فقال العلاء: «يا على يا عظيم يا حليم يا كريم»، وكان هذا اسم الله الأعظم الذى أعطاه له سيدنا رسول الله ﷺ. وكان لكل صحابى اسم يعطيه له سيدنا رسول الله ﷺ، وكان ذلك الاسم الخاص به. فقال: ضعوا أرجلكم فى الماء وسيروا على بركة الله.

قال: فمشينا ومعنا الإبل والخيل، ولم تبتل أخفاف الإبل بالماء -معنى هذا أن الماء قد تجمد وأصبح لوح ثلج- فعندما رأى الأعداء هذا الأمر، قالوا: هؤلاء ليسوا بشراً، بل هم من الجن أو الملائكة، وسلّموا واستسلموا.

والثانية: يقول: ثم رجعنا، ونفذ الماء فى الطريق، فقلنا: يا علاء نفذ الماء، فقال: لمَ لم تخبرونى؟ وقال: «يا علىّ يا عظيم يا حليم يا كريم» فوجدوا عين ماء تتفجر

فشربوا وارتوا. فيقول: كان معى دلو فملأته وتركته -سيدنا أبو هريرة صحفى ويريد أن يتحقق من الأخبار التى يرويها- فيقول: بعدما قطعنا مسافة رجعت مرة أخرى لأحضر الدلو، فوجدت الدلو كما هو مليء بالماء، ولكن لم أجد البئر ولا الماء.

والثالثة: يقول: وهو فى الطريق مات، فقمنا بدفنه، وعلّمنا على قبره، وبعدما مشينا قابلنا بعض الأعراب، فقالوا: إن هذا المكان مأسدة -أى به أسود- انتبهوا من الذى أعلم هؤلاء الأعراب بنبأ وفاة صاحبهم ودفنه، حتى قالوا لهم: ارجعوا إلى هذا المكان وخذوا صاحبكم، واحملوه معكم، وادفنوه فى مكان آخر؟

أهــل النّــوْبة

فهؤلاء هم الروحانيون الذين جعل الله عز وجل لهم ورديات فى الأكوان، ليرشدوا الروحانيين من بنى الإنسان. يوجد جنود موجودين لا يراهم أحد إلاّ أهل القرب من الله عز وجل، وفى حالات خاصة نريد دليلاً على هذه الجنود. قال ﷺ:

«من تفلّت منه بعيره فى البادية، فليقل: يا عباد الله احبسوا فإن لله عز وجل عباداً يحبسونها ويردّونها إلى أهلها»[٦].

وهذا حديث صحيح، وهؤلاء العباد موجودون فى كل زمان ومكان، وهم عندما نمشى فى مكان ونضل، يأتون ويقولون هذا هو الطريق. أو نفذ منى الزاد فيعطينى زاد. من الذى بعثه؟ لا أعرف. أو فى بلد ونفذ منى المال، يقول خذ هذا المبلغ، من الذى عرّفه أننى فى حاجة؟

فهؤلاء هم عباد الله، الذين يتولون رعاية عباد الله فى كل زمان ومكان. فهم موجودون ولا يخلو منهم زمان ولا مكان، لكن الشاكّ والمرتاب ليس له نصيب فيهم. فهم يكرمون أحبابهم وإخوانهم.

فيقول: رجعنا إلى الرجل وذهبنا إلى شاهد القبر، وحفرنا فوجدنا القبر ولم نجده هو، فعلمنا أن الله عز وجل قد رفعه إليه.

---

(٦) رواه السيوطى فى الجامع الصغير.

إحضار الفاكهة فى غير وقتها

فالذى يعجب من أن الصـــالحين كيف يأتون بالشىء فى غـــير موعـــده، أو بالفاكهة فى غير أوانها، أو فى غير بلدها، فهؤلاء إمامهم خبّـاب بن الأرت.

عندما كان فى السجن، ودخلت عليه صاحبة المنزل، ووجدت معه عنقود عنب، ولم يكن بمكة كلها حبّة عنب واحدة.

تسخير الحيوانات

الذى يريد أن يرى الكلام مع الحيوانات وخضوع الحيوانات، ويقول كيف يخضع الصالحون الحيوانات؟ فمنهم من يمسك الأسد من أذنه، أو يمسك الذئب ويمشى معه كما يريد. فهذه الأحوال من أصحاب رسول الله ﷺ.

فعندما أرسل رسول الله ﷺ سيدنا سفينة برسالة إلى بلاد اليمن، ووجد الناس كلهم راجعين، فقال لهم: ما بكم؟ قالوا: الأسد هائج على الطريق وجائع. فقال لهم: تعالوا معى ولا تخافوا. وذهب إليه وقال له: إنى صحابى رسول الله ﷺ، ومعى رسالة من رسول الله ﷺ.

فهل الأسد يسمع هذا الكلام أو يفهمه؟

لكنه كلّمه بالحقيقة الباطنة، وترجم لمن حوله باللسان الظاهر. فهم لا يعرفون لأنهم ليس معهم السماعات التى تلتقط هذه الشفرات، فترجم لهم باللغة العربية، وقال له: تنحى عن الطريق. فهزّ الأسد ذيله ثم تنحى عن الطريق فوراً.

ومرة أخرى سيدنا سفينة أيضاً، وكان راكباً سفينة، وغرقت السفينة فتعلق بلوح حتى وصل إلى جزيرة، وعندما دخل الجزيرة ومشى فيها تاه عن الطريق، فإذا بأسد جاء له وتمسّح به، فمشى خلفه حتى وصل إلى الشاطىء، فوجد سفينة راسية، وربّت الأسد على ظهره، كأنما يقول له مع السلامة. وعاد مرة أخرى.

هذه هى أحوالهم، وموجودة فى صحاح الكتب، وهناك أحوال عجيبة وغريبة يضيق الوقت عن حصرها. فالذى يقول أن هذه الأحوال لم تكن موجودة مع أصحاب رسول الله، من أين أتى بهذا الكلام؟ فإن لم تكن موجودة مع أصحاب رسول الله ﷺ فمع من تكون!.

إذا كان عيسى عليه السلام، كان يرسل أحد الحواريين إلى بلده. ويعطيه ما أعطاه الله، فيذهب هذا الحوارى ينبىء الناس بما يدخرون فى بيوتهم، ويبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله، لأن عيسى أعطاه هذا.

فما بالكم بحوارى محمد ﷺ؟

ما شكلهم؟ وما حالهم؟ وما هيئاتهم؟

فكلهم كانوا أصحاب أحوال، ولكن من كثرة الأحوال لم تكن ظاهرة أو واضحة وملفتة للنظر، بل كانت وضع طبيعى، وشىء عادى.

أسباب ظهور الصالحين

وعندما جاء الصالحون، كان الواحد منهم يظهر لقلتهم والناس نائمون فى الدنيا، والناس نائمون فى الجهل، فكان الواحد منهم ظاهراً لعدم وجود أحد آخر. هذا هو الفرق بين هذا وهذا.

الرجل الصالح يظهر كل مدة، والذين من حوله أناس على قدر حالهم، فيثنون عليه، لأنه لا يوجد غيره. لكن هؤلاء كانوا جميعهم على هذا المنوال، وكلهم على هذا المنهاج، وكل لحظة آلاف الأحوال كان يجريها الله عز وجل على أيديهم، سواء كانوا رجالاً أو نساءً، أو أولاداً أو بنات صغار، كانوا جميعهم يجرى الله عز وجل على أيديهم هذه الأحوال. من أجل هذا لم تكن ظاهرة لكثرتها جداً جداً.

بقاء الأحوال العليّــة فى الأمة المحمدية

لكن هذه الأحوال يا إخواني، الحمد لله موجودة فى كون الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. لأن هذه الأحوال تكون نتيجة للحياة الروحانية التى يعيش فيها كثير من الناس. فيوجد ناس تعيش فى الحياة الإسلامية، هم المتمسكون بظاهر الشريعة، وهؤلاء لهم دار السـلام عنـد ربهم إن شاء الله، وإن كانوا على قدرهم فى أحوال رسول الله ﷺ، لأنهم متمسكون بالظاهر فقط.

ويوجد أناس معهم الحياة الإيمانية، والحياة الإيمانية أرقى فى المعانى الروحانية عن الحياة الإسلامية، ففيها شيء من المعانى القلبية مع الظاهر، فيكون فيها جانب من الخشوع، وشيء من الخشية، وقدر من الرغبة، ونصيب من الرهبة. وهذه تسمى أحوال القلوب.

فـأنا أقف فى الصـلاة بالظاهر، والظاهر هو الحـركـات والسكنات، والركـوع والسجود. والباطن له الخشوع والانكسار والخشية، والوجد والتواجد والتوجه وإسلام القلب والوجه لله عز وجل وهـذه تسمى الأحوال القلبية. فأهل الحيـاة الإيمانية هم الذين يعيشون فى هذه المعانى بأفئدتهم.

الحيــاة الإسلامية

وأهل الحياة الإسلامية كل همـهم فى المظاهر النبوية، ويعتقدون أن هذه كل شيء، فـهمّهم كله في اللحية وتربيتهـا وتسريحهـا، والعذبة وشكلهـا، والجلباب والسواك. وكل هذه الأشياء مطلوبة، لكنها ليست كل شيء. فإنا لا ننكر عليهم هذه الأشياء، لكن ما ننكره أنهم يقولون إن هذه الأشياء كل الأمر. من الذى قال هـذا الكلام؟

لكنه قال يوجد إسـلام، ويوجد إيمان. ولم يقل إسلام فقط. وهـذه الأشياء من منا يستطيع أن يثبت عليها كلها أيضاً؟

فالذى يريد أن يلبس مثل حضرة النبى ﷺ، فقد كان أحياناً يلبس جلباباً أحمر، ومرة أخرى خضراء ومرة صفراء، حتى أن أرباب الطرق اختلفوا فى العمامة. لماذا؟ سيدى أحمد الرفاعى قال: أن النبى كان يلبس عمامة سوداء فلبسها، وسيدى أحمد البدوى لبس عمامة حمراء لأن النبى لبسها، وغيره خضراء وغيره صفراء وهكذا.

فأنا ماذا أفعل؟ ألبس عمامة واحدة، أو أحضر أربع أو خمس عمامات، وألبس كل واحدة أسبوع، أو أجعلها عمامة واحدة وفيها جميع الألوان! لا أستطيع.

وكذلك الملابس، فمرة كان يلبس جلباباً وفيه رقع، ومرة يقول لهم: أريد جلباباً غالى الثمن حتى أقابل بها الوفود، وهذا فى آخر الأمر، فاشتروا له حلّة ثمنها سبع وعشرون جملاً. وربما لا يوجد الآن فى العالم الحديث بدلة بهذا الثمن -أى سبع وعشرون فى ثمن الجمل أربع آلاف- هل يوجد فى هذا الزمن بدلة بهذا الثمن؟ لكن اشتراها رسول الله ﷺ ليقابل بها الوفود.

فأنا سأقلده فى ماذا؟

فى هذا أو هذه أو هذه، فهذه الأحوال لو طلبها المرء كلها تجعله يتوه من كثرتها، لكن كل واحد منا يأخذ ما يناسبه، لأنه لبس جميع الحلل، لأننا فينا جميع المشارب. فكل واحد يأخذ ما يلائم مشربه، وما يلائم مذهبه، وما يلائم ذوقه. وكله من رسول الله ﷺ.

من فيهم مخطىء؟

المخطىء الذى يقول هذه من عند رسول الله والباقى خطأ.

نقول له: لا، أنت المخطىء لأن الكل من رسول الله ﷺ. فلو قال: إنه لم يلبس إلاّ العمامة الحمراء فقط، نقول له: أنت مخطىء، فهناك السمراء والصفراء والثانية والثالثة وهذا اسمه الإسلام.

الحيـــاة الإيمانيـــة

لكن الأعلى منه الإيمان. والإيمان أحوال قلبيـة. عندمـا رأى اثنين يمشـون خلف بعضهما: أحدهما عليه سيما الغنى والجاه والجمال، فقال لهم: ما رأيكم فى هذا؟

قالوا: هـــذا حرى إن خطب أن ينـكح، وإن تكلم أن ينصت له، وإن شـفع أن يشفّع. والآخر يلبس جلبابًا مهلهلاً، وحالته يرثى له، لكن بداخله خشوع وتقوى. فقال لهم: ما رأيكم فى هذا؟

قالوا: هـذا حـرى إن خطب ألا ينـكح، وإن تكلم ألا ينصت له، وإذا شـفع لا يشـفّع.

فقال لهم: هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا.

قـالوا غـــداً العيـــــد مـاذا أنت لابســـه
قلت حـلّة ســـــاق عـبـــــده جـــرعـاً
فـقـــــر وصـــــبـر همـا ثوبان بينهـمـــا
قلب يرى ربه الأعـيـــــاد والجـمـعــــا

فالذى يلبس خمسين بدلة لكن لا يرى شيئاً من أنوار القرب، ماذا معه؟

والذى يلبس المرقّعات، ولكن مكشوف عنه الحجاب. هذا هو المهم. فقال لهم: هذا أفضل من ملء الأرض مثل هذا. لماذا؟

لأن العبرة كلها بالقلوب.

هذه اسمها الحياة الإيمانية، وأصحاب الحياة الإيمانية لهم أحاسيس روحانية يحسّون بها. فيحسّ أحدهم بالذى يدور فى صدرك، وبالذى فى قلبك. ويحسّ بالذى يريد أن ينطق به لسانك. ويحسّ بالذى يدور فى ذهنك وفكرك. إحساسى، ويقول: أنا حاسس بكذا، ويصدق الإحساس.

من أين لهم ذلك؟

﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾[٧]. أى لأن معه الفرقان.

المعـانى الإحسانية

الحياة الأكمل من هذه الحياة، اسمها الحياة الإحسانية. وهذه حياة شهودية، فصاحبها يرى دوماً وهو غير الذى يحسّ فقط، لكن هذا يرى.

وهذا ما عبّر عنه الإمام على بن أبى طالب فقال:

«لو كشف الحجاب ما ازددت يقيناً».

فهو يرى كل شىء على حقيقته. وكشف الحجاب يقصد هنا لو أنه مات الموتة العزرائيلية، لا يرى أكثر مما رآه فى الحياة الدنيوية. لأن الحجاب هو ذلك الجسم.

﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾[٨].

فالغطاء هو هذا الجسم. فمن انكشف عنه الغطاء، ظهر له العطا من فضل الله عز وجل، فحتى لو مات ماذا يرى أكثر مما رأى؟ مثل الرجل الذى لم ير رسول الله ﷺ، ولم يقابله بجسمه، وكان موجوداً فى زمانه، وهو لم يدخل المدينة ولم يره، ولم يسلم عليه. وقال لهم: **«سيأتى بعدى أويس القرنى، رجل من أهل اليمن، فإذا لقيتموه فاستوصوا به خيراً، وسلوه أن يدعو الله عز وجـل لكم. آمن بى ولم يرنى، ومنعه من المجىء إلىّ برّه بأمه»**[٩].

لكن هـذا الرجل عندما جاء، وشاهدوا حاله، قالوا: كيف يكون مثـل هـذا لم يشاهد؟

---

(٧) سـورة الأنفـال : الآية ٢٩.

(٨) سـورة ق : الآية ٢٣.

(٩) رواه ابن السماك عن أبى أمامة رضى الله عنه.

إنه رأى كل شيء، لأنه عندما تعرفوا عليه، سألهم عن رسول الله ﷺ وقال لهم: هل رأيتموه؟ قالوا: نعم، قال: صفوه، فجاءوا بسيدنا عليّ وظل يصف شكله وملامحه وطوله وعرضه، فقال له: إنك لم تره.

قالوا: فمن الذى رآه؟ فذهبوا إلى السيدة عائشة وأخبروها فقالت: أنا رأيته مرة واحدة. كنت أخيط له ثوباً فى يوم ريح، وقد اشتد الظلام، فدخل عليّ رسول الله ﷺ وقد سقط المخيط من يدى، فرأيته نوراً من الأرض إلى السماء فالتقطت على ضوئه المخيط، ووضعت فيه الخيط[١٠].

فانتبهوا إلى أن الذى لم يحضر أبداً رأى هذه الحقيقة ولم تغب عنه، وكان معه دائماً. وهذا يعرفنا أن رسول الله كان بذكره لأمر أويس ينظر للمدى البعيد، حتى لا يأتى أحد ويعترض على من قال إنى رأيت رسول الله وأمرنى بكذا، وهو لم يحضر فى زمانه ولا مكانه، ولم يره، لأنه حدث ذلك مع أويس.

فهذه حجة يأتى بها لنا رسول الله ﷺ، لنرد بها على من يعترضون على الذين يقولون أن رسول الله لم يغب عنى، ومعى دوماً، ويقولون إن الصحابة لم يصلوا إلى هذا المقام. فنقول لهم: هذا كان موجوداً فى عصر الصحابة، ومنهم من حاز هذا المقام، وقد أعطاه لنا رسول الله ﷺ، وستظل هذه الأحوال باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إبطال تأثير النـــار

حتى عندما جاء الناس وقالوا: كيف يدخل سيدنا الحدّاد يده فى النار، وتخرج من غير أن يصاب بأذى! فقد حدث هذا أيام النبى ﷺ.

فالرجل الذى ذهب عند مسيلمة الكذاب، وقال له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. فقال له: أتشهد أنى رسول الله؟ فقال له: لا أسمع. فقالوا له: أوقد

(١٠) رواه النيسابورى فى تاريخه.

النار وضعه فيها. فأوقد النار ووضعه فيها حتى أطفأت النار ولم تؤثر فيه، وعندما رأوه خارجاً من النار سليماً معافى، قال أنصار مسيلمة: لو تركت هذا الرجل عندك فسيفتن أتباعك، فدعه يذهب، فتركه فذهب الرجل إلى المدينة.

وكان الخبر قد وصل للمدينة مع أنه لم يقابله أحد، وقد وصل الخبر لأبى بكر وعمر -عن طريق الإرسال الإلهى- فوجدهما فى استقباله. فقام سيدنا عمر واحتضنه، وقال له: مرحباً بشبيه إبراهيم عليه السلام، الحمد لله الذى لم يمتنى حتى رأيت فى أصحاب محمد ﷺ من هو شبيه سيدنا إبراهيم عليه السلام. وهو سيدنا أبو مسلم الخولانى رضى الله عنه وأرضاه، وكان من خاصة أصحاب رسول الله ﷺ.

فالذين ظهرت عليهم هذه الكرامات لم يكونوا من المشهورين، لكن هذه الآيات والكرامات كانت موجودة ومشهودة بين أصحاب رسول الله ﷺ، وممدودة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فأهل الحياة الإحسانية يعيشون هذه الحقائق. وهؤلاء هم الذين يقولون فيهم:

قلوب العارفين لها عيون *** ترى ما لا يراه الناظرون

وأجنحة تطير بغير ريش *** إلى ملكوت ربّ العالمين

أهل الإيقان

وهناك حياة أكمل من هذه الحياة، واسمها الحياة الإيقانية. فأهل الإيقان يعيشون فى أنوار رب العالمين فى كل وقت وحين. قربهم من العرش كقربهم من الفرش، وقربهم من ذوات الخلق كقربهم من ملائكة الحق. وأكلهم من زاد الدنيا كغذائهم من زاد الجنة، لأن هؤلاء لا يخفى عنهم الله خافية، ولا يمنع الله عنهم عز وجل أشياء ظاهرة وبادية أو خافية، لأنهم وصلوا إلى رتبة اليقين. فهؤلاء فى حياة أخرى.

فأهل اليقين يكشف الله عز وجل لهم عن كل الحقائق الظاهرة والباطنة، لكنهم لشدة تمكنهم لا يظهرونها إلاّ بحساب دقيق. ومن قبلهم من أهل الإحسان، فهم أهل الأحوال، تظهر على أيديهم الكرامات من غير حساب، ولذلك تكثر الكرامات على أيديهم ولا يدرون بشيء. لكن أهل اليقين لشدة تمكنهم لا يظهرون الشيء إلاّ بعد حساب دقيق.

ولذلك نجد أصحاب رسول الله ﷺ الغير مشهورين تظهر على أيديهم كرامات كثيرة، لكن سيدنا عمر وسيدنا أبا بكر ظهرت على أيديهما أشياء بسيطة بحكم الضرورات، لأنهم هم أهل اليقين. وأهل الكمال فعلهم ضرورات، غير الآخرين الذين لم يصلوا إلى منازل التمكين، فإنهم تجرى على أيديهم وبسببهم كرامات كثيرة. وكتب السِّير والطبقات مليئة بالجمّ الكثير من هذه الآيات والكرامات.

أحوال الأبدال

سؤال : سأل أحد الجالسين عن بعض أصحاب الأحوال الذين يظهر من بعضهم أحوال عالية، وكرامات كثيرة، لكنه لا يصلى.

فقال الشيخ رضوان الله عليه:

إن هذا له ما يؤيده فى قصة سيدنا أحمد البدوى. فهناك بعض الأولياء يصلون إلى هذا الحال. وهذا حال عال فوق العقول، لأن أصحابه لهم أكثر من طور يتطورون فيها.

فعندما جاء قاضى الموصل واعترض على عتبة الغلام، وقال له: كيف لا تصلى؟ فنظر ووجد أمامه تسعة، كلهم صورة واحدة، وهيئة واحدة. فقال له: من من هؤلاء تحدثه –وكلهم مثل بعضهم– وقد كان يقول له: لابد من محاكمتك وسجنك، فقال له: على من تحكم من هؤلاء؟ فعلم أن لله أحوال تظهر على الأبدال، الذين يمكنهم الله من تبديل ذواتهم وهيئاتهم على أحوال وأطوار مختلفة.

مثل سيدى أبى العباس المرسى، عندما دعاه جماعة لكى يتناول الغذاء بعد صلاة الجمعة عندهم، فلبّاهم جميعاً، وذهب إليهم جميعاً، ثم عاد، وبعد فترة وهو جالس مع الإخوان بعد الغذاء جاء رجل وقال له: أنا شاكر لك على أنك تفضلت وتناولت طعام الغذاء عندى اليوم. وبعد فترة جاء رجل آخر وشكره على أنه تناول الغذاء عنده اليوم، وجاء ثالث إلى أن وصلوا عشرة، وكلهم يشكرونه على أنه تناول الغذاء عندهم فى نفس اليوم، والإخوان جالسون مع الشيخ وقد تناول الغذاء معهم. وكذلك الشيخ أحمد السرهندى الفاروقى عندما أجاب دعوة عشرة وتناول عندهم جميعاً الإفطار فى يوم واحد من شهر رمضان وكان وقت الغروب عند كل واحد من العشرة فى آن واحد وأفطر عندهم كلهم كما نقل ذلك الخافى فى كتابه الحدائق الوردية.

الحال الملكوتى

فهؤلاء القوم لهم قدرة على التشكل، وهذا يسمى حال ملكوتى، وهو ليس بالحال العالى، لكنه حال بسيط. فالملائكة لهم قدرة على التشكيل، ومن يصل إلى الحالة الملكوتية يصبح له القدرة على التشكيل مثلما يريد. مائة صورة، أو ألف صورة صورة هنا وصورة هناك، وهم كما هم. وهذا حال ملكوتى على قدره.

فمثل هؤلاء أحياناً يكون مغلوباً على أمره فى الظاهر، لكنه يصلى فى صورة أخرى. مثل ابن دقيق العيد، عندما اعترض على سيدى أحمد البدوى، وقال: إنك لا تصلِّ. ودفعه الشيخ بيده، فوجد نفسه فى بلاد الهند، وسأل الناس فقالوا له: إنك فى بلدة كذا. فقال لهم: كم بينى وبين مصر؟ قالوا: ستة أشهر سيراً. فماذا يفعل؟

ذهب إلى المسجد إلى أن يفرّج الله عنه هذا الأمر، وكان وقت الظهر، فتوضأ وجلس ينتظر، فأذّن المؤذن وجلس فترة وقال له: أقم الصلاة، فقال المؤذن: حتى يأتى الإمام، فنحن لنا إمام راتب هنا. وبعد قليل دخل سيدى أحمد البدوى

رضى الله عنه وأقام الرجل الصلاة، وصلى بهم إمام فهو إمام راتب بالهند، وليس إمام يوم أو اثنين، بل إنه إمام دائم.

حكم أصحاب الأحوال

فهذهِ يا إخوانى مثلما يقولون:

أحوالهم فوق العقـــول إذا بدت *** تدك لهـا من رغبـة بل ورهبـة

ومطلوب التسـليم بهـا، فلهم ما يشـاءون عنـد ربهم. لكن مثـل هـــذا، فأنا لا أعترض عليه ولا أقتدى به.

لا تقتـــدى بمن زالت شريعتـه *** ولو جـــاك بالأنبــــا عن الله

وهــذا كلام سيدى محى الدين بن عربى. فلا أقتدى به ولا أعترض عليه، لأنها أحوال يعلمها الله عز وجل، ولا أقتدى به لأنه ليس بقدوة.

وكذلك ابن الفارض، وقد كان رجــلاً متشرعاً، ورأى رجلاً مجذوباً يتوضـأ فى الأزهر ولا يعرف كيف يتوضأ، فذهب ليعلمه الوضوء، فقال اسكت ودفعه، فوجد نفسه فى مكة. وظل بها أربع عشرة سنة سائحاً، إلى أن وجد الشيخ يمد يده ويقول له: تعالى يا عمر، فإنى سأموت اليوم لكى تصلى علىّ وتقوم بدفنى. ومدّ يده وأحضره فصلى عليه ودفنه.

هذه يا إخوانى أحوال عالية بعض الشىء، وهناك أحوال لا تصدقها العقول، فهناك رجل من أهل اليمن كان يبيع المطر، فمن يريدون مطراً يذهبون إليه، فيقول لهم: كم ستعطونى؟ ويدفعون له وينزل المطر كما قال. لكنه يعلم أن هؤلاء القوم بخلاء فكان يأخذ منهم ليعطى الفقراء.

فالعارفون لهم أحوال عجيبة رضى الله عنهم وأرضاهم، فأحوالهم فوق العجب، لكن أهل الجذب لا نقتدى بهم ولا نعترض عليهم. ولكن نقتدى بالولى المرشد، وبالعالم العامل الذى له أسوة كاملة بسيدنا رسول الله ﷺ.

سـؤال : هل سيدى إبراهيم الدسوقى قسم الكون على أربعة أقطاب؟

قال الشيخ: ليس لنا صالح بكلام المدّاحين، فكلامهم فيه زيادات كثيرة. فسيدى إبراهيم الدسوقى لم يقسم الكون، وما يقال من أنهم قسموا الكون على الأقطاب الأربعة، وكل قطب يأخذ مائة سنة وهكذا، من أين جاءوا بهذا الكلام؟ وقبل هؤلاء الأربعة على من كان يقسّم الكون؟

الكون يقسم على أربعة دوائر روحانية، وكل دائرة لها قطبها الروحانى، والأربعة لابد أن يكونوا أحياء وموجودين، فإذا ذهب الأربعة يأتى مكانهم أربعة. وهؤلاء الأربعة ينفذون مراد الله فى الكون، فقد وصلوا إلى الحالة الملكوتية فأصبحوا مثل الملائكة، مثلما يسخر الملائكة فى الأقوات والأرزاق، يسخر هؤلاء فى الهدايات والعنايات والولايات والكرامات. هذا هو الموضوع، لكن حكايات المدّاحين ليس لكم شأن بها، لأن كثيراً من الدراويش يزيدون فى فضائل مشايخهم، لكننا نأخذ الروايات الثابتة فقط.

سـؤال : الإمام أبو العزائم يقول: قبلت يمين رسول الله ﷺ وذلك فى قوله:

فقبّلت لما أن وصلت يمينه ****** وبشّرنى بعد الشهود بكلّما

فهل تقابل معه شخصياً؟

قال الشيخ رضوان الله عليه:

ألم يحدث هذا مع سيدى أحمد الرفاعى عندما ذهب إلى روضته الشريفة وقال:

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها
تقبّل الأرض عنّى وهى نائبتى
وهذه دولة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

والكل رآه وهو يسلم عليه. وهذه أمور سهلة وليست صعبة.

فسيدنا رسول الله ﷺ -لعلم اليقين- حي ويتصرف كما يتصرف أي حي بجسمه وروحه بأمر من الله عز وجل، لأن الرسالة باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. مثلما جاء للشيخ أبي المواهب الشاذلي، وقال له: إن فلاناً يقول إنك قد متّ. قال له: هو الذي مات، فأنا حي ولا يراني إلاّ من هو بقلبه حي وموتى هو تسترى عمن لا يفقه عن الله عز وجل، أما من يفقه عن الله فإنه يراني وأراه فصاحب القلب هو الذي يرى سيدنا رسول الله ﷺ، لأنها حياة ثانية روحانية إيمانية يا إخواني.

سؤال : في البداية والنهاية لابن كثير، يقول: إن الطعام الذي أعدته اليهودية وأكل منه النبي ﷺ، وكان مسموماً، فقد توفي متأثراً به، وهذا يتعارض مع الآية الشريفة:

﴿والله يعصمك من الناس﴾[11].

وابن كثير كررها، فما صحة ذلك؟

قال الشيخ رضي الله عنه:

يا إخواني أحوال رسول الله لا يدركها إلاّ الناس الروحانيون، الذين هم في درجة قريبة من معرفة أنوار وأخبار، وأسرار وأحوال سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ. فإذا كان هذا السمّ ظل فيه، أين ظل فيه؟ وفي أي مكان من الجسم؟ هل سيظل في مكان من الجسم ولا يظل الألم موجوداً؟

فابن كثير جاء بالحديث: «ما زالت أكلة خيبر تعاودني حتى قطعت أبهري».

فأين كان هذا السم في الجسم؟

يا إخواني كثير من الأخبار الواردة في كتب السيرة، كان اليهود يدسّون فيها بعض الأكاذيب، وكانوا يعطونها للمنافقين، والمنافقون يرددونها على أنها واردة عن رسول الله، والناس يأخذونها على أنها واردة، ويأتي رجال الحديث مثل الإمام ابن كثير ويأخذون بالسند فقط.

(١١) سورة المائدة : الآية ٦٧.

لكن رجال الله يأخذون -كما يقول بعض الصالحين: إنى أعرض الحديث على رسول الله ﷺ، فإن قال: قلته، فهو حديث صحيح ولو كان ضعيفاً عند البخارى ومسلم، وإن قال: لم أقله، فأعلم أنه حديث موضوع ولو كان صحيحاً فى البخارى ومسلم.

لأنكم كما تعلمون أن اليهود عندما يأسوا من حرب الإسلام دخلوا فى صفوف المسلمين، وتظاهروا بأنهم مسلمون حتى يفسدوا الإسلام كما أفسدوا المسيحية.

ما الذى أفسد المسيحية؟

الرجل الذى تنسب له كل تعاليم المسيحية اسمه بولس، وكان يهودياً، ولما عجز عن إفساد المسيحية وهو على اليهودية، ادعى أنه يرى سيدنا عيسى فى المنام، وأنه يشرع له كذا، ويقول له كذا، وهو الذى أتى بكل هذه التشريعات.

وكذلك دخل عبد الله بن سبأ وآخرون لكى يفسدوا الإسلام، لكن الإسلام سلم منهم إلاّ القليل. فالأشياء التى لا يقبلها العقل، ولا توافق العلم -والدين يوافق العلم الثابت الصحيح على خط مستقيم دائماً- فكل شيء لا يقبله العقل ولا يقبله العلم فليس من الشرع، لأن الشرع يوافق العقل ويوافق العلم.

سؤال : لم يتهم الصالحون أنفسهم دائماً عند أى قصور أو تقصير منهم؟

قال رضى الله عنه:

هذه أحوال خاصة، وتحدث للكل، فسيدنا عمر رضى الله عنه قال: ليتنى كبشاً وذبحنى أهلى وأكلونى، ومرة أخرى يقول: ليتنى كنت قشة. ومرة أخرى يقول: ليت أم عمر لم تلد عمر.

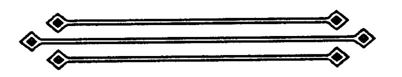
هذه الأحوال الكل يتعرض لها. فسيدنا رسول الله لما فتر عنه الوحى، علّمه الله وعلمنا معه هذا الأدب. فقال تعالى:

﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾[١٢].

فيرجع على نفسه. وهل الوحى قطع للتقصير؟ أو لأنه فعل كذا؟

لا، لكن هذا هو المبدأ الذى يعلمه لنا رسول الله ﷺ. يلوم نفسه ويعاتب نفسه وفى ذلك يقول العارفون: مقام العبد التقصير، لأنه مهما قدّم لربه عز وجل فلن يوفى ببعض ما عليه من واجبات لله عز وجل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



---

(١٢) سورة النساء : الآية ٧٩.

الفنـــــــاء

* الصــديق والقــرآن.
* الصديق الأكبر إمام أهل الفناء.
* مقــام الفنـــاء.
* موقف المؤمن من الدنيــا.
* ورع الصــديقين.
* الورع أول مقامات الفنــاء.
* جهــاد النفس الأمّارة بسلطان الشريعة.
* التمسك بالشريعة برهان صدق الحقيقة.
* حال أهــل الفنـــاء.
* مقــام رفــع التكليف.



الصديق والقرآن

هذا التلميذ الأول الذى تعلم على يد المعلم الأول ﷺ واستوعب الدرس، فقال له: أنا أعرف نتيجتك، ومبروك، ورسول الله ﷺ أطلعه الله على كل من يدخل جنة الله.

وهذا الكلام ليس كلامنا، فقد خرج ﷺ على أصحابه يوماً ومعه كتاب يمسكه فى يده اليمنى، وقال: «هذا كتاب فيه أسماء أهل الجنة من أولهم إلى آخرهم»، وكتاب آخر فى يده اليسرى وقال: «هذا كتاب فيه ذكر أهل النار بأسمائهم».

وأنتم تعلمون أنه فى ليلة الإسراء، وفى السماء الأولى وجد سيدنا آدم وأناس عن يمينه وأناس عن يساره، فيلتفت عن يمينه ويضحك، ويلتفت عن يساره ويبكى. فقال ما هذا يا أخى يا جبريل؟ قال له: هذا آدم، وهذه نسم بنيه والنسم يعنى الأرواح، أرواح أولاده، فإذا التفت عن يمينه ينظر إلى أرواح أهل الجنة من أمته -أى من أمة سيدنا آدم- حتى يوم القيامة، وليست أمة سيدنا محمد ﷺ فقط. أهل الجنة كلهم من البداية للنهاية، لأنهم كلهم من صلب سيدنا آدم عليه السلام. وإذا التفت جهة اليسار ينظر إلى أهل النار فيبكى.

إذن فهم معروفون من البداية، لأن ربنا قال فى الحديث القدسى: **«هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى، وهؤلاء إلى النار ولا أبالى»**[1]. وهذا بعد خلق الأرواح، وبعد ما أخذ عليها العهد الكريم الفتاح، وجماعة أجابوا وجماعة لم يجيبوا، فالذين أجابوا وقالوا: بلى، قال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى، والذين لم يجيبوا، قال: هؤلاء إلى النار ولا أبالى.

---

(١) أخرجه أحمد والطبرانى عن معاذ رضى الله عنه.

فالصديق الأول رضى الله عنه وأرضاه، لما أخبره رسوا الله ﷺ -ولم يخبره لوحده، فنحن نسمع أنهم عشرة لكنهم أكثر من عشرة. فهؤلاء العشرة ذكرهم فى مرة واحدة، لكنه فى مرات أخرى بشّر آخرين، مرة يبشّر واحد أو واحدة بالجنة غير هؤلاء العشرة. فبشّر رسول الله ﷺ كثير بالجنة، حتى أنه قال لهم: آخر واحد فى الكشف اسمه جهينة، ووقتما يخرج من النار وينهى فترة سجنه ويغسلونه من حوض الكوثر ويدخل الجنة، فأبواب السجن تقفل نهائياً ولا تفتح بعد ذلك، وأبواب الجنة تقفل أيضاً نهائياً لا أحد يدخلها بعد ذلك، ويقال: «عند جهينة الخبر اليقين» لا أحد يخرج بعد ذلك.

فأهل النار سيظلون يتعشمون أن ربنا ربما يرحمهم ويخرجهم، وربما يأتيهم قرار عفو، أو يأتيهم قرار رحمة، أو يأتى تخفيض فى هذه الأحكام إلى أن يخرج جهينة يقولون: قد وقعت الواقعة وانتهى الأمل، لماذا؟ يقولون: خالدين فيها أبداً والباقين ما شأنهم؟ انتهى أمرهم، هؤلاء لهم تأبيدة، لن يخرجوا منها أبداً، يقولون: ياليتنا قلنا لا إله إلاّ الله ولو مرة لأن الذى قالها مرة واحدة ولو بلسانه سينهى الحكم الذى عليه ويخرج إلى الجنة، لكن الذى لم يقلها كيف يخرج؟ خالدين فيها أبداً-.

فالرسول بشّره بالجنة -وليس هذا فقط، بل أتى فى ليلة الهجرة وهو فى طريقه إلى الغار، وكان يمشى على أطراف أصابعه حتى لا يظهر أثر قدمه للكفار، وقد كانوا مميزين فى اقتفاء الأثر. لما تعب غاية التعب، حمله سيدنا أبو بكر على أكتافه إلى أن وصل باب الغار، وقال له: انتظر، هذا الغار لم يدخله أحد منذ زمن، ومن الجائز أن يكون به ثعبان أو عقرب، فأنا أدخل أولاً، فأنا لو متّ فأنا رجل واحد، ولكنك لو متّ مات هذا الدين كله، ودخل وسدّ الجحور. بعدما دخل قال النبى ﷺ: «اللهم إنى قد رضيت عن أبى بكر فارض عنه».

فنزل جبريل عليه السلام وقال له: «أبشر يا رسول الله فإن الله عز وجل قد رضى عن الصديق كما رضيت عنه». قال له: أريد أن ينزل هذا الكلام فى القرآن

لأنه الحجة الثابتة. ففوراً نزل قول الله عز وجل: **﴿فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله إذا تردى إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلاّ الأشقى الذى كذّب وتولى وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلاّ ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى﴾**[2].

(سيجنبها الأتقى) هذا الأمان، (ولسوف يرضى) فيه الرضا. ماذا تريد يا أبا بكر؟ هذا كتاب ينزل من الوهاب فيه الأمان، وفيه الرضا من الرحمن، أنه ليس له شأن بجهنم، وأنه أيضاً سيرضى.

وقد قال أيضاً رسول الله ﷺ: «سنبعث هكذا يوم القيامة إن شاء الله» مع بعض.

أيوجد بعد هذا بشرى؟

والواحد منا لو رأى فى منامه من يقول له: مبروك عليك الجنة، يقول: خلاص لن أصلى ولن أصوم بعد ذلك، فقد ضمنت الجنة. لكن هذا كتاب من الله، وبشرى من رسول الله ﷺ، وبشرى بعد بشرى، ويرجع مرة أخرى ويقول: «لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدماى فى الجنة».

أيضاً أنا أخاف لو كانت قدم فى الداخل والأخرى فى الخارج، وأكون غير مطمئن، فمن الجائز بعدما أدخلت قدمى يقول لى: اخرج منها. ماذا أقول له؟

﴿لا يسأل عما يفعل﴾[3].

فهو يعلّمنا لأنه تعلم الدرس من المعلم الأول ﷺ الذى هو الخوف من الله عز وجل.

---

(٢) سورة الليل: الآيات ٥: ٢١.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

الصديق الأكبر إمام أهل الفنـــاء

وهذه منزلة أخرى تبوأها الصديق فى القرآن فى قول الله تعالى: **﴿أو من كـان ميتاً فأحييناه وجعلنـا له نوراً يمشى به فى النـاس﴾**[4]. لـقـد نزلت هـذه الآية فى سيدنا أبى بكر رضى الله عنه ولذلك قال فيه ﷺ: **«من أراد أن ينظر إلى ميت يمشى على ظهر الأرض فلينظر إلى أبى بكر»**.

فهو ميت لكنه يمشي ويتحرك: وهـل هنـاك بين أصـحاب رسـول الله ﷺ من نزل فى هذا المقام غير أبى بكر؟

نعم هناك كثير من أصحاب رسول الله ﷺ نزلوا فى هذا المقام ومنهم سيدنا طلحة الخير بن عبد الله الذى أبلى بلاءً حسناً فى غزوة أحد دفاعاً عن سيدنا رسول الله ﷺ فقد كان يقيه بنفسه ويتلقى بصدره سهام الكفار ليمنعها عن رسول الله ﷺ .ماذا قال رسول الله فى شأنه؟ وما الوسام الذى تفضل عليه به؟ —ورسول الله ﷺ أعطاه الله عز وجل أن يفيض على الأخيار مقامات القرب من الواحد القهار فقال ﷺ فى ذلك: **«الله المعطى وأنا القاسم»**[5]— قال ﷺ بعد أن قرأ قول الله تعـــالى: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾**[6] **«أشهد يا طلحة أنك ممن قضى نحبه»**[7]. وقضى نحبه أى مات، وكيف يعد ميتاً مع أنه مازال حى؟

مقام الفنـــاء

هذا هو الأمر الذى نريد أن نبينه ونفصله وهو مقام كريم يسميه السادة الصوفية مقام الفناء.

---

(٤) سـورة الأنعـام : الآية ٢٣.

(٥) رواه الشيخان وأحمد عن معاوية.

(٦) سـورة الأحزاب : الآية ٢٣.

(٧) رواه أبو يعلى وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر عن عائشة.

وما مقام الفناء؟

وكيف يتحقق الإنسان بمقام الفنـاء حتى يأخـذ الحيـاة الباقيـة من البـاقى عز وجل؟

مقام الفناء معناه أن تموت النفس أى تفنى عن نوازعها الشريرة، وعن إرادتها السيئة، وعن أخلاقها القبيحة، وعن طواياها التى لا تليق بالمؤمنين وتحيا بأخلاق الله وتحيا بأخلاق سيدنا رسول الله ﷺ، وتحيا بأنوار كتاب الله عز وجل، وتحيا بأنوار ذكر الله.

هذا باختصار شديد مقام الفناء.

فكل إنسان منا فيـه نفس تسمى النفس الأمارة، والنفس الأمارة لأنها نفس غدّارة ذكرها الله عز وجـل على لسـان امرأة ليبين لنـا أنهـا نفس قبيحة ويجب أن نعالجها حتى تخرج من غفوتها **﴿وإن النفس لأمـارة بالسـوء إلا من رحم ربـى﴾**[٨] والنفس الأمارة هـذه هى التى تحتاج منـا الجهـاد الأعظم لأن جهـاد الأعـداء قد يكون أسهل منها لأنه وجهاً لوجه، لكنها فى داخلى وتعيش فىّ وتوسوس وتزيّن لى **﴿زين للناس حب الشهوات﴾** من الذى يزين لهم؟

النفس الموجودة فى داخلهم هى التى تزين لهم حب الشهوات، والشهوات هى: **﴿من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة﴾** ومثلها الآن السيارات الفارهة فهى المقصودة بالخيل فى الزمن الذى نحن فيه الآن **﴿والأنعام والحرث﴾**.

ماهذا يارب؟ **﴿ذلك متاع الحياة الدنيا﴾**[٩].

ومادام هذا متاع الحياة الدنيا فالمؤمن لا يجب أن ينشغل به عن الله عز وجل.

---

(٨) سورة يوسف : الآية ٥٣.
(٩) سورة آل عمران : الآية ١٤.

موقف المؤمن من الدنيــا

وهل نترك هذه الأشياء؟ لا.

فلو تركناها نصبح مخالفين لأوامر الله لأن الذى سيأخذها أعداء الله ويتحكمون فى رقابنا، ويسيطرون علينا. وهذا لا يرضى الله سبحانه وتعالى، ولا رسوله ﷺ. فإن رسوله ﷺ عندما ذهب إلى المدينة ما أول خطوة فعلها فى الحياة الاقتصادية الإسلامية؟

لم يكن فى المدينة غير سوق واحد، وهذا السوق يسيطر عليه اليهود فيتاجرون ويبيعون فيه وغيرهم يأتى للشراء، فكان السلاح والذهب والتجارة بأصنافها وأنواعها فى أيدى اليهود.

فأول شيء فعله رسول الله ﷺ بعد انتقاله إلى المدينة أن أقام سوقاً للمسلمين ووجّه تجار المسلمين أن يسيطروا هم على اقتصاديات السوق، لأنه إذا كانت البضاعة فى أيدينا فلا أحد يصبح له فضل علينا وقد كان يقول ﷺ فى دعائه: «اللهم لا تجعل لكافر يداً علىّ فأكافئه بها».

فالمسلم لا يتخلى عن الدنيا لكن الدنيا عندنا وعند الله أصناف:

فهناك دنيا مذمومة، ودنيا مكروهة، ودنيا محبوبة يحبها الإنسان ويحبها الله أيضاً. فالدنيا المذمومة هى التى يتحايل الإنسان فيها وينصب على الناس فيها من أجل الحصول على رزقه الذى قدّر له، ولا يبالى فى أمر تحصيله أمن حلال أم من حرام. وقد انتشر هذا الوباء فى هذا الزمان الذى نحن فيه الآن.

وهذه الدنيا مذمومة لأنها لا تنفع صاحبها فى الدنيا ولا فى الآخرة، ففى الدنيا سيجمع المال كله، ويرحل عنها ويتركه كله، ويتنعم به غيره، ويحاسب هو عليه كله؛ لأنه الذى جمعه فسيسأل عنه: من أين جمعته؟ أمن حلال أم من حرام؟ فهذه هى الدنيا المذمومة وهى التى لا يراقب الإنسان فيها الحل ولا الحرمة.

أما الدنيا المكروهة فهى التى تشغل المرء عن طاعة الله، وعن ذكر الله، وتجعل العبد يضيّع وقته فى الغفلة والمباحات والراحات.

وأما الدنيا المحبوبة فهى التى يستعملها العبد فى الوصول إلى مراضى الله عز وجل، والإقبال على عبادته وطاعته، فتكون وسيلة يتقرب بها إلى الله، وينال بها رضاه، ويصل بها إلى السعادة فى جوار حضرة الله وفيها يقول ﷺ:

«لكل شىء أساس، وأساس هذا الدين المطعم الحلال»[١٠].

ورع الصديقين

فمفتاح الصلاح هو الورع ولذلك عندما ذهب رجل إلى رسول الله ﷺ وقال له: أريد أن أكون مستجاب الدعوة.

لم يقل له ﷺ: صلى كذا ركعة أو اقرأ القرآن لمدة كذا من السنين أو الشهور ولم يوجهه إلى ما يشبه ذلك من العبادات والقربات بل قال له:

«أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة»[١١].

فالذى يريد أن يكون ولياً لله، وأولياء الله **﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾**[١٢]، ينصحه رسول الله ﷺ بشىء سهل جداً إذا فعله يكون ولياً لله، وهو أن يتحرى المطعم الحلال.

فمادام الإنسان يتحرى المطعم الحلال ويبتعد عن الشبهات فإنه يصبح ولياً من أولياء الله عز وجل عندما يقول يارب يقول له: لبيك عبدى ماذا تريد؟

فهذا سيدنا جعفر الصادق رضى الله عنه وأرضاه يقول: ما احتجت إلى شىء إلا وقلت: يارب عبدك جعفر يريد كذا، فما أستتم كلامى إلا وأجد هذا الشىء بجوارى، لماذا؟

---

(١٠) خرّجه الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما.
(١١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس رضى الله عنه.
(١٢) سورة الزمر: الآية ٣٤.

﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾[١٢].

كيف وصلوا إلى هذا المقام؟

بتحرى المطعم الحلال، فلا يزال أحدهم يترقى فى هذا الأمر حتى يعطيه الله كشّافاً فى يده، فعندما تمتد يده إلى الحرام يضىء الكشاف الضوء الأحمر فيعرف أن هـذا الطعـام فيـه شبهـة، ومن هؤلاء الرجال الأفذاذ: الحارث المحاسبى رضى الله عنـه.

لماذا سمّوه بالمحاسبى؟

لأنه كان يحاسب نفسه على الحلال وعندما تمتد يده إلى طعام فيه شبهة يضرب فى يده عـرق ويظل يضرب فيعرف أن هـذا الطعـام فيـه شـبهة فيمتنع عن أكله، وكذلك لما أراد رجل أن يختبر سيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه -وهو من القوم الذين قال فيهم الله: **﴿وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾**[١٣]- فدعاه إلى طعـام، وأتى بدجاجـة فخنقها وسـوّاها ووضعها أمامه ونظر إليـه ليرى ما يفعل. فإذا به رضى الله عنه ينتفض ويقوم وهو يقول: إذا كان الحارث المحاسبى له عرق ينفض فأنا كلى عروق تنفض.

وأيضـاً هـذا الرجـل الصـالح الذي دعاه السلطان هو وإخـوانه وأمـر الطهـاة أن يخلطوا اللحم، فيجعلوا اللحم الحلال مع اللحم الذى ذبح على الطريقة الغير شرعية، ومدّت الموائد، وجلس الجنـد وجلس الصوفية، فقـام الشيخ وقال لمريديه: لا أحد يأكل منكم اليوم حتى أكون أنا الذى أنا وله، فأخذ يلتقط اللحم المذبوح على الحلال ويعطيه لمريديه، ويترك اللحم الخبيث للجند الذين أجلسهم السلطان يأكلون معهم فسألوه كيف عرفت هذا من ذاك ولا فرق ظاهر بينهم؟

فقـال: كنت أشم للحم الذى لم يذبح على الطريقـة الشرعيـة رائحـة كـريهـة كرائحة الجيفة فأعلم أنه لا يصلح لمسلم تناوله.

---

(١٢) سـورة الزمر : الآية ٣٤.

(١٣) سـورة الأنعـام : الآية ١٢٢.

من أين هذا الحال العالى؟

من الورع الذى يجب أن يكون عليه العبد الصادق، والسالك الصوفى وهو الذى يقول الله عز وجل فى شأنه: **﴿فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾**(١٤)، وكذلك الذى يريد أن يكون عابداً لله عز وجل أعطاه رسول الله ﷺ برنامجاً صغيراً فى كلمتين اثنتين حيث قال له: **«اتق المحارم تكن أعبد الناس»**(١٥).

فإذا كنت تريد أن تكون أعبد من فى الوجود، فابتعد عن الحدود التى حددها لك الملك المعبود عز وجل، فكل الذى أمرك أن تتركه وتتخلى عنه وتبتعد عنه فابتعد ولا تتردد فى ذلك لقوله عز وجل: **﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾**(١٦).

الورع أول مقامات الفناء

فالصديق الأكبر رضى الله عنه. كيف وصل إلى هذا الحال؟

بالورع والمطعم الحلال ولذلك لما دخل منزله ذات يوم وقد اشتد به الجوع، والبيت ليس به شيء وكان الخادم معه كعكتين، فمن شدة جوعه أكل لقمة بدون سؤال، وكان يسأل قبل ذلك من أين أتيت به؟

وبعد الأكل سأل الخادم من أين أتيت بهاتين الكعكتين؟

فقال الخادم دعانى النّفر الذين كنت عندهم فى الجاهلية لوليمة عرس، وقد طلبوا منى أن أتكهّن لهم فأجبتهم فأعطونى ما تيسر، فأكلت منه حتى شبعت، وبقيت هاتين.

---

(١٤) سورة الرعد : الآية ١٧.

(١٥) رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(١٦) سورة الطلاق : الآية الأولى.

فحاول الصديق إنزال ما دخل إلى جوفه فلم يتمكن، فأخذ يشرب الماء ليتمكن من إخراجه، فلما وجد ما حوله معاناته قالوا له: إن الله لم يكلفك بهذا.

فقال رضى الله عنه: والله لو لم تخرج إلاّ مع نفسى الأخير لأخرجتها.

لماذا؟

لأن لقمة الحرام يشعر بتأثيرها العبد المؤمن التقى، وأيضاً لقمة الحلال يجد أثرها ونورها، فلقمة الحلال لها نور يشعر به الإنسان عندما يأكلها فيزيد نوره ويشعر وكأنه خارج من حلقه ذكر عظيمة مع الله عز وجل. أما لقمة الحرام فتترك ظلمة فى القلب فى الحال والرجل المؤمن الذى يريد أن يصل إلى مقامات المقربين، يوقد نار الجهاد، ويكثر من ذكر الله عز وجل ليجلى القلب ويطهره من أجل أن يتنزل نور الله عز وجل فيه، فإذا كان يقوم بالجلاء من هنا، وتأتى الظلمة من ههنا لم يكن صنع شيئاً، لأنه ليس عنده وقت، فالوقت عندهم كما قال الإمام الشافعى رضى الله عنه عندما صحب الصوفية: «صحبت الصوفية سنتين فاستفدت منهم كلمتين: أما الأولى: فالوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، وأما الثانية: فنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل وهكذا فحتى أئمة الشريعة كانوا يدخلون مدارس الصوفية ليتعلموا منهم هذه الحكمة الإلهية فى السلوك إلى حضرة المعبود عز وجل فلقمة الحرام لها ظلمة تطفىء النور، والإنسان المؤمن يريد المزيد من نور الله عز وجل، ويرغب أن يستكثر من نور الله سبحانه وتعالى، فلا يريد أن يطفىء عليه شىء نور ورعه أبداً، أو يطفىء نور الصدق الموجود فى قلبه، أو يطفىء نور التّقى والإيمان.

ونور الإيمان الموجود فى قلوبنا ليس هيّناً لكنه كبير وكثير وقد قال فيه سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه: «لو كشف عن نور المؤمن العاصى لملأ ما بين السماء والأرض، فما بالك بالمؤمن المطيع؟

إذن فما جليّة الأمر؟

تأتى الظلمات والشبهات والشهوات تغطى على النور، لكن النور فى قاع القلب مستكن وثابت لأنه من فضل الله عز وجل على هذه الأمة أن الله لم يسلط الشيطان على القلوب، ولو سلطه على القلوب لضعنا جميعاً.

فأين وسوسة الشيطان إذن؟

﴿الذى يوسوس فى صدور الناس﴾[١٧]، فهو يوسوس فى الصدور فقط، لكن لا يستطيع أن يدخل إلى القلب، وإلاَّ فكهرباء النور الإلهى تحرقه ونور لا إله إلاَّ الله الموجود فى قلوب الموحدين يصعقه، ولذا فلا يستطيع الدخول إلى هذا المكان أبداً، فقاعدته فى الصدر، ونحن لماذا نذكر الله؟

لأنه عندما تشتد الأنوار، تخرج منها شهب وشواظ من نار تحرق الشيطان فيفر وفى ذلك يقول ﷺ: «**الشيطان يجثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنّس** (توارى) **وإذا غفل وسوس**»[١٨].

جهاد النفس الأمارة بسلطان الشريعة

فالورع والبعد عن المعاصى بالكلية هما بداية الفناء عن الشهوات والحظوظ الدنيوية، ومن الذى يحضّ على هذه الأمور ويحث عليها؟

النفس الأمارة التى أمرنا الله أن نقضى عليها وقال لمن يريدون التوبة ممن قبلنا: **﴿فاقتلوا أنفسكم﴾**[١٩]، أى لابد أن تقتلوا هذه النفس الأمارة وبعد ذلك تتوبوا فيتوب الله عليكم، وبماذا نقتلها؟

بسيف الشريعة، فنتمسك بالشريعة، ونجعل لها السلطان على الجوارح، فيكون لها السلطان على العين، وعلى الأذن، وعلى اللسان وعلى اليدين، وعلى الرجلين، وعلى الفرج، وعلى البطن، وتكون الشريعة هى السلطان على كل مملكتى، فأنت

---

(١٧) سورة الناس: الآية ٥.

(١٨) رواه ابن أبى الدنيا وابن شاهين والبيهقى عن أنس.

(١٩) سورة البقرة: الآية ٥٤.

مملكة كبيرة عند الله عز وجل، وإن كنت لا تدرى بحقيقتك، لكن الله عز وجل سخّر لك ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً، لماذا؟

لأنك لك شأن كبير جداً عنده سبحانه وتعالى.

كل ما فى الوجود سـخّر فضـلاً *** لذاتـك وأنـت للرحمـن

فإذا أردت أن تعـرف قيمتـك فانظر إلى كل هـذا فهو لك وأنت لمن؟ لله عز وجل لأنه لا يوجد شىء منها يحتاجه الله عز وجل، فهو غير محتاج للشمس ولا للقمـر، ولا البحار، ولا الأنهار، ولا الأرض، ولا الجبال، لكن الذى يحتاجها أنت ولذا فقد سخّرها لك، وأنت لمن؟

أنت عروس الحضرة لأنك مطلوب لرب العالمين عز وجل اختارك الله ليسكنك جنته،وليُنيلك رحيق شهادته، وليمتعك بالنظر إلى وجهه الكريم حتى تكون كما قال سبحانه وتعالى: **﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾**[٢٠].

التمسك بالشريعة برهان صدق الحقيقة

فأمسك سلطان الشريعـة وعصـا الشريعة وسيف الشريعـة فى كل أنفاسـك فلا تتحـرك حركة، ولا تسكن سـكنة إلاَّ بعـد أن تسـتأذن أولاً الشريعـة، أعمل أو لا أعمل. فإذا صرّحت الشريعة فأعمل وأنا مطمئن القلب أما إذا لم تصرح الشريعة فأترك العمل فوراً، حتى ولو كان عن كشف لأنه إذا خالف كشفك القرآن والسنة فاضرب به عرض الحائط، وقل لنفسك إن الله عز وجل ضمن لى العصمة فى القرآن والسنة ولم يضمنها لى فى الكشف فهذا سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه وأرضاه كان جالسـاً فى خلوته فرأى نوراً من السـماء إلى الأرض وسمع قائلاً يقول من وسط هذا النور: عبدى عبد القادر.

قال: لبيّك سيدى.

---

(٢٠) سورة القيامة : الآيتان ٢٢، ٢٣.

قال: إنى قد أبحت لك المحرمات.

قال: اخسأ يا ملعون.

فوجد النور وقد تحول إلى دخان وسمعه وهو يقول:

نجوت منى يا عبد القادر بعلمك وفقهك، كيف عرفتنى؟

فقال: إن الله لم يحرم شيئاً على لسان نبى ثم يبيحه لولى.

-فالتحليل والتحريم انتهى وليس هناك من يحلل أو يحرّم بعد رسول الله ﷺ-.

فقال الشيطان له: يا عبد القادر لقد أخرجت بهذه الطريقة قبلك سبعين رجلاً من العارفين فعندما يقول له: أبحت لك المحرمات، يقول: ربنا أباح لى هذه الأشياء، وأعطانى تصريحاً بفعلها، وهل هذا التصريح أخذه سيد الأولين والآخرين؟! كلاّ!.

إذن كيف أدعى هذا؟

فلابد من سيف الشريعة لمن أراد أنوار الحقيقة ولذلك فقد ورد أن سيدى أبا اليزيد البسطامى رضى الله عنه وأرضاه سمع أن رجلاً فى بلدة قريبة منه موسوماً بالصلاح فأخذ أحد تلامذته وقال له: تعالى نزور هذا الرجل الذى اشتهر بالصلاح.

فذهبا إلى البلدة وبالسؤال عنه علما أنه يؤم الناس بالصلاة فى مسجد البلدة، وأنه يجلس عادة فى مصلى الإمام، فذهبا إلى المسجد فلم يجداه لأنهما كانا فى غير وقت الصلاة، ولما عاينا مكان جلوسه وجدا فى اتجاه القبلة نخامة (وهى التى يرجعها الأنف إلى الفم لتخرج عن طريقه) فقال أبو اليزيد رضى الله عنه لرفيقه: هيّا بنا فلا حاجة بنا إلى مقابلته. فتعجب رفيقه وقال: ولم؟

فقال رضى الله عنه: إذا كان هذا غير مأمون على حكم من أحكام الشريعة، فكيف يأتمنه الله على أسرار أوليائه؟! والرسول ﷺ يقول «**الله فى قبلة المصلى**»[٢١]، ورفض أن يقابله لماذا؟

---

(٢١) رواه العقيلى فى الضعفاء عن أبى هريرة رضى الله عنه.

لأن العصمة فى اتباع الشريعة، والأمان فى التمسك بالشريعة.

على الجمر قف إن أوقفتـك تواضـعاً
يكن لك برداً بل سـلاماً برحمـة

فلو أن الشريعة طالبتـك بالوقوف على الجمر فقف، وسيحوله الله عز وجل إلى برد وسلام كما صنع مع سيدنا إبراهيم عليه السلام، لماذا؟

ببركة اتباع الشريعة، ومن أجل هذا يقول أحد الصالحين: «حافظ على السنة ولو بشّرت بالجنة» أى حتى لو جاءتك فى منامك بشريات الجنة فالرجل الذى نتكلم عنه هنا وهو الصديق الأعظم رضى الله عنه يقول: «لا آمن مكر الله عز وجل، ولو كانت إحدى قدمى فى الجنة».

فأنا مادام لى نفَس باق فى هذه الحياة، فلا أعرف ماذا قدّر لى فى هذا النفس؟

ولا عصمة إلاّ فى اتباع شريعة الله عز وجل ولذلك قال الشيخ محى الدين ابن عربى رضى الله عنه وأرضاه:

لاتقتـدى بمن زالت شريعته ** ولو جـاك بالأنبـاء عن الله

فحتى لو أخبرك بالأخبار اليقينية عن حضرة الله، فلا تقتدى به، لماذا؟

لأنه ليس إماماً يقتدى به، وإن كان هذا لا يستوجب الاعتراض عليه، لأنه ربما له حال من الوله جعل عقله فى غيبة، والله عز وجل إذا أخذ ما وهب أسقط ما وجب فهو فى هذا المقام ليس قدوة لكنه إذا رجع إلى حال الصحو اقتدى به، أما إذا كان فى حال الغيبة ومن المجاذيب أهل الجذب فمثل هؤلاء لا أعترض عليهم ولا أقتدى بهم لأن أحدهم فى هذا الأمر مغلوب على حاله، ومغلوب على أمره، وهو ليس إماماً للمتقين فى هذا الأمر، أما إمام المتقين الذى نتبعه ونتعلم منه ونتأسى به فهو المقتدى بسيد الأولين والآخرين ﷺ.

حال أهــل الفنــاء

فسيدنا أبو بكر رضى الله عنه وأرضاه كان من أهل الفناء لمَ؟

لأنه لم يعد له حظ ولا شهوة ولا غرض إلاّ رضا الله وطاعة الله، فلا تشتهى نفسه هذه اللقمة أو هذا الطعام أو هذا الشراب بل يأكل ما وجد، ويشكر الواحد الأحد الفرد الصمد، ويعتقد أن الذى يناوله الطعام هو الملك العلام جل جلاله، وأصبح فيما بينه وبين الناس كالأموات، فالميت الذى فى المقابر هل يغتاب أحداً من المسلمين؟ أو يسب أحداً من الموحدين؟ أو ينال بسوء واحداً من المسلمين؟ أو يبدر منه شر لإخوانه المؤمنين؟ كلاّ.

أيضاً هذا الرجل الذى وصل إلى مقام الفناء يقول فيه سيدنا على رضى الله عنه: «أنفسهم عفيفة، وحاجاتهم خفيفة، الناس منهم فى راحة، وأنفسهم منهم فى عناء، شرورهم مأمونة، وأنوارهم مصونة، وعلومهم مكنونة».

لا يخرج منهم شر لفرد من أفراد المسلمين، لا من لسانه، ولا من عينه، ولا من يده، ولا من رجله. ومن أجل هذا وهو فى مرحلة التهذيب -وقد كان يتابعه الأستاذ الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ليربيه ويصفيه- عندما جاء فى يوم من الأيام وأحضر متاعه ومتاع رسول الله ﷺ وحملهما على جمل واحد وهم ذاهبون فى عام صلح الحديبية وأعطى الجمل لولد من الذين عنده، فأضاع الولد الجمل فقال له: جمل واحد ويضيع منك، فماذا كنت تفعل لو كان معك عشرون جملاً؟ ونزل عليه ضرباً وأخذ يسبّه. ماذا قال له المربى الأعظم صلوات الله وسلامه عليه:

«يا أبا بكر أصدّيقين ولعّانين؟! لا يكون ذلك أبداً»(٢٢).

أى أنت تريد مقام الصديقية، إذا لا تشتم أبداً فاللسان قطع عن الكلام إلاّ مع حضرة الله.

---

(٢٢) رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت عن عائشة رضى الله عنها.

وفى الواقعة الثانية: جاء رجل وظل يشتم فيه، ويقبّح فيه فى مجلس، ويعلى صوته عليه وهو ساكت، ولما أكثر من ذلك ردّ عليه ردّاً بسيطاً جداً فقام رسول الله ﷺ وترك المجلس، فقام خلفه وقال يا رسول الله: إنه هو الذى يقول ويعيب، فقال ﷺ: **«كان هناك ملك يجادل عنك ويدافع عنك، فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان، ولا أجلس فى مجلس فيه شيطان»**(٢٣).

فانظر إلى هذا الأدب العالى يقول له لا تدافع عن نفسك أبداً فالذى يؤذيك، والذى يسبّك لا تدافعه عن نفسك، ومن الذى يدافع؟ **﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾**(٢٤). أيوجد أحد منا يستطيع أن يدافع عن نفسه مثلما يدافع عنه حضرة الله عز وجل؟ لأن القوى المتين هو الذى سيرد كيد الظالمين والمعتدين.

فهؤلاء القوم أهل الفناء لم يعد لهم شهوات أو حظوظ أو ملذات إلا فى طاعة الله عز وجل، وحب الله، وحب رسول الله، والاقبال على حضرة الله عز وجل حتى أنه كما تعلمون أحضر كل ما يملك إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ:

وماذا أبقيت لأهلك؟

فقال: أبقيت لهم الله ورسوله [متفق عليه].

بعض الناس يظن أنه فى هذا المقام لم يترك شيئاً لما قال: أبقيت لهم الله ورسوله ولم يلحظ أنه هنا فى مقام كمّل المتوكلين، والمتوكلون يقول فيهم الله: **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾**(٢٥)، وحسبه يعنى كافيه، فيكفيه هم الرزق، ويكفيه مشاغل الدنيا، ويكفيه كل المتطلبات، وكل المصالح مادام متوكلاً على الله.

فلم يحضر الأموال لرسول الله ﷺ، ويترك عياله ضياعاً، ولذا لا يجب على أن أعمل هذا الأمر فى الدنيا إلاّ إذا وصلت إلى هذا المقام. لكن إذا كنت

---

(٢٣) رواه أحمد والشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه.
(٢٤) سورة الحج: الآية ٣٨.
(٢٥) سورة الطلاق: الآية ٣.

لم أصل إلى هذا المقام فإننى أضحك على نفسى وعلى عيالى، وقد أجعلهم شحّاذين ومتسولين فى البلاد لأننى دخلت فى مقام لست مؤهلاً له.

فهذا مقام الصديق الأعظم رضى الله عنه وأرضاه وقد بلغ به الأمر أنه كان يفدى حبيبه بنفسه فقد طلب منه فى الهجرة الشريفة أن ينتظر حتى يستكشف الغار، وإذا بالحية تلدغه وهو فى الغار، والرسول نائم على فخذه وماذا لو أيقظه؟ لكنه الحب، حب الصديق، كيف يوقظ رسول الله؟

مع أنه سيموت، ولكنه يفضل أن يموت ولا يوقظ حبيبه ﷺ.

هذا الحب الذى يعبّر عنه متمثلاً قول القائل:

أحبّك حبّاً لو يفاض يسيرة ** على الناس مات الناس من شدة الحب
وما أنا موفّ بالذى أنت أهله ** لأنك فى أعلى المراتب من قلبى

فلما أصبح هذا الرجل وأهله وماله وعياله وكله لله أصبح متحققاً بقول الله عز وجل -وهذه آية أهل الفناء-: ﴿**قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ولا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾[٢٦]، وإن كنا نقول: وأنا من المسلمين أدباً لأن أول المسلمين سيدنا إبراهيم ونحن خلفه فى الصف.

مقام رفع التكليف

وفى مقام الفناء هذا يوجد مأخذ يأخذه أناس كثيرون على الصوفية تعليقاً على قول بعضهم: «إنى رفع عنى التكليف» وسنوضح هذا الأمر فيما يلى:

هل يوجد أحد يرفع عنه التكليف؟ نعم.

وماذا يقصد الصوفية برفع التكليف؟

(٢٦) سورة الأنعام: الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

يعنون بذلك رفع المشقة والتعب والعناء عن العبد فى أداء العبادات والتقرب بالنوافل والقربات، فيصير يتلذذ بالعبادة، ولا يشعر بثقل فى أدائها، ولا يحس بملل ولا فتور عند القيام بها، لما يجده من حلاوة القرب فيها مع الله عز وجل.

ومن يستطيع أن يصلى فى ليلة ألف ركعة إن لم يكن قلبه مملوء وجداً وحباً لله عز وجل؟ لأن الناس فى شهر رمضان يصلون القيام ثمانى ركعات ويخرجون مسرعين، فكيف يصلى هذا ألف ركعة فى الليل؟

لابد أنه توجد فى قلبه محبة ولذة، وهذه اللذة هى التى ضيّعت التعب والعناء والمشقة فى أداء الصلاة.

فهذا هو الذى رفع عنه التكليف، وليس رفعها بأن يترك الشرع، ولو كان أحد رفع التكليف عنه لقربه من الله لكان أولى بذلك سيدنا رسول الله ﷺ لكنه كان أحرص الناس على أداء الصلاة فى وقتها، وكذلك الصوفية المحققون أجمعون.

فمن يفعل هذا الأمر ويترك الأوامر الشرعية بحجة أنه رفع عنه التكليف فهو من الأدعياء الدخلاء على الصوفية.

فهذا الرجل الذى تاب الله عليه، وصار رجلاً من رجالات القوم وهو الشبلى رضى الله عنه -والذى بلغ من شدة حبه لله أنهم وصفوه بالجنون ووضعوه فى البيمارستان وقالوا عنه: إنه أصيب بخلل فى عقله- وهو فى البيمارستان كان يفعل أحوالاً غريبة فقد ذهب إليه جماعة من إخوانه يزورونه فأبلغه الحرس وقالوا له: أحبابك أتوا لزيارتك، فقال: أين هم؟ فأشاروا إليه نحوهم، فأمسك بالحجارة وأخذ يقذفهم بها، ففروا مسرعين فخاطبهم قائلاً:

كيف تدّعون محبتى ولا تصبرون على بلائى؟

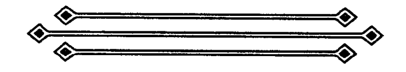
ثم وضّح لهم حقيقة الأمر وقال: هكذا محبّة الله.

كيف يدّعون محبة الله، ولا تصبرون على بلائه؟

فهو يريد أن يعرّفهم أن الذى يدّعى محبّة الله لابد أن يصبر على قضاء الله وأمر الله عز وجل ولا يشتكى لأحد.

هذا الرجل لما حضرت وفاته، وكف لسانه عن الكلام، أشار إليهم أن يوضّئوه فنسى الذى يوضئه تخليل لحيته، فأمسك بيده ووضعها على لحيته ليذكره بتخليل اللحية، فتعجب الحاضرون وقالوا: حتى فى هذه الساعة لا ينسى سنة من سنن الوضوء.

وهكذا فالصوفية الصادقون لا يتركون الشريعة، ولا يتخلون عن السنة طرفة عين حتى يفارقون الحياة الدنيا وهم أكمل الناس قياماً بالشريعة ولذلك جعلهم الله عز وجل أئمة أهل الحقيقة.



القرآن روح حياة العارفين

* لماذا أنزل الله القرآن ؟
* الذكرى والتذكر فى القرآن.
* الإمام عليّ إمام بيان القرآن.
* عِبَر القرآن.
* الرسول والقرآن.
* فائدة الموعظة.
* شفاء القرآن للصدور.
* مرضا الشك والشرك.
* أمراض النفاق.
* شفاء المؤمنين.
* نور القرآن.
* حاجة المسلم للقرآن.



القرآن روح حياة العارفين(*)

﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[1].

لماذا أنزل الله القرآن؟

لأسباب كثيرة، وحكم غزيرة، لا نستطيع أن نلم بها أو نحيط بها فى هذا الإيجاز السريع. ولكن حسبنا ما ذكره ربنا فى تلك الآية: **﴿قد جاءتكم﴾**.

أولاً: (موعظة من ربكم).

ثانياً: (وشفاء لما فى الصدور).

ثالثاً: (وهدى ورحمة للمؤمنين).

إذن كم وظيفة هنا للقرآن؟

ثلاثة.

الوظيفة الأولى: أنه موعظة، وإذا كانت الموعظة من الله فهى الموعظة البليغة التى لاشك فيها ولا مرية فيها، ولا يستطيع أحد أن يعترض عليها أو ينتقدها، لأنها من العزيز الحكيم سبحانه وتعالى.

والحكمة الثانية: أن هذا القرآن هو الشفاء، وهو الصيدلية الإلهية التى فيها كل الأشفية وكل الأدوية لأمراض الصدور. ولست أعنى بأمراض الصدور ما نعرفه مما يصيب الصدر الحسى، كالسل الرئوى أو الالتهاب السحائى أو غيره، وإنما أمراض الصدور هى الأمراض التى تبعد أصحابها عن طريق النور، والأمراض التى تحجب المرضى بها عن العمل بما أنزل الله عز وجل، وهذه أمراض موجودة فى كل زمان ومكان.

(*) كان هذا الدرس ببلدة أبو قرقاص محافظة المنيا بالمسجد الكبير يوم الجمعة ١٩٩١/١٢/١٢ عقب صلاة المغرب.

(١) سورة يونس : الآية ٥٧.

فالإنسان الذى لا يحب سماع القرآن، ما السبب فى ذلك؟

لأنه مريض.

وما مرضه؟

مرض فى صدره.

والإنسان الذى يفرّ من مجالس العلم -كالصورة التى صورها العزيز الحكيم فى قوله: **﴿كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة﴾**[2]. مثل الحمار الوحشى الذى يفرّ من أمام الأسد حتى لا يأكله- لماذا؟

لمرض فى صدره.

والإنسان الذى لا يستطيع أن يقوم لصلاة الفجر فى وقتها، لماذا؟

لأنه يوجد مرض فى صدره.

والإنسان الذى لا يستطيع أن ينفّذ أى جزئية ولو قليلة من شرع الله عز وجل، إنما لمرض فى صدره.

والدواء والشفاء فى كتاب الله عز وجل، ولو أخذ الدواء لتمّ الشفاء، ولابد من الشفاء، لأن الدواء من الله، وهو الذى يعرف الداء وجعل من أجله هذا الدواء ليصبح القلب كما قال الله: **﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾**[3].

فإن صاحب هذا القلب لا يتخلف عن طاعة الله فى نفَس من أنفاسه، بل يريد أن يكون دائماً وأبداً مع مولاه. إما بلسانه يذكره، أو يستغفره، أو يشكره أو يسبّحه، أو يتلو كتابه، وإما بسمعه يسمع العلماء، أو يستمع إلى الحكماء، أو يستمع حتى إلى تلاوة القرآن من المذياع أو غيره، وإما بعينه ينظر فى الآفاق ليرى بدائع قدرة البديع الخلاق عز وجل.

---

(٢) سورة المدثر: الآيتان ٥٠، ٥١.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٨٩.

﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض﴾[٤].

المهم أن يكون دائماً وأبداً فى طاعة مولاه عز وجل، لأن القلب السليم لا يحب أن يلتفت نفساً عن القادر البرّ الرحيم عز وجل.

رالحكمة الثالثة: (وهدى ورحمة للمؤمنين). ونفسر هذه الحكم على قدرنا، لا على قدر كلام ربنا عز وجل، فإن الكل يتكلم فى كتاب الله، والمفسرون من أول رسول الله ﷺ إلى عصرنا وإلى نهاية الحياة، الكل يقول، والكل يؤوّل، والكل يفسر، والكل يوضح، والكل يشرح، ومع ذلك يقول ﷺ:

«يأتى القرآن يوم القيامة بكراً لم يفضض بكارته أحد»[٥].

يعنى لم يستطع أحد أن يصل إلى المعنى الأصلى الذى من أجله صاغ الله هذه الكلمات والعبارات. لأن كلام الله لا نهاية لمعناه ولا يستطيع أحد أن يحيط ببعض معناه إلاّ إذا أفاض الله عز وجل عليه علماً لدنياً.

الذكرى والتذكر فى القرآن

فالقرآن كتاب موعظة ﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم﴾، لأنه لا يوجد كتاب يا إخوانى ذكّر الإنسان ببدايته ونهايته، والهدف من وجوده فى هذا الكون إلاّ كتاب الله عز وجل.

فيعرفه ما هى بدايته؟ وما هى نهايته؟ وبالذى جاء هنا من أجله، حتى يسارع الإنسان إلى الرحمن عز وجل.

إذا عرف بدايته كما وضّحها الله عز وجل فى كلامه، وعرف نهايته كما بيّنها الله عز وجل فى قرآنه، وعرف لماذا خلقه الله عز وجل فى هذه الحياة؟ سيفهم المغزى الكبير، والمعنى الكبير الذى من أجله جاء هذا الكتاب من العلى الكبير،

---

(٤) سورة يونس : الآية ١٠١.
(٥) رواه ابن حبان.

حتى يوقظه من نومة الغفلة، وحتى يوقظه من رقدة الجهالة، وحتى يذكّره بما قدّره المولى عز وجل له فى الأزل.

فإذا عرف الإنسان علم البدء، وعلم المعاد، والحكمة من خلق الإنسان، لا يستطيع شيطان أن يستولى عليه، ولا يستطيع شىء من زهرات الحياة الدنيا أن يلهيه، لأنه عرف الحقيقة الغائبة التى لا توجد إلاّ فى كتاب الله عز وجل.

من الذى يستطيع أن يتكلم عن علم البدء؟

لم يره أحد، ولم يعرفه أحد، ولا يستطيع أحد أن يتكلم عنه إلاّ من القرآن وبالقرآن.

من الذى يستطيع أن يتكلم -كما سمعنا- عن الواقعة وكيف سيحيى الله الإنسان بعد موته؟ وكيف يحاسبه؟ وكيف يمرّ على الصراط؟ من الذى يستطيع أن يتكلم إلاّ من كتاب الله وبكتاب الله عز وجل؟

من الذى يتكلم عن النعيم الذى أعدّه الله لعباده الصالحين، وعن الجحيم الذى أعدّه للعصاة والمذنبين إلاّ الذى قرأ كلمات العزيز الرحيم، وتدبّرها وفقهها؟

هذا هو الذى يستطيع أن يتكلم عن هذه الأحوال، وهذه غير موجودة إلاّ فى كتاب الله عز وجل.

وهذا يا إخوانى الذى من أجله أمرنا الله أن نكرر ونتلوا كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، لأن هذه الأحداث أين نجدها؟ فالصحف والمجلات تأتى بأحداث اليوم فقط، لكنها لا تستطيع أن تأتى بأحداث القرن القادم، ولا أحداث الساعة، ولا أحداث القيامة.

لكن القرآن (فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم). فيه كل هذه الأشياء، حتى كان الرجل من الصالحين يذهب إليه المريدون يسألونه عما حدث فى العالم اليوم، فيقول: انتظروا حتى أقرأ كتاب الله عز وجل، فيقرأ كتاب الله، وبعدما ينتهى من التلاوة يقول: حدث فى بلد كذا كذا، وحدث فى دولة كذا كذا.

من أنبأك هذا؟

يقول: **﴿ نبّأني العليم الخبير ﴾**[٦]، **﴿ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها﴾**[٧].

حتى قال الإمام علىّ رضى الله عنه وكرّم الله وجهه: «لو ضاع منى عقال بعير، لوجدته فى كتاب الله عز وجل». فلا يحضر ميكروفون يدور فى الشوارع أو منادياً ينادى، أو يبلّغ الأمن والشرطة.

ماذا يفعل؟

يقرأ كتاب الله فيهتدى إلى المكان الذى سقط فيه هذا الشيء الذى يبحث عنه بهداية الله عز وجل.

الإمام علىّ إمام بيان القرآن

فالقرآن الكريم حياة القلوب، ونور النفوس، وإمام المتقين، والمائدة العظمى التى يتنزل فيها العلم والخير، واللطف والقرب من الله لعباده المقربين.

والمقربون إنما قربهم من معانى القرآن التى يكاشفهم بها حضرة الحنّان المنان. والأولياء هم الذين والوا القرآن، فعملوا بالأوامر التى طلبها منهم صاحب القرآن عز وجل. والحكماء هم الذين عملوا بخصوص الحكمة القرآنية، فأكرمهم الله عز وجل بالعلوم الوهبية التى ادخرها لمن عمل بآيات الذكر الحكيم. وأهل الخصوصية هم الذين خصّوا بالفضل العظيم، والكرم العميم الذى ادخره الله لعباده المؤمنين فيما بين آيات كتاب الله.

وأفضل أهل الخصوصية على الإطلاق الإمام علىّ رضى الله عنه وكرّم الله وجهه، وفضله جاء من ماذا؟

---

(٦) سورة التحريم: الآية ٣.

(٧) سورة الكهف: الآية ٤٩.

من معاملته لله مع كتاب الله، حتى بلغ به الأمر أن كان يقول: «لو ضاع منى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله عز وجل».

وسرّ خصوصيته -رضى الله عنه- كشفه لبيان الله، بياناً تسجد له العقول، وتخضع له القلوب، وتنحنى له الجباه، لأنه بيان يرتضيه الإنسان صافى القلب، طاهر اللب، عند سماعه منه رضى الله عنه وأرضاه. وكان يقول: «لو فسّرت فاتحة الكتاب بما أعلم لوقرتم منها سبعين بعيراً». أى لو فسّر الفاتحة بما فتح الله عليه، والكتبة يكتبون، كم من المقدار يكتبون؟ يكتبون ما يحمّل سبعين جملاً من الكتب فى تفسير فاتحة الكتاب. هذا هو كتاب الله، وهذا هو إمام الصوفية مع كتاب الله عز وجل.

فالقرآن فيه الموعظة البليغة، والمواعظ كثيرة: فيه موعظة من علم البدء، بداية الإنسان سواء بدايته النورانية أو بدايته الطينية، لأنه له بدايتان: بداية الأرواح وبداية الأجسام. أو علم الميعاد بتفصيلاته، سواء علم الموت (ومن لم يجد واعظاً فالموت يكفيه)، فقد قال ﷺ: **«كفى بالموت واعظاً»**[٨].

فلم يستطع أحد أبداً أن يشخص الموت، لا من العلماء ولا من الأطباء، كما شخصه كتاب السماء الذى أنزله الله على سيد الأنبياء ﷺ. أو الحياة الأخرى، حياة البرزخ التى سيعيش فيها الإنسان ليوم الدين، أين تفصيلاتها؟ فى كتاب الله فقط. أو الحياة الآخرة من البعث والحساب والنشور إلى الخلود فى جنة يدوم نعيمها أو نار لا ينفك عذابها، هذه مواعظ.

عبر القرآن

وتوجد مواعظ أخرى وهى عبر من الذى حدث للأمم السابقة، كالذى حدث لأمة نوح، والذى حدث لأمة هود، والذى حدث لأمة صالح، والذى حدث لأمة شعيب، والذى حدث لأمة لوط، والذى حدث لأمة موسى.

(٨) رواه الطبرانى والبيهقى والقضاعى والعسكرى عن عمار بن ياسر رضى الله عنه.

لماذا ذكرها ربنا؟

﴿لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب﴾[٩].

عبرة لنا حتى نعتبر، لا لنقرأها على أنها قصص فقط. حتى القصة التى يحب القراء قراءتها لنا، قصة سيدنا يوسف عليه السلام، يحبون دائماً قراءتها والإطالة فيها، وهى فيها عبر لو كشف عنها الغطاء، لظل الإنسان من وقته إلى أن يلقى الله ساجداً لله عز وجل على ما أعطاه، ففيها عبر كثيرة جداً. وهذه مواعظ موجودة فى كتاب الله عز وجل المفروض أن نقرأها.

الرسول والقرآن

فالرسول ﷺ، وهو الذى أنزل عليه الكتاب والذى اتعظ وانزجر، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، عندما قرأ سورة واحدة من هذه المواعظ –وليس القرآن كله– وقرأ بعدها عدة سور قصار، قال:

«شيبتنى هود وأخواتها».

كيف شيّبته؟

كان شعره شديد السواد، وعندما قرأ سورة هود وأخواتها –وهى تبارك الملك، وإذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وهن اللائى يقول فيهن رسول الله ﷺ: **«من أراد أن يرى القيامة رأى العين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت»**[١٠].

فالذى يرغب أن يرى فيلم القيامة أمام عينيه دائماً فى الفيديو، يقرأ هاتين السورتين: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت. لأن فيهما مشاهد القيامة بالضبط وبالتفصيل.

---

(٩) سورة يوسف: الآية ١١١.

(١٠) أخرجه أحمد والترمذى وحسّنه والطبرانى والحاكم وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر.

فلما قرأ هـذه السور شاب شـعر رأسه، وأحصوا له سبع عشرة شـعرة بيضـاء فى مقـدمة رأسـه من الخـوف من الله عز وجل، ومن الخشية من الله عز وجل، ومن الرهبة من مقام الله عز وجل لما قرأ هذه السور العظيمة. لماذا؟

السورة الأولى: سورة هود، تتكلم وتحكى عن الأنبياء السابقين، وكل ما ينتهى جماعة يأتى التقرير من رب العالمين: ﴿ **ألا بعـداً لعـاد قـوم هـود**﴾[١١]. لحظـة ما يسمع ذكر البعد يشيب الشعر. ﴿ **ألا بعداً لثمود**﴾[١٢]. أيضاً يسمع ذكر البعد يشيب الشعر.

فى النهاية قال له: لا تكن مثل هؤلاء القوم.

قال: ماذا أفعل؟

قال: ﴿**فاستقم كما أمرت**﴾[١٣]. أى سر مستقيماً.

وإذا كان يقول لرسول الله سر مستقيماً، فنحن أين نذهب؟ رسول الله بذاته الذى لم يتحول ولم يتغير عن الله طرفة عين، يقول له: (استقم)، أنا وحدى؟ قال: لا، (ومن تاب معك) أوصهم بالاستقامة. معناها أنهم إن لم يستقيموا فقد رأيت ما حدث للأقوام الذين قبلهم من البعد.

فلما يقرأ هذه القصص ينتبه لهذه المواعظ الغالية، ويعلمنا كيف ننتبه إليها حتى لا نقع فيما وقعت فيه الأمم السابقة.

خـوف بعـدى فى القرب نار جحيمى ****** شـيّب الرأس سرّه أعيـانى

وإذا كان المؤمن مع الله، ويسمع ما حدث لعباد الله الذين أبعدهم الله. فيخاف، لماذا؟

لأن الله ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾[١٤].

---

(١١) سورة هود: الآية ٦٠

(١٢) سورة هود: الآية ٦٨.

(١٣) سورة هود: الآية ١١٢.

(١٤) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

فائدة الموعظة

هذه هى الموعظة، فالموعظة فائدتها تجعل الإنسان يخاف من الله، ويراقب الله ويخشاه، وينتهى عن المعاصى التى حرمها الله، ويقبل على الصالحات التى فرضها الله عز وجل. هذه هى فائدة الموعظة.

لكننى أقرأ فى الكتاب كل يوم وكل وقت وكل حين، ولا يوجد مانع بعد قراءة الكتاب أن أنصب على إنسان، أو أغشه. وهذا لا ينفع لأن الكتاب قراءته تورث الخشية من الله عز وجل، هذه هى القراءة التى فيها الموعظة. هذه موعظة علّمها لنا رسول الله نتعظ بها، إذا قرأنا كتاب الله، وقرأنا ما حدث للأمم السابقة مع أنبياء الله ورسل الله عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

وما القسم الثانى الذى شيب رسول الله؟

ذكر القيامة التى قال فيها: **«من أراد أن يرى القيامة رأى العين، فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت»**[١٥].

فلما يتذكر الإنسان القيامة، ويتذكر يوم الحساب، وأن كل شىء فعله فى دنياه بلسانه أو بيده أو بعينه، أو بأذنه أو برجله سيحاسبه الله عليه يوم الدين، هنا سيحدث عنده خوف من الله عز وجل، وخشية من الله عز وجل.

هذه بعض أنواع المواعظ التى كشفها لنا ربنا سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز. إذن نحن نستفيد أننا عندما نقرأ القرآن، وحتى نتعظ بالقرآن نقرأ قصص السابقين، ونرى ماذا حدث لهم؟ ونرى ما يستوجب غضب الله عز وجل عليهم، فنبتعد عنه.

لم غضب ربنا على قوم لوط؟ لفعلهم اللواط، فنبتعد عن اللواط.

لماذا غضب الله على قوم شعيب؟ لأنهم كانوا لا يوفون الكيل ولا الميزان، فنوفى نحن الكيل والميزان.

---

(١٥) سبق تخريجه ص ٢٧١.

لماذا غضب الله على قوم موسى؟ لأنهم كانوا يحبون الدنيا ويؤثرونها على حب المولى عز وجل، ومن أجل هذا يريدون أن يسير الدين على هواهم، ولا يسيرون على نهج الدين. أهم شيء عندهم الدنيا، فيجدون جماعة يعبدون أصناماً فيقولون: **﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾**(١٦).

يكرمهم ربنا ويؤكلهم ويشربهم ويجعلهم مثل الذى فى الجنة، سائرون والسحاب يظلهم من حرارة الشمس، والأكل ينزل لهم مشوياً جاهزاً، لحم السمان مشوياً جاهزاً ومعه صنف من الحلوى كأصناف الحلوى التى بالجنة، ومعهم دائماً الماء كلما عطشوا، اثنا عشر صنبوراً لاثنى عشر عائلة، كل عائلة تشرب حتى ترتوى إلى ماشاء الله، ومع هذا لم يرضوا عن الله عز وجل ويقولون: نريد أن نذهب إلى مصر لنأكل عدساً وبصلاً وثوماً، وهذا طعام أرضى، لأنهم آثروا الدنيا على تعاليم الله وعلى أحكام الله، فنزل عليهم غضب الله عز وجل.

وكلما أرسل الله إليهم من يعظهم يكذبوه، وأحياناً يلعنوه وأحياناً يقتلوه، ماذا تريدون؟

﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾(١٧).

فلا نقع نحن فى هذا الخطأ.

فالإنسان حينما يقرأ قصص الأنبياء يقرأها ليتعظ ويعتبر، ويرى الأخطاء التى وقع فيها قومهم فيجنب نفسه هذه الأخطاء، فلا يتعرض للعقوبات التى أصدرها عليهم الله عز وجل، وجعلها قواعد ثابتة إلى يوم الدين.

ولما يقرأ آيات القيامة يتخيل ويستحضر منظر القيامة ويعيش فيها، ويتذكر أنه سيسافر من هنا إن آجلاً أو عاجلاً. وعندما يسافر سيدخل إلى مسرح القيامة فوراً، فالبوابة التى هى البرزخ يمكث فيها إلى ماشاء الله، إلى أن يتحول إلى أرض

---

(١٦) سورة الأعراف : الآية ١٣٨.
(١٧) سورة الأعراف : الآية ٧٩.

المحشر إن شاء الله. ويستحضر ما الذى فيها؟ وما شكلها؟ فلما يستحضر هذه الأشياء يخشى الله عز وجل.

هذه يا إخوانى الموعظة التى جاءت لنا فى كتاب الله عز وجل.

شفاء القرآن للصدور

ننتقل إلى الناحية الأخرى: (وشفاء لما فى الصدور).

القرآن هو الشفاء، ولم يقل دواء، لأنه لو قال دواء فالدواء من الجائز أن يشفى ومن الجائز أن يزيد المرض. فإذا كنت مريضاً وذهبت إلى الطبيب وأعطانى علاجاً، أحياناً أشفى وأحياناً يزيد المرض بعد العلاج، لكن هنا الشفاء فوراً وليس له أعراض جانبية ولا آثار جانبية، لأن الذى وضع تذكرة الشفاء رب البرية عز وجل.

وشفاء لماذا؟ قال: لما فى الصدور، سواء صدور الكافرين، أو صدور المنافقين، أو صدور المؤمنين. فكل جماعة لهم أمراض، ولهم أعراض تختلف عن الآخرين.

مرضا الشك والشرك

فالكافر ما الذى يمنعه من الإيمان بالله والإقبال على كتاب الله؟

مرض الشرك الذى عنده، فهو مرض، فلو شفى من مرض الشرك الذى عنده يسلم فى الحال. أو مرض الشك، يشك فى وجود الله، أو يشك فى يوم القيامة، أو يشك فى هؤلاء الأنبياء، أو يشك فى كلام الله عز وجل. فالذى يمنعه من الإيمان إما الشرك أو الشك.

ما الذى يعالج هذين المرضين؟

لا يوجد إلا كتاب الله عز وجل. كيف؟

الحجج المنطقية التى فيه، والأدلة العلمية التى فيه، لو درسناها كما يحدث الآن من المنصفين من المستشرقين أو الأوربيين وغيرهم -فعندما يدرس أحدهم آيات القرآن ويرى الحجج الدالة على وحدانية الله، بدون هوى ويدرسها لمجرد الدراسة- يقول هذا الكتاب كتاب الله، والله عز وجل ليس فيه ولا عنده شرك، لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

إذن لا يوجد علاج لداء الشرك، أو لمرض الشك إلا الاطلاع على آيات الله، والتى تتكلم عن الحجج والأدلة التى يسوقها الله لعباد الله غير المسلمين، ليقنعهم بالحجة والبرهان على وحدانية الله عز وجل، وعلى وجود الدار الآخرة، وعلى وجود الجنة، وعلى وجود النار. وهذه حجج كثيرة، وأشياء كثيرة لا نستطيع أن نذكرها فى هذا المختصر.

والعلم أيضاً تقدم، فكلما تقدم العلم يجدون كل الذى وصلوا إليه، وظنوا أنه الغاية، موجوداً فى هذا الكتاب الذى نزل منذ أربعة عشر قرناً، واللفظ الذى ذكره الكتاب لا يستطيعون أن يطوروه أو يغيروه أو يحرفوه، فهو اللفظ الموافق لأحدث ما وصلت إليه الأجهزة العلمية الحديثة. فهذا دليل على إعجاز هذا الكلام حتى يهتدوا إلى معرفة الملك العلام عز وجل. فلا توجد أدلة تجذبهم إلى الله إلا هذه الأدلة.

فلذلك إخواننا الذين يأتون بالأدلة الفلسفية، أو الأدلة العقلانية، كل هذا لا ينطلى عليهم، لكن الأدلة القرآنية إذا استخدمها الإنسان بحصافة وبحكمة، تهدى الكافر والنافر إلى الله عز وجل، لأنه هو أعلم بعباده، ويعلم الطريقة التى يخرج بها عباده من الظلمات إلى النور، وعلمها للرسول، وعلمها للعلماء العاملين السائرين على منهج الرسول ﷺ.

أمراض النفاق

والجماعة أهل النفاق، الذين لم يرسخ الإيمان فى قلوبهم، مؤمنين صحيح باللسان، لكن العقيدة غير ثابتة فى القلب والجنان. ولذلك تجدهم يتبدلون ويتغيرون، فيقولون: صحيح نحن مؤمنين، لكن القرآن ليس له شأن بالمدارس، أو الاقتصاد، أو الحياة العملية أو التربية. هذا لأن الإيمان لم يرسخ فى قلوبهم، والقرآن كما يقولون للتلاوة والعبادة والمساجد وفقط.

من قال هذا الكلام؟

إنه كتاب الحياة الأول.

ما الذى أتى لهم بهذه الأشياء؟

مرض الهواجس، ومرض الوساوس. مرض الهواجس النفسانية، فالنفس لم تستضىء بنور الله، فعيشتها كالذى يعيش فى ضباب، أو الذى يعيش فى ظلام، فلا ترى نور الله المنبث فى كتاب الله عز وجل.

وهذه الهواجس، وهى الخواطر التى تمليها النفس على الإنسان فتشككه فى التعليمات والأوامر التى ينزلها الله عز وجل، فتجده يريد أن يعدّل على الله وهو أعلم بمصالح العباد، وهو أعلم بقدرات العباد، لأنه هو الذى خلقهم، وهو الذى يتولى جميع أمورهم، فيحاول أن يحكّم عقلة فى أحكام الله.

أيضاً مرض الوساوس وربنا يقول فيه: **﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾**.

ماذا يفعل لهم الشيطان؟

﴿وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾[١٨]. فيتهاون بعض الشىء عن الفرائض التى فرضها الله، فيمسكه الشيطان، ويلتقم قلبه ويوسوس له،

(١٨) سورة الزخرف: الآيتان ٣٦، ٣٧.

ماذا يا فلان؟ أنا أفضل من الذى يصلى لأننى قلبى نظيف، وليس به حقد لأحد، والذى يصلى يعمل كذا. فهو يريد أن يأتى له بحجج **﴿شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه﴾**(١٩).

حجج ليثبّته في الغى والضلال الذى هو فيه، أو الوساوس الشيطانية التى يمليها عليه شيطانه الذى أمسك بتلابيبه لغفلته عن طاعة الله، وعن ذكر الله عز وجل.

ما الذى يعالج هؤلاء المنافقين؟

لا يوجد إلاّ كتاب الله، وإلاّ كلمات الله، وإلاّ نور الله عز وجل الذى نزل على سيدنا رسول الله ﷺ.

شـفاء المؤمنين

والمؤمنون الذين هم مثلنا، من أى شىء يشفيهم القرآن؟

من الهمّ، ومن الغمّ. فإذا كان عنده شىء من الهموم وجلس بين يدى الله واستفتح بكتاب الله، أزاح الله عنه الهمّ والغمّ في لحظة، سواء كان هذا الهمّ بسبب ضيق فى الرزق، أو بسبب قصور فى الأولاد، أو بسبب عدم توفيق فى العمل، أو بسبب عدم وفاق مع الجيران، أو أى سبب من الأسباب يسبب للمؤمن الهمّ والغمّ.

من الذى يزيل هذا الهم وهذا الغم يا إخوانى؟

كتاب الله عز وجل. هو الذى يشفى صدور المؤمنين من كل هذه الأشياء، ويجعلهم يعتمدون فى كل أحوالهم، وفى كل أعمالهم، وفى كل أمورهم على الله عز وجل.

---

(١٩) سورة الأنعام : الآية ١١٢.

نور القــرآن

فالقرآن الكريم أنزله الله عز وجل موعظة من الله عز وجل لنا، وهذه الموعظة تتم إذا قرأنا الآيات التى فيها قصص الأنبياء السابقين مع أممهم، ونتدبر أحوالهم، فننأى بأنفسنا عن الأعمال التى عملوها، والتى استوجبوا بها غضب الله عز وجل، حتى لا يحيق بنا ولا ينزل بنا ما نزل بهم. وموعظة بتلاوة الآيات التى تتحدث عن نهاية الإنسان، ونهاية الزمان والمكان. ولقاء الجميع للحنان المنان، يوم يجمع الله الناس ليوم لاريب فيه، ثم ذكر النعيم الأبدى، والعذاب السرمدى الذى جهزّه الله سبحانه وتعالى لمن أطاعه أو عصاه.

ثم هو شفاء لجميع الصدور، يشفى صدور الكافرين من الكفر والإلحاد والضلال إلى نور الإيمان، وإلى نور التوحيد وإلى نور معرفة الله عز وجل. ويشفى صدور المنافقين من هواجسهم النفسانية ووساوسهم الشيطانية، التى تجعلهم يفترون على الله عز وجل الكذب، ويريدون أن يحرفوا الكلم عن مواضعه، ويريدون أن يغيّروا ويبدلوا قواعد أحكام دين الله وفق أهوائهم وعقولهم الكاسدة.

وهذا الكتاب أيضاً يا إخوانى هدىً ورحمة للمؤمنين. هداية للمؤمنين ورحمة للمؤمنين، هداية بما فيه من آيات تهدى إلى الصراط المستقيم، ورحمة بما فيه من الأعمال والقربات التى تنجى الإنسان من العذاب الأليم، فإذا اتبع الإنسان هدى القرآن فى حياته، وفى بيته، وفى سيره، وفى عمله، وفى معاملاته، وفى زواجه، وفى كل أمر من أمور حياته، اهتدى إلى الطريق المستقيم، وكان من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وإذا عمل الإنسان بالأعمال التى أمرنا بها القرآن –وما أكثر ما ذكر القرآن من أعمال سواء فى جانب العبادات، أو فى جانب المعاملات، أو فى جانب الأخلاق الصالحات– فإن الله عز وجل بسبب هذه الأعمال ينجيه من العذاب الأليم.

حاجة المسلم للقــرآن

إذن القرآن يجب أن يكون دستور المسلم في حياته كلها، من قيامه من نومه إلى نومه، يجب أن يكون ثابتاً على منوال القرآن، يمشى بالقرآن ويحيا بالقرآن، ويأكل بالقرآن ويشرب بالقرآن، وينام مع زوجته بالقرآن، ويرعى أولاده بالقرآن، ويعامل جيرانه وأقاربه بالقــرآن، ويقــول كما قال النبى الكريم الذى ذكره الله فى القــرآن:

﴿قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت – وتأدباً مع هذا النبى نقول: – وأنا – من – المسلمين﴾[٢٠].

فإذا دخلنا فى عداد المسلمين، فالحمد لله والفضل لله عز وجل على هذا.

فمادام الأمر كذلك، فكل واحد يقصّر مع القرآن سيتعرض إلى غضب الحى القيوم عز وجل.

﴿وقال الرسول يارب إنّ قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾[٢١].

نحن لم نهجر تلاوته، فنحن والحمد لله عندنا الشرائط تشتغل ليل نهار، وتوجد إذاعة مخصوصة للقرآن الكريم، والحمد لله المصاحف عندنا ليس لها عدّ، فماذا هجرنا؟

هجرنا العمل به، القراءة كثير والسماع كثير، ولكن أين العمل بكلام الله عز وجل؟ هذا هو المهم، فنحن محتاجين إلى العمل بكتاب الله، ورسول الله ﷺ قال لأصحابه فى ذات يوم: «**أنتم فى زمن قليل خطباؤه كثير عماله** –فالمتكلمون قليل، والذين يعملون كثير– **قليل سائلوه كثير معطوه، العمل فيه خير من العلم، وسيأتى على الناس زمان كثير خطباؤه قليل فقهاؤه، كثير سائلوه قليل معطوه، العلم فيه خير من العمل**»[٢٢].

---

(٢٠) سورة الأنعام : الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

(٢١) سورة ى الفرقان : الآية ٣٠.

(٢٢) رواه الطبرانى من حديث حزام بن حكيم عن عمه.

فنحن الآن نحتاج للعلم، وحتى نعمل لابد أن نتعلم حتى نعمل، والعمل الذى لا ينبى على أساس العلم قد يكون صاحبه يتعبد إلي الله عز وجل على جهل وهو لا يدرى، وقد يكون يعمل شيئاً منكراً ومغضباً لله عز وجل وهو لا يدرى، فلابد للعمل من الأساس وهو العلم أولاً.

حتى أننا الآن نريد أن نبنى كل عمل على أساس العلم، فالذى سيبنى بيته نقول له: لابد من مهندس يخطط ويرسم. وهذا ما قاله الرسول ﷺ:

«من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم».

ما هذا العلم الذى لم نعد نسمعه الآن؟

نحن نتصفح الصحف كل يوم، فنقرأ صفحة الأخبار على الماشى، وصفحة التليفزيون نحفظها، وصفحة الرياضة نجوّدها، وصفحة الأحداث والحوادث نهضمها، أين صفحة كتاب الله؟

أنا أريد صفحة مثل هذه الصفحات كل يوم. أهى كثيرة علينا أن نقرأ صفحة كل يوم؟ إذا لم نقرأه فى الدنيا فمتى نقرأه؟ أنقرأ إذا خرجنا من هنا؟ وماذا نقول لله عندما يقول: **﴿يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾**؟

وما الحجة التى جهزتها لله حتى تجيب على هذا الكلام؟

هل ستقول: **﴿شغلتنا أموالنا وأهلونا﴾**(٢٣). يقول لك: مالك وهذا الأمر، ولماذا شغلت نفسك بهم؟ فأنا قلت لك أولاً: **﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** —وليس لك شأن بأمر الرزق— **لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾**(٢٤).

نشغل نفسك بأمر الغلاء والوباء وهذا الكلام، وليس لك شأن بهذا الأمر. فقد ذهبوا إلى السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها وأرضاها، وقالوا لها: لقد ارتفع السعر

---

(٢٣) سورة الفتح : الآية ١١.

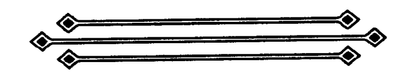
(٢٤) سورة ى طه : الآية ١٣٢.

جداً، والحبوب لا يستطيع أحد أن يشتريها من ارتفاع الأسعار. قالت: «وعزة ربى لو صارت الحبة بدينار ما اهتممت. (لماذا؟) على أن أعبده كما أمرنى وعليه أن يرزقنى كما وعدنى».

أنت عليك العبادة، أما الرزق فعلى الله، فلماذا تشاركه فى اختصاصه هو؟

أأجلس ولا أعمل؟

لا، اسعى واعلم علم اليقين أنك لا تنال فى سعيك إلاّ ما قدّره لك رب العالمين عز وجل، فامشى على مهل فى هذا الأمر، وإذا حاولت أنك تأخذ من هنا أو هنا، ستأخذ الذى لك، لكن بدلاً من أن تأخذه من الحلال، ستأخذه من الحرام، فهو مقدّر قال ﷺ: «ما سرق السارق إلاّ من رزقه». فالذى قدّر له مائة جنيهاً فى الحلال واستعجل وسرقهم، فهم مكتوبون له، لكنه لاستعجاله أخذهم بالحرام، وأصبح جزاءاً عليه حتى يوم القيامة.



خاتمــة

الحمـد لله الذى وفقنا لما يحبه ويرضـاه فأسبغ علينا عطاياه، وأكمل علينا مننه وجدواه، فرزقنا حب الصـالحين، وأدبنا مع عجزنا وضعفنا بآداب المحبوبين، ووهبنا مع ذلنا وانكسارنا وغفلتنا وجحودنا مواهب المقربين، وها نحن بمنه وفضله وجوده وكـرمه قد انتـهينا من هذا الكتـاب وأسـميناه «طريق الصـديقين إلى رضـوان رب العالمين».

وكان أوان الفراغ منه مساء يوم الأربعاء ٢١ من شوال ١٤١٥هـ الموافق ٢٢ من مارس ١٩٩٥م وليس لنـا فيـه إلا النطق بلساننا أما المعـانى والمفـاهيم فـهى من كنز الفتـاح العليم وأما الألفاظ والعبـارات فالفضـل فى صياغتها يرجع إلى توفيق الله وحسن معونته إلا ما كان فيها من خطأ فهو بسبب قصورنا وجهلنا فليلتمس لنـا القـارىء الكريم العذر فى ذلك وليصححه ويبلغنا به حتى نتداركه بعد ذلك وإلى ذلك الإشارة لقول القائل:

من ذا الذى ما ســاء قط ** ومن له الحســـنى فقط

﴿وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه بخطه العبد الضعيف فؤاد ابراهيم سالم من مغاغة محافظة المنيا رحمه الله تعالى وأدخله برحمته فى عباده الصالحين.

ثبت المراجــع

١ – القــرآن الــكريم.

٢ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : فؤاد عبد الباقى.
دار الشــعب

كتب السنة :

٣– المعجم المفهرس للحديث النبوى: أريرى مجموعة من المستشرقين.
فنســك – هولنــدا

٤– الجامــع الــكبير: الســيوطى
الهيئة العامة للكتاب – القــاهرة

٥– الجامــع الصــغير: الســيوطى
مصطفى الحلبى – القــاهرة

٦– الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة: الســيوطى
دار الاعتصام – القــاهرة

٧– كشف الخفا والالتباس فيما ظهر على ألسنة الناس: العجلونى
دار التراث – حلب

٨– كنوز الحقائق: المنــاوى
دار الجيــل – بيروت

٩– الروضــة الناضرة: عبد الفتــاح القاضى

١٠ – إحيــاء علوم الدين بتخريج الحافظ العراقى: أبو حامد الغزالى
دار الشعب – القاهرة

كتب للمؤلف

من أعلام الصوفية المعاصرين :

١ – الإمام أبو العـزائم المجـــدد الصـــوفى.
دار الإيمــان والحيـــاة

٢– الشيخ محمد على سلامة : سيرة وسريرة.
دار الإيمــان والحيـــاة

الإيمان والحيـاة :

٣– زاد الحـاج والمعتمر.
دار الإيمــان والحيـــاة

٤– نفحات من نور القرآن [جزء أول].
دار الإيمــان والحيـــاة

٥– مائدة المسلم بين الدين والعلم.
دار الإيمــان والحيـــاة

٦– طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين.
دار الإيمــان والحيـــاة

تحت الطبـع للمؤلف :

١ – حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق.

٢– سياسة التربية الإسلامية.

٣– نفحات من نور القـرآن [جزء ثان].

تطلب مطبوعات الدار

من الأماكن التالية

١ - **الزقـازيق** : حى السـلام ش عمرو بن العـاص - مسجد جمعيـة الدعوة إلى الله.

٢ - **ديرب نجم** : جمعية الدعوة إلى الله - خلف المدرسة الثانوية للبنـات.

٣ - **الجميزة/ غربية** : دار الصـفا.

٤ - **بنهـا** : جمعـية الدعوة إلى الله - المنشية - ٧ ش شريف باشـا متفـرع من ش وهبـة.

٥ - **محافظة المنيـا - مغاغـة** : جمعيـة آل العزائم «مسجد آل العزائم».

٦ - **محافظـة قنـا - العديسات قبلى - نجـع علوان**: جمعية الدعوة إلى الله.

٧ - **محافظـة الإسماعيليـة - سرابيـوم - عزبة القراقرة**:
مهنـدس/ عـبد العـزيز عبـد السـلام.

٨ - **المهندسـين** : مكتبة الأنوار القدسية - ٥ ش سـيناء.

٩ - **الدراسـة** : دار جوامع الكلم.

١٠- **مكتبات القـاهرة**.

الفهـــــرس

الناشر : **دار الإيمان والحياة للطباعة والنشر**
٧٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى
تليفون ٣٥٠٩١٤٠

رقم الايداع
٩٥/٥١٣١ I. S. B. N. 977 - 00 - 9590 - 7

مطبعة ستراند الحديثة
تليفون : ٣٥٥٤٠٦٩